

محمد صادق محمد باقر بحر العلوم

الإمام السيستاني

شيخ المرجعية المعاصرة
في النجف الأشرف



دار المحمد البيضاوي

محمد صادق محمد باقر بحر العلوم



الإمام السيستاني

سلسلة العرجانية المعاصرة في التجفف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



محمد صادق محمد باقر بحر العلوم

الإمام السيستاني

سلسلة المراجعية المعاصرة في الاجفاف الأشرف

جَمِيعُ الْحَقُوقُ مَحْفوظٌ
الطبعة الأولى
٢٠٠٩ / ١٤٣٥ م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١
تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb - www.daralmahaja.com - info@daralmahaja.com



إن السيد السيستاني كان في هذه الفترة
من حين سقوط النظام الصدامي ولها
اليوم في موقف لا يحسد عليه بين
المطرقة والسندان، بين جماهير عاشت
الدكتاتورية وكم الأفواه، والعسف
الاجتماعي، والاستبداد الذي لم يشهد
العراق خلال تاريخه الحديث ما مر عليه
من تجسيد كل أدوات الاستبداد، والموت
الرخيص.

الاهداء

أقدم مجهودي المتواضع إلى مقام صاحب العصر والزمان الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وإلى مقام سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله العالى ومتى الله المسلمين بطول بقائه . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين .

محتويات الكتاب

٧	الاهداء
٩	محتويات الكتاب
١٢	المقدمة: المرجعية الدينية لل المسلمين الشيعة ومركزها النجف الأشرف
٢٩	الفصل الأول: سيرة حافظة
٦٧	الفصل الثاني: موقفه من الاحتلال
٨١	الفصل الثالث: عظمته من خلال بياناته السياسية
٨٣	التعامل مع سائر هموم العراقيين
٨٥	يعيش آلام ومصائب الشعب العراقي
٩١	همه العراق، ووضع العراق بعد سقوط النظام
٩٥	ادارة الازمات العراقية بحنكة القائد وقلب الاب
٩٧	مع ادارة الدولة المؤقتة قبل الانتخابات
٩٩	التعاطي مع الامم المتحدة
١٠٣	احترام القانون ومنع القصاص الشخصي
١٠٧	الإمام السيستاني والإئتلاف العراقي الموحد
١٠٩	الدستور والانتخابات
١١٣	سفرة علاجية وعودة سياسية لإنقاذ النجف الأشرف

صوره الكريمة في الأماكن العامة ١١٧
الوقوف بحزم من ظاهرة الفساد ١١٩
الموقف من العلاقات الشيعية السنوية ١٢١
مبادرته دون استشارة أحد أو خوف من الفشل ١٢٣
ليس لفزاً ١٢٧
المقابر الجماعية ١٣١
ضبط النفوس التي كانت مليئة بالإنتقام ١٢٣
الجامعة العلمية في النجف الأشرف ١٣٥
إطفاء نار الفتنة الطائفية ١٣٩
الإعتداء الطائفي على مقام الإمامين العسكريين عليهما السلام ١٤٣
يعزي البابا غبطة الكاردينال أنجلو سودانو ١٤٥
وحدة المرجعية ١٤٧
حادث إغتيال سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم ١٤٩
يوسع صرف الحقوق لأصحابها ١٥١
جائزة نوبل ١٥٣
الفصل الرابع: اراء المعاصرین ١٥٧
وقفة تأمل ومراجعة مواقف الامام السيستاني ١٥٩
الشخصية الذاتية والكمالية والعلمية للإمام السيستاني ١٦٧
المرجعية ماض وحاضر ١٨٧
الإمام السيستاني والدولة المدنية في العراق الحديث ١٩٧
عالم رباني وسياسي إنساني (اسمه السيستاني) ٢٢٩
الإمام السيستاني فخر المرجعية ٢٣٥
الإمام السيستاني بين المرجعية العليا وزعامة الحوزة العلمية ٢٣٩
الإمام السيستاني ٢٥٣

المرجعية.. والواقف الصريحة للسيد السيستاني.... نموذجاً	٢٥٩
السيد السيستاني وهموم المرجعية	٢٨٣
سماحة السيد السيستاني والتغيير في العراق	٣٠١
العراق الجديد..سيستانيا	٣١٥
الخاتمة: الامام السيستاني ودولة العراق	٣٣٣

المقدمة:

المرجعية الدينية للمسلمين الشيعة ومركزها النجف الأشرف

• سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم
النجف الأشرف - جمهورية العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

المرجعية الدينية لل المسلمين الشيعة، هي التي ترجع إليها الأمة في شؤونها العلمية على أساس الموازين الشرعية العامة، ويكون المرجع الذي تتتوفر فيه شروط المرجعية هو النائب العام عن الإمام المعصوم من الناحية الشرعية، حدث ذلك في تاريخها إلى ما بعد وفاة النائب الرابع للإمام المهدي. عجل الله فرجه - علي بن محمد السمرى المتوفى عام (٢٢٩ هـ) وحينها انتقلت مسؤولية مرجعية هذه الشريحة الكبيرة من المسلمين الشيعة إلى "الإمامية النائبة"، وهي مراجع الدين العظام الذين تولوا الفتيا للشؤون الدينية للMuslimين الشيعة في العالم الإسلامي، وكان مقر هذه المرجعية بغداد - العراق في بدايتها، و من أشهر هذه الطبقة العلمية، محمد بن محمد النعمان، المعروف بالشيخ المفيد، المتوفى عام (٤١٢ هـ) ومن بعده الشريف المرتضى علم الهدى، علي بن الحسين المتوفى عام (٤٣٦ هـ) ثم من بعده انتقلت إلى أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الذي اشتهر بـ (شيخ الطائفة) المتوفى عام (٤٦٠ هـ) وكانت له مكانة محترمة وكبيرة لدى العهد العباسي في بغداد، وحين حدث في بغداد في الأربعينات عام (٤٤٠ هـ) شغب وحوادث دامية طارئة بين الشيعة والسنّة أضطر الشيخ الطوسي الانتقال إلى النجف الأشرف بعد حرق مكتبه، فنقل معه حوزة مدرسته العلمية، وذلك عام (٤٤٩ هـ) ومن هذا التاريخ أصبح مقر المرجعية الدينية لعامة المسلمين الشيعة النجف الأشرف، واستمرت على هذا الحال حتى اليوم رغم إنتقالها إلى بعض المدن العراقية عدة مرات، ولكن الوجه الحوزوي لم يفقد واقعه النجفي، حيث بقيت معهداً علمياً للمرجعية الدينية فلم تخمد روتها العلمية، ولم ينطفأ مشعلها، واستمرت النجف نقطة

القطب يغيب عنها مركز المرجعية لوقت محدد كلما تحكمت بها ظروف غير طبيعة تلح عليها بالانتقال سواء كان الانتقال طبيعياً لظروف خاصة، كانتها الى الحلة في عهد مراجع الدين الحلين كالعلامة الحلي والمحقق الحلي وغيرهم من أعلام الحلة ومراجعها العظام، وبقيت المرجعية طيلة قرابة ثلاثة قرون، ثم عادت إلى النجف في أواخر القرن العاشر الهجري بعد أن زالت أغلب المعوقات التي تقف أمام طلاب العلم من الابتعاد عن حوزة الأم النجفية، وان كانت ثمة حركة علمية فإنها بقيت تواصل عملها الحوزوي، ولم تجمد جذورها العلمية فيها.

أو كانتها إلى كربلاء حين تزعم حوزتها الأستاذ الكبير آية الله الشيخ الوحديد البهبهاني، المتوفى عام (١٢٠٨هـ) الذي استقطب العلماء والفضلاء بمكانته الفكرية الأصولية، حيث بقيت في كربلاء بين عام (١١٥٠-١٢٠٦هـ). وبعد وفاة الأستاذ الوحديد البهبهاني عاد السيد محمد مهدي بحر العلوم إلى النجف، وعادت الحوزة معه إلى النجف.

وقد أخذت المرجعية الدينية صورة العمل الجماعي خلال عهد آية الله السيد محمد مهدي بحر العلوم الزعيم الروحي ومرجع الشيعة على رأس القرن الثالث عشر الهجري حيث أرجع الفتيا والتقليد إلى الحجة الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى عام (١٢٢٨هـ)، وأسند الإمامة والمحراب إلى المقدس الحجة الزاهد الشيخ حسين نجف المتوفى عام (١٢٥١هـ)، لتمتعه بجانب كبير من القدسية والأيمان، كما أسند إلى الحجة الثبت الشيخ شريف محى الدين القضاة والخصومات، لإضطلاعه الواسع في شؤون القضاة والخصومات، وحسّم الدعاوى بين الناس، وانشغاله هو للأمور الدراسية، والزعامة العامة. وكان هذا التوجه فريداً في تنظيم الوضع الاجتماعي، والزعامة الدينية، لإدارة شؤون الجامعة العلمية

النجفية، وأبرز عصره بطبع جماعي في تحمل المسؤولية القيادية، وعبر عن نضج ووعي يختلف كل الاختلاف عن الطابع الفردي الذي يسود المرجعية الدينية بما يرهقها بزخم مسؤوليات كبيرة وعديدة.

ولهذا كان عهد السيد بحر العلوم الكبير مميزاً عن بقية الظروف التي سادت المرجعية الدينية في النجف، وحافظت على امتداد المرجعية في الشؤون العامة بصورة جماعية.

كما أيضاً إنقلت المرجعية إلى سامراء في عهد المرجع الكبير السيد ميرزا حسن الشيرازي بتاريخ (١٢٩١هـ). حيث كان قصده وحدة الكلمة في سامراء الذي كان معظم سكانها من المسلمين السنة، وحيث تضم مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، فقد كان يروم توحيد كلمة المسلمين، وأصبحت تضم سامراء طلاب الحوزة العلمية النجفية إلى جانب أخوتهم السنة إلى وفاة السيد الشيرازي عام (١٣١٢هـ).

وما أن انجابت عن النجف سحب العواصف عادت لها مركبة الحوزة العلمية، وجماعتها الأصلية..

لقد ساهمت المرجعية الدينية طيلة القرن الماضي سواء في الإحداث الدينية أو الوطنية أو الاجتماعية على مستوى القيادة مساهمة فعالة، مما كشف عن فكر نير يؤهلها إلى تحمل مسؤولية قيادة المجتمع الذي يعتبر جزءاً من مهامها الأساسية، إذ لا يمكن تحجيمها بالشكل الذي ينادي به البعض في هذا اليوم بفصل الدين عن السياسة.

فالمرجعية - كما نفهمها - قيادة الأمة ديناً ودنياً، وقد عشنا - في حدود مسيرتنا الحياتية الملزمة للمرجعية الدينية - أفكارها وموافقها

المنبعثة عن واقع مسؤوليتها في الدفاع عن الدين والوطن، والأمة، والمصالح العامة، والاهتمام بنهايتها على مستوى الساحة الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط خاصة. والعالم عموماً.

إن تاريخ النجف الأشرف يشيد أن المرجعية الدينية ما توانى في يوم من الأيام عن واجبها الديني والوطني، ولعل القرن الماضي الميلادي خير شاهد على ما أدعى، حيث قادت المرجعية الدينية ثورة العشرين ضد الاحتلال الإنكليزي. وأمرت بمقاطعة الانتخابات النيابية في بداية تأسيس ما يسمى بالحكم الوطني في العراق لما رأت أن الإنكليز وبطانتهم في صدد تزوير الانتخابات لصالحهم^(١). وحين لاحظت الحكومة البريطانية هذا الموقف "آلا إيجابي" من علماء النجف المبرزين ومراجعها العظام كانت ردة الفعل نفي العلماء المعارضين لسياساتهم إلى خارج العراق.

وكذلك كان للمرجعية الدينية في النجف موقف واضح في حركة آذار ١٩٤١ حينما أعلن رشيد عالي الكيلاني تحركه ضد الحكم الملكي. إذ كانت متمثلة يومها بالسيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ عبد الكريم الجزائري، إذ كان لهم دور مهم، فقد أصدروا الفتوى بتأييد الحركة الانقلابية حفاظاً على استقلال البلاد، وإنهاء التصرف الأجنبي.

وفي ثورة عبد الكريم قاسم في ١٩٥٨م أيدت المرجعية في النجف الأشرف إنتهاء الحكم الملكي في العراق، وقيام العهد الجمهوري، ولكن حين شرعت حكومة قاسم فانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩م وتضمن كثيراً من المخالفات لمواد الشريعة المقدسة، وبعده عن

١. للتفصيل راجع عن ثورة النجف أبعادها ونتائجها / تأليف الأستاذ حسن الأسدی.

الموازين الشرعية، ورغم المحاولات العديدة من المرجعية الدينية – المتمثلة بالإمام الراحل السيد محسن الحكيم المتوفى عام (١٩٧١م) – مع النظام في ضرورة عدم الأخذ ببعض مواده الذي تعتبر مخالفة صريحة للنصوص الشرعية، كتساوي الرجل والمرأة في الميراث، كما فيه تجافياً لما ينص عليه القانون الأساسي للجمهورية العراقية من نصه على أن دين الدولة هو الإسلام، والخروج على الإسلام بتشريعه خرق لنص الدستور، إستنكرت المرجعية، وأعلنت موقفها الصريح في مقاطعة النظام، إلى جانب كثير من الإحداث التي كادت تطوح بالبلاد. كما كانت لها مطالبات جادة لأسامة بعض القوانين المخالفة للشرع ومصلحة الوطن.

وفي السبعينات من القرن الماضي وحتى سقوط نظام الدكتاتورية تجلت مواقف المرجعية سواء على مستوى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، أو آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر سواء من القضايا الهامة الدينية والوطنية، ومن أهمها مواجهة النظام الصدامي، وتحريم الإنتماء إلى الحزب الحاكم، ومعارضة الحرب العراقية الإيرانية، وإستنكار الفزو الصدامي للكويت، وعدم السماح بالتعامل "بالمنهوبات الكويتية" وضرورة إعادتها إلى دولة الكويت.

(٢)

وحيث سقوط نظام صدام عام (٢٠٠٣م) وقيام الدولة العراقية الفتية كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف، وفي مقدمتها آية الله العظمى السيد على السيستاني قد تحملت من اللحظة الأولى مسؤوليتها الدينية والوطنية نحو توطيد الحكم الفتى، وتعضيد مسيرة العملية السياسية، والتي كانت بدايتها تشكيلاً "مجلس الحكم العراقي" والذي أُعلن عن تشكيله في الثالث عشر من تموز (٢٠٠٣م) ثم أعقبه التوقيع على

"قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية بتاريخ (آذار ٢٠٠٤) والذي تم بموجبه انتخاب أول حكومة عراقية برئاسة د. أياد علاوي بتاريخ ٩ نيسان ٢٠٠٤، وأعقبه الوزارة الثانية برئاسة د. إبراهيم الجعفري، والثالثة برئاسة الأستاذ نوري المالكي. وفي خلال الوزارتين كتب الدستور من قبل لجنة برلمانية، وتم الاستفتاء عليه، وضمن هذه الفترة كان موقف المرجعية الدينية في النجف الأشرف واضحاً وجاداً في دفع العراقيين لممارسة حقوقهم في برلمان منتخب لتسير أموره الرسمية.

هذا التوجه الكبير والنافذ للمرجعية الدينية في النجف الأشرف جلب أنظار الكثير من السياسيين العراقيين وغيرهم بمدى نفوذ المرجعية الدينية في النجف في كثير من القضايا الهامة في سياسة البلاد إلى الأخذ برأي المرجعية الدينية رغم اختلاف الرأي مع بعض الشخصيات من أعضاء مجلس الحكم، أو من رؤساء الوزارات الذين سلّموا المراكز في الحكومات العراقية بعد سقوط النظام، وحتى ممثل الأمم المتحدة الذي كان يعرض آرائه بما يتعلق بشأن الانتخابات في إجراء انتخابات البرلمان، وسن الدستور وبعده، وكان سماحة السيد علي السيستاني يصر على أن يفسح المجال لل العراقيين أن يكتبوا دستورهم – ولأول مرة – برأي Iraqi مجرد من تدخل الحاكمين والجهات المتنفذة في الدولة.

وكما أشرنا أن نفوذ المرجعية على تشكيلات الحكومات التي وصلت إلى سدة الحكم بعد تكوين "مجلس الحكم العراقي" وتشكيل الحكومات المتعاقبة، بحيث يمكن الادعاء إنها أصبحت صمام أمان لسيرة الحكومة وتشكيلاتها.

ولعل من اليوم الأول لتشكيل هذا المجلس كان محور المرجعية يتمثل بالإمام السيد السيستاني ولم يغيب رأي بقية المراجع الثلاثة، وهم

آيات الله العظمى: السيد محمد سعيد الحكيم، والشيخ محمد إسحاق الفياض، والشيخ بشير النجفي حفظهم الله ورعاهم.

ولكن الإمام السيستاني اعتبر المرجع الأول في الساحة السياسية العراقية، وصاحب الكلمة النافذة في شؤون البلاد بحيث لم تقدم الحكومة على أمر من الأمور الهامة فلا تتجاوز رأي السيد السيستاني، ولا شك أن الإمام السيستاني أعطى من رأيه السيد الكثير من النصائح للدولة بما ينفع الوطن والمواطنين، والواقع أن الإمام بهدوء المصلح الذي يحاول السعي إلى الوصول إلى مرفأ السلام، ودفع البؤر الخبيثة، والعصابات المجرمة عن الوصول إلى التحكم في البلاد، من أجل إثارة الفتنة الطائفية في المحيط العراقي الواحد، وتفكيك عرى الوحدة الوطنية التي تلم شمل الشعب بكل أطيافه، وبما يحفظه من الانحدار السياسي إلى الهوة العميقه التي تهدد البلاد، وتدمر بنائه التحتية، هذه القوة النافذة إلى أعماق الشعب العراقي ما جعل الكثير من المحللين السياسيين العراقيين وغيرهم على الأخص البريطانيين والأمريكان أن يعربوا عن اعتقادهم بأن الإمام السيستاني هو المسؤول عن مجلل النشاط السياسي في العراق، والتأثير الفاعل على السياسيين العراقيين.

يقولون عن السيد السيستاني:

"إن أدنى مطالعة لمجلل آراء وتوجيهات كتابات كبار المحللين الأمريكيين والبريطانيين على وجه الخصوص تظهر مقدار الأهمية

الاستراتيجية التي يوليهما هؤلاء الكتاب لمواصفات الإمام السيستاني المرجعية في الساحة العراقية".^(١)

ولهذا أخذ محللون الأجانب خاصة يبحثون عن مدى تغلغل المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد السيستاني في نفوس الجماهير العراقية أعم من كونها ترجع إليه بالتقليد أو لغيره من المراجع الآخرين في النجف الأشرف، كآيات الله العظام: السيد محمد سعيد الحكيم، والشيخ محمد إسحاق فياض، والشيخ بشير النجفي.

إن السيد السيستاني بتصديه الواسع للمسؤولية المرجعية بكل أبعادها أصبح المسؤول الأول عن الشأن العراقي الذي يمس الصالح العام للمواطنين، فقد استطاع أن يفرض رأيه على ممثل الأمم المتحدة الذي أننيط به الإشراف على الانتخابات العامة عام ٢٠٠٥م لإجراء الانتخابات بينما المجلس هو الذي يسن الدستور.

إن السيد السيستاني كان في هذه الفترة من حين سقوط النظام الصدامي ولهذا اليوم في موقف لا يحسد عليه بين المطرقة والسندا، بين جماهير عاشت الدكتاتورية وكم الأفواه، والعسف الاجتماعي، والاستبداد الذي لم يشهد العراق خلال تاريخه الحديث ما مر عليه من تجسيد كل أدوات الاستبداد، والموت الرخيص على الشعب الأعزل، وبين شعب منتفض خرج من القمقم بعد حجز الأفواه وتكميل الأقلام، وأنه تتسم ريح الحرية والانطلاقية الديمقراطية، فهو يريد كل ما فقده في الماضي أن يتحقق الآن مع عدم ملاحظة أن الهدم يمكن يوم، ولكن البناء يحتاج إلى وقت وركام عقود من سنين السياسي، وتصرفات

١. البغدادي، عمار. الإمام السيستاني رؤية من الداخل: ص ١٣. دار قمر العشيرة، بيروت ٢٠٠٤

الحزب الواحد، وعنجهية الدكتاتور لا يمكن تجاوزها بصورة عفوية أو عاطفية.

إن "منذ اليوم الأول لسقوط بغداد ودخول القوات الأمريكية البلاد والإمام يقود الشعب العراقي بعقلية وحكمة ودرائية وواقعية كبيرة. ولو كان الإمام يفقد هذا الهدوء الجم في الساحة على الرغم مما واجهه ويواجهه مجتمع المقابر الجماعية والمرجعية الدينية وعموم الشعب العراقي في المدن والمحافظات العراقية من تحديات وظروف استثنائية في ظل واقع الاحتلال وكانت البلاد تفرق في محيط من الفتن والحروب والمواجهات العرقية والقومية والطائفية".

ان غالبية القوى العراقية والمشاركة في السلطة، والعملية السياسية اعتبرت السيد السيستاني بحياديته تجاه الأطياف العراقية المشاركة في بناء العراق السياسي، وانه مع الجميع على مسافة واحدة، وممارسة صادقة بمنطق الأبوة الحانية والقائد الذي يهمه النصر لتوجهه الأساس، وهو بناء دولة متحضرة يعيش في إطارها كل الأطياف العراقية، ومكوناته السكانية بخير وسلامة. فلابد من التعامل معهم بشفافية شعب عانى من الحرمان والاضطهاد ما يصعب وصفه ليعيد بذلك كرامة البلاد وسعادته المفقودة.

والإمام السيستاني عاش العراق بكل أبعاده السياسية والاجتماعية فهو أكثر من نصف قرن انتقل من إيران الى النجف ليتمحض بدوروس الاجتهد على أساتذة مدرسة النجف العلمية الدينية، وهو بهذا الزمن الذي يحدد من خمسينيات القرن الماضي الميلادي عاش أحداث العراق السياسية بمجموعها الملكية منها والجمهورية وذاق حلوها ومرها، وكان منها على مقربة من كثير ما أرهق العراقيين إذ كان على مقربة

من المرجعية الدينية حينذاك التي أخذت على عاتقها قوله الحق مهما كلفها الامر، سواء أكان في عهد الإمام السيد محسن الحكيم، وأية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، أو الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر، والإحداث المأساوية التي كلّكت على العراق عامه، والنجف خاصة لاحتضانها مركز المرجعية الدينية، صاحبة الكلمة النافذة في جماهير المسلمين الشيعة في كل مكان فيه للشيعة وجود شاخص، ولacci كما لacci مراجع الدين في النجف كل ما يؤلم حتى الاعتقال والاغتيال.

إن مهمة المرجعية لا تقتصر على الفتيا بالحلال والحرام فحسب بل من أهم واجباتها إدارة شؤون الأمة، ورعايتها وتوجيهه ما يتعلق بالنظام العام. وهذه الصلاحية الهامة دفعت بعض السياسيين إلى المطالبة بفصل الدين عن السياسة، وهذا الرأي يتناهى مع المسؤولية الكبرى للحاكم الشرعي الذي يجب عليه أن يمارس واجباته تجاه الأمة والبلاد كممثل عن الإمام المعصوم، فهو في مهمة (الإمامية النائبة) وإن اختلف الفقهاء في مدى هذه الصلاحية، فالبعض يحددها في موارد مخصوصة، والآخر يرى أنها مفتوحة وهي ضرورة من ضروريات الدين.

السيد السيستاني وان لم يرى هذه الصلاحية مفتوحة بأوسع أبوابها، ولكن في رأيي انه مارسها في حد وسط، إذ تدخل في شأن الانتخابات والدستور وكثير من شأن الحكومات المتعاقبة بعد سقوط النظام، لإعتقاده أن الوضع العام بعد سقوط صدام بحاجة الى مرشد ديني وموجه أمين حتى تستقر الأوضاع العامة، وهذا رأي جدير بالاحترام والتقدير "ويعني بصراحة مطلقة انه يشعر بتكليف حقيقي إزاء المسائل الكبرى في حياة العراقيين خاصة".

إن هذا الموقف المبدئي لحاكم الشرع الذي يرى في امكانه التصدي لقضايا الساعات الحرجة خاصة وانه لم يتصدى غيره بتحمل هذه المسؤولية بهذه السعة في وقت تتناوب الوطن الإحداث الخطيرة التي يمر بها عراق اليوم، والتي تهدد بعودة الدكتاتورية العسكرية، وقد يرضي ذلك سياسة المحتل القائمة على المصلحة الخاصة قبل مصلحة البلاد، ولذا فقد تصدى بكل امكاناته لثبتت مرکز القيادة الدينية.

ومن هنا نرى إلتلاف الجماهير حول قيادته تبعاً لموافقه الحضارية وسلوكياته المرنة في معالجة القضايا والأحداث في مثل هذه الظروف القاسية التي يمر بها العراق.

(٣)

والكتاب الذي يقدمه للقراء اليوم يتحدث عن هذا القائد المحنك الذي إمتلك ثقة الجماهير، كما إمتلك ثقة الكثير من السياسيين العراقيين وغير العراقيين، وكان من هؤلاء الأستاذ السيد محمد صادق السيد محمد باقر بحر العلوم، ليسجل ما يملي عليه الالتزام المبدئي في حق المرجعية المتحملة لمسؤوليتها ساعة العسرة، والمتمثلة اليوم بسماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني دامت بركاته.

ومؤلف الكتاب ابن النجف البار، عاش جزءاً كبيراً من حياته في النجف، ودرس فيها مراحل دراسته الحوزوية والمدرسية، وحين وصل البعثيون الى سدة الحكم ترك العراق لمطاردة البعثيين له، ولجأ الى الكويت ومنها الى أمريكا، وطالت غربته اكثر من ربع قرن، وواصل عمله النضالي ضد النظام الصدامي في أمريكا طيلة السنوات السود من عهد صدام، ونشر عن مأساة العراقيين في عهد الدكتاتورية، وما كان

يعانيه من قتل وتعسف واضطهاد وتعذيب من خلال عقد الندوات والمؤتمرات حول العراق في الكثير من الولايات الأمريكية.

عاش أبو حيدر السيد محمد صادق وطنه طيلة العقود القاتمة وهو في الغربة، وبالخصوص ما جرى على أسرته (آل بحر العلوم) في مسقط رأسه النجف الأشرف، والولايات التي مرت على الأسر العلمية من حقد الحاكمين السفاكين، وكان يعمل ما يمكنه من كشف المأساة التي غص بها كل العراق من شماله إلى جنوبه، وقد خسر من أسرته (آل بحر العلوم) في النجف عدداً من الشخصيات الدينية والأدبية والاجتماعية والطلابية، لم تكشف المقابر "الجماعية" عن رفاتهم بعد سقوط النظام الحاقد.

وحيث سقط النظام، وإنزاحت الدكتاتورية إلى مزبلة التاريخ كانت فرحته كبيرة، لأن آماله العريضة في عودة الحياة إلى وطنه تجددت، وخاصة عندما سمع صوت المرجعية الدينية في مركزها العتيدي يشق الفضاء العالمي في دعم أساسى للعملية السياسية في عراقه الفتى تعلقت آماله بأن العافية ستعود إلى البلاد.

وهذه موقف المرجعية الدينية المتمثلة بالإمام السيستاني - دامت بركاته - و"التي تميزت فتاواه بلغتها المعبدلة الحريرية على الأرواح والوجود والأعراض والكرامة في محاولة لتهذيب النفوس، واستشراف الأفق، وإعادة الأمور إلى نصابها على إن الإمام يمارس في إصداره الفتوى المتعلقة بتصريف الشؤون العامة في البلاد ومسائل التعاطي مع الميليشيات والسلاح وقضايا الإدارة باعتباره الحاكم الشرعي الأكثر نفوذاً في أوساط الشعب العراقي".

هكذا فهمنا لسماحة الإمام السيد علي السيستاني - دامت
بركاته - حيث عشناه ونحن على مقرية منه فأعجبنا بالحكمة والروية
التي لازال ينتهجها في تعامله مع الواقع العراقي في هذه الظروف الراهنة،
فكيف بالإنسان الذي يعيش وهو بعيد عنه فيعجب به أيمًا أتعجب،
ويندفع قلمه ليسجل عنه بكل لهفة وتقدير ما يوحى إليه ضميره الحر
ومبادئه المقدسة.

وأحسب أن القارئ الكريم بعد أن يقرأ الكتاب الذي بين يديه
سوف يؤيد كل ما قال الكتاب عنه، وأأمل أن تكون الصورة واضحة لا
تحتاج إلى توضيح، وشكراً للكاتب والقارئ حين أتاحتا لي كتابة هذه
السطور عن هذه الشخصية العلمية في مقامها الرفيع، وأنه لا يزال يقود
السفينة بحكمة الريان الماهر.

أدعو العلي القدير أن يجنب الوطن الغالي والمواطنين شر الأشرار،
وعنف الطغاة، ويوفق الجميع لما فيه رضاه.

• محمد بحر العلوم

النجف الاشرف - في ٢٢ رمضان ١٤٢٩ هـ

الفصل الأول:

سيرة حافلة

لقد رأينا ونحن نشرع في إصدار هذا المؤلف عن السيرة الذاتية لسمحة المرجع الديني الإمام السيد علي السيستاني (دام ظله)، أن نعود قليلاً إلى مؤلفنا الأول تحت عنوان (النجف الأشرف بين المرجعية والسياسة) ونقطع ما حررناه عن سماحته إضافة إلى تعديل بعض الفقرات لنبدأ به هذا المؤلف الذي جهدنا أن نحمل بين طياته مجموعة من الآراء حول المرجعية والمواقف التي جابهتها خلال الوضع العراقي القائم.

في الوقت الذي عاش سماحته ظروف صعبة جداً مر بها عراقنا الحبيب في زمن حكم فيه الطاغية بالحديد والنار شعبنا العظيم وتنفس الصعداء بعد القضاء عليه حتى عاد يعاني بعض الحالات التي لابد من الوقوف على حلها.

لقد منَ الله على الدين الإسلامي الحنيف وعلى النجف الأشرف والمرجعية الدينية المقدسة بمراجع كبار أحبوا النجف ووالوا أهل بيته فكانوا أعيوبة زمانهم وقدوة مقلديهم! فلا يدرى الدارس كيف يفضل بعضهم بعضاً وكاهم ذو فضل وذوبان في الذات الإلهية وليس التفضيل بين أولئك الأئمة عملاً يطمأن اليه! فكل يؤدي دوره الرسالي ويمضي ليقوم بعده آخر تصفيفه الحوزة أباً روحياً وقائداً عملياً لمدرسة النجف العلمية! وتشاء الغنية الربانية أن يكون آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى الإمام السيد علي الحسيني السيستاني خير خلف للسلف الصالح من أئمة المرجعية! وقد عالج كثيراً من الأزمات التي تعرضت لها المرجعية والنجف بهدوء الأولياء وصدق الأذكياء وتفاني العلماء فاستحق عن جدارة التكافف المسلمين حول مرجعيته شرقاً وغرباً وبخاصة شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ومحبيهم في النجف الأشرف! وما زال الإمام السيستاني يواصل جهاده على المستويات كافة: الديني الرسالي والوطني

العربي والمحيطين العربي والإسلامي! ونسأله ان يكلل جهاده بال توفيق
آمين. ونحاول فيما يأتي رسم صورة لشخصيته العظيمة.

ولادته ونشاته

هو السيد علي بن العلامة السيد محمد باقر! أحد أشهر المراجع الإمامية، سليل أسرة علم وتقوى! وقد كتب الشيخ اغا بزرگ الطهراني شهادة تقدير للسيد السيستاني أطال الله عمره سنة ١٣٨٠ هـ يثنى فيها على علمه ومهاراته في علمي الرجال والحديث، ومن قبل قد اشى على جده وهو سميء (السيد علي السيستاني) بعلمه الغزير وقواه المتميزة فأطراه وذكر انه نشأ في بيت علم وتقوى و(كان في النجف الأشرف من تلامذة الحجة المؤسس المولى علي النهاوندي، وفي سامراء من تلامذة المجدد الشيرازي ثم اختص بالحجية السيد اسماعيل الصدر في الكاظمية، وفي حدود سنة ١٣١٨ هـ عاد الى مشهد الرضا عليه السلام واستقر فيه وحاز مكانة سامية مع ما كان له من حظ وافر من العلم مقربون بالتقى والصلاح) فأبوه عالم روحاني وسليل اسرة هاشمية حسينية وامه علوية فاضلة رعته كأفضل ما ترعى ام ولیدها وسهرت على تنشئته ولا غرابة في الأمر اذا عرفنا انها ابنة العلامة السيد رضا المهرابي السرابي، وحين بلغ السيد علي السيستاني مبلغ طالب العلم تتلمذ على كبار أئمة الشيعة فكان معروفاً بميله العلمي ونبوغه المبكر وكان ملازماً لآلية الله الامام السيد ابو القاسم الخوئي قدس سره حتى ليتمكن القول ان السيستاني خريج مدرسة الخوئي بجدارة.^(١)

ولد امامنا السيد علي السيستاني في اليوم التاسع من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٩هـ وهو ما يوافق العام الميلادي ١٩٢٠م وكانت ولادته في مدينة مشهد الامام الرضا عليه السلام في اسرة هاشمية علوية حسينية سكنت اصفهان منذ القرن الحادى عشر الهجري وهو ينتمي بأرورته الى الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام وشهرته بالسيستاني عائدة الى شهرة جده السيد محمد الذي شغل مسؤولية - شيخ الإسلام - في سistan وبعهد السلطان حسين الصفوي، اما ابوه فهو الحاجة السيد باقر وجده هو الحاجة السيد علي السيستاني ت ١٣٤٠هـ احد اعلام مدرسي الفقه والاصول في النجف الاشرف وقد مر بنا طرف من نشأته البيتية والعلمية.

تدرج السيد السيستاني في طلب العلم فاهتم بالاوليات والمقدمات ثم الفقه والاصول واللاهوت (المعارف الالهية) فأخذ علومه كما المحتوا على كبار العلماء مثل آية الله الميرزا محمد مهدي الأصفهاني وآية الله الميرزا مهدي الاشتiani صاحب التعليقة على شرح منظومة السبزواري وآية الله الميرزا هاشم القزويني فما كاد عام ١٣٦٨هـ ان ينصرم حتى انتقل الى قم المقدسة ليكون قريباً من حوزتها العلمية فدرس الفقه والاصول وعلم الرجال والحديث على المرجع الكبير آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائي البروجوري، وحضر درس الفقيه العلامة الكبير السيد محمد الحاج الكوهكمري، ومن قم راسل كبار العلماء وناقشهم في امور علمية دقيقة منهم مثلاً السيد علي البهبهاني امام الأحواز وكان البهبهاني من اتباعه، وقد رکز السيد السيستاني على موضوعات مهمة بينها القبلة، وقد أعجب به البهبهاني ایما اعجاب فطريقته في المناقشة تم عن علم غزير وموهبة كبيرة فكتب السيد علي البهبهاني الى السيد

السيستاني خطاباً مورحاً في ٧ رجب ١٣٧٠هـ يمتدح مهاراته العلمية وقوته حجته في النقاش والتحليل وقد وصفه على انه (عمدة العلماء المحققين ونخبة الفقهاء المدققين) ووعده بزيارة قم المقدسة لتنمية الحوار بينهما.

وجاء مطلع عام ١٣٧١هـ ليغادر السيد السيستاني مدينة قم ميمماً وجهه شطر النجف الأشرف آمالاً في الاستزادة العلمية من حوزتها فسكن في مدرسة البخارائي العلمية وحرص على حضور البحوث الفقهية والأصولية فترة طويلة للإمام السيد أبي القاسم الخوئي وأية الله العظمى الشيخ حسين الحلي كما حضر بحوث الإمامين آية الله السيد محسن الحكيم وأية الله السيد الشاهرودي.^(١)

نبوغه العلمي

رأينا فيما مضى نبوغ الإمام السيد علي السيستاني المبكر في قم وكيف قادته مناقشاته مع العلامة البهبهاني الى ان يحصل على شهادة مبكرة منه مؤداتها انه (عمدة العلماء المحققين ونخبة الفقهاء المدققين) وكيف حصل على شهادة من العلامة اغابزرک الطهراني يثنى فيها على نبوغه في علمي الرجال والحديث، يضاف الى ذلك ان الإمام السيستاني حين بلغ الحادية والثلاثين وتحديداً سنة ١٣٨٠هـ نال شهادة الاجتهد المطلق من قبل استاذيه السيد أبي القاسم الخوئي والشيخ حسين الحلي ولم يمنع الإمام الخوئي مثل هذه الشهادة طوال عمره لسوى آية الله الشيخ علي الفلسفي اما آية الله الشيخ الحلي فلم يمنع شهادة لسوى السيستاني!^(٢)

١.السيستاني، مكتب www.holynajaf.net نشرة صادرة من مكتب السيستاني منشورة على الانترنت الصغير. د. محمد حسين. اساطير المرجعية العليا ص ٣٤٤-٣٤١.

٢.السيستاني، مكتب www.holynajaf.net نشرة صادرة من مكتب السيستاني منشورة على الانترنت.

صورة شهادة اجتهاد المرجع الأعلى السيد السيستاني (دام ظله)
بختم السيد الخوئي (قده)

بختم السيد الخوئي

لله ولد ولد عاصي العطاء من سلام بن نهر المأبدي، وفضل الفقيه
علیه السلام، الشهدا، وانتشر سلام في بستان علماء إيران، وأربیت
والآخرين تبشيره جمهواليين بالطبعين المأمورين... فاجتهد
فليس باسم لا ينكر وفضل الأوصي عذر عن اهمل زراعته بار والوابد
بنجاحه خلص أرباب ملائكة عباده بسلام الأبرار والشهداء كمال
قطليه سالوا الله سؤاله ورويوا له السلام والسلام... إلى الكمال
سلام المتقهاء العظام عبد الإسلام السبئي والسيتاني (إذاً سلام)

الأخضر والآصال وكثير الملايين المسلمين امثاله من اندلعت فرحة
البياض على قلوبهم متکاها بغير رحمة عظام الأبرار وأصحاب
علم وتحصیل وتعظیز وتفوق حاليه... طلاقه - شاه، وإن شئت أن
بالمرأة وسازيلها لاجتهاده تلك العذبة باستثنائه لا يكفي بعدها سبعة
عمرها أبداً، بل يكفي عمرها وأدوارها وذريتها عز وجل حبيبنا محمد باعمره
من الكبار لاريته شفاعة العذراء زمانه في التقبية والتجهيز (شافع)
للعلم الآخر: الوسائل ومتذكرة والراوي لخبره ورويها من شفاعة
فهاره ومرتضى هزاره مخدره لسلام العظام... أسلوبهم التجهيز للعمل ثبت
 عليهم افضل للصلة والسلام وارضيات ايمان بلاها استثناء درجة
 لا تخلصها ليس بحسب العذر لدركـ الاختيارات لا يكتفى بالله
 كما ان انت اباها نعم للله بحسب تذهبـ ايكم ابرى نوى
 حربـ في اليوم الذي من المفترض ان يكون

إجازة السيد الخوئي (قدس سره)

نص شهادة اجتهاد المرجع الأعلى السيد السيستاني (دام ظله)

بختم الشيخ حسين الحلي (قده)

نص شهادة اجتهاد المرجع الأعلى السيد السيستاني (دام ظله)

بختم الشيخ حسين الحلي (قده)

سم، سـ الرـ حـ مـ

لـ عـ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خاتمة محمد والآل الطاهرين
رمضانات فضل العلم لا ينفي ويه سنال السعادة الابدية بالظهور
ومن بذلك الوجه في تحصيله ومرتضى على ذلك برضته من عمره حنابنة
السلامة المتحقق حفظ الاسلام السيد على بن المحرم العالم التدرس
الاجماع السيد محمد باقر الحسيني الباقري طايب نزاهه
فائز حنابنه فدحصرا بعشر سنين عدبيه حضور قفهم وتحقيق زمام
وقد تحقق بحقنا في خيرها محمد في تحقيقي وذكرت المذكرة سمعه
من صدقة بالقارئ تبريز الاوصياء وقاد راحته لا شباط ذله العمل بالانتظار
في اسائل الشرعية والحكام الفرعية على مسب الظرفية المعرفة التي
جري علىها بخاتما النظام راس اندنا الكرام هذه ۳۳ اسرار هم
رقدامز... لجنابه ان يبروي على كل ما صحت له اوركتبه باستادی عن
شاختنا العظام فتدنى سلامهم دارصبه علازمه المقربين طربت
الاحتياط وارجوه ان لا ينافي من الدعا، دا سلام عليه
برحمة الله وبرحمةكم

١٧ ذق - ١٤٨٣

الفلح علی الحـ



إجازة الشيخ حبـن الحـ (قدس سره)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَتَبَّعَ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا ونبينا وعلی ولاده وآل بيته وشیخ المؤمنین
ارضیاً وفیاً، بنبه وبنیان السيد النبی العلما، الابرار مولاهم الاحوال
البد علی بر السید محمد باقر بن جعفر اسم العلی علیه الشیفی البستیة فی حوزه
مرتب الشیفی المذکوس العروق وکنیتین مطهارة مذهب جل ارفاقه ومحض
حقیقہ الدین ولایتیاً فی مقدمة علی الحدیث والروایا واخذها فائدة
مهاتمھین الفتن لاسما ایمه المعمور له البروجرد طالبیاً، خصوصاً
پنهانی پسر ایده عارف وفقه کتاب شمیر ماکتبی کتاب تکملة خاتمه المسند لیت فرضه
دو تامه کتاب شمیر بر ایمه العلیہ وبلطفه وبنیه الیعنی داشتیا کتبیه فی الفتن
والمصلحتین فی زیر ایمه ایمه دو کتبیه مسلم وفتلا عن شهادات الفتن
والراساند بیلوجه رسمیا لاجهنا وقدم جوانیه نقلیمیعنی ورقیا سطره من
واجبیه فی الرؤاین منع عن جیع معلمی عجیب طریقہ مرای بالدار: ناطر ایمه ایمه
سالی الحالات دلایل بالتفاویت فی المذاہع المأشریع ونیه ونیه ونیه ونیه ونیه
پیغمبر الرزیعی السعو ونیه ونیه

لقد ابتدأ آية الله السيد السيستاني بالقاء دروسه في علم الاصول شهر شعبان ١٤٨٤هـ فاكمل دورته الثالثة في شعبان ١٤١١هـ فأنجز اثنين وثلاثين كتاباً وبحثاً ورسالة، وهي عدة مجلدات، وكتاب القضاء وكتاب البيع والخيارات ورسالة في القبلة ورسالة في الصلاة واللباس المشكوك ورسالة في التقبية ورسالة في تاريخ تدوين الحديث في الاسلام ونقد رسالة تصحيح الاسانيد للأردبيلي والفوائد الفروعية ورسالة في حكم ما اذا اختلف المجتهدان المتساويان في الفتيا ومنهاج الصالحين ثلاثة مجلدات ورسالة في تحقيق نسبة كتاب العلل الى الفضل بن شاذان.

وقد عني ببحوثه وبخاصة بحوث الخارج وتخرج عليه كبار الفضلاء من نحو الشيخ مهدي مراواريد والعلامة السيد حبيب حسينيان والعلامة السيد احمد المدي والعلامة الشيخ مصطفى الهرندي والعلامة الشيخ باقر الايررواني والعلامة السيد هاشم الهاشمي وسواهم من العلماء الأفاضل.^(١) وفي سنوات الإمام الخوئي الأخيرة بدت الحيرة في الوسط الحوزوي والشارع الشيعي فليس يسيرأ على الحوزة غياب احد ابرز بناتها وروادها و لكن من لطف الله ان الآمال بدأت تتجه الى سماحة السيد السيستاني وبخاصة ان هناك مؤشرات على افضليته لعل اهمها عندما عاد السيد السيستاني استاذه السيد الخوئي في مرضه الذي ألم به ٢٩ ربيع الآخر ١٤٠٩هـ فطلب اليه الإمام الخوئي ان يقيم الصلاة في محراه بجامع الخضراء فلم يوافق السيد السيستاني حباً بأستاذه فقال له السيد الخوئي ممازحاً (لو كنت احکم كما كان يفعل المرحوم آقا حسين القمي لحکمت عليك بلزوم القبول) فطلب التلميذ الى استاذه امهاله بعض الوقت

١.السيستاني، مكتب www.holynajaf.net نشرة صادرة من مكتب السيستاني (م-س).
الصغير، د. محمد حسين. اساطين المرجعية العليا. (مؤلفات السيستاني) ص ٣٤١-٣٩١ مرجع سابق.

وحصل على المهل ثم استجاب وأمَّ المصلين الجمعة ٥ جمادى الآخرة
١٤٠٩هـ الى ثاني الجمعة من ذي الحجة ١٤١٤هـ حيث أغلق الجامع بأيدي
السلطات البعثية.

اذن اختير السيد السيستاني خليفة لأستاذه الكبير السيد الخوئي
فنال تأييد ومساندة كبار العلماء مثل سماحة السيد علي البهشتى
وسماحة الشيخ مرتضى البروجوردى ثم انضم اليه مقلدو الآيات العظام بعد
وفاتهم من نحو السيد عبد الأعلى السبزوارى ت ٢٧ صفر ١٤١٤هـ والسيد
محمد رضا الكلبايكاني ت ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ والشيخ محمد
علي الأراكي والسيد محمد الروحانى.^(١)

ويقول الدكتور الشيخ محمد حسين الصفیر في كتابه أساطين
المرجعية العليا ص ٣٥٤ (ومهما يكن من أمر فقد أصبح السيد السيستاني
هو المرجع الأعلى، وجاءت مرجعيته سليمة من المؤثرات الخارجية
والداخلية، وإن theftت اليه رئاسة الامامية ولم يلغ دور المراجع العظام وإنما
هم يد واحدة لأحتضان الامة، وتعظيم الدين، وهذا من الاسرار الالهية التي
لم تصادر التعذرية في المرجعيات، ولكن المثل الأعلى قائم بذاته، مشخص
بمميزاته.

وينقل الدكتور الصفیر بحثاً عن الاستاذ اسكندر شاكر سعد
بعنوان "كلام في المرجعية الدينية" نشرته صحيفة الشورى اليمنية^(٢) جاء
فيها قوله: (إما إذا أردنا تشخيص المرجعية الدينية فأنتا سنكون بحاجة
إلى مساحة أوسع تفي بهذا الغرض، ولكنني سأورد نموذجاً واحداً وليس

١. www.holynajaf.net ص ١٥ وبعدها فقرة - ٧ - إمامته في الصلاة ٨ - مسيرته الجهادية.

٢. صحيفة الشورى اليمنية، العدد ٣٩٩ الصادر في الأحد ٢٥ جمادى الاول ١٣٢٤ هـ = ٤/٨/٢٠٠٢ م

وحيداً بغية تقرب الصورة، فمثلاً يُقلد ملايين من المسلمين المجتمعين في بقاع مختلفة في العالم، والذين تصل أعدادهم إلى أكثر بكثير من سكان عدد من الدول، وهم مبثوثون هنا وهناك في العراق وإيران وبعض دول الخليج والهند وباكستان وغيرها... يقلدون مرجعية دينية تتمثل في المرجع الديني آية الله علي السيستاني المقيم في النجف الأشرف في العراق، والذي يوصف في الأوساط المطلعة والمهتمة بأنه المرجعية المحضة التي تحظى بشقة العدد الأوفر من المسلمين في العالم، الأمر الذي يجعل من هذه المرجعية معادلاً قوياً من شأنه أن ينعكس إيجابياً على واقع الناس وشؤون حياتهم).

بعض مؤلفات سماحته

- ١ شرح العروة الوثقى.
- ٢ البحوث الأصولية.
- ٣ كتاب القضاء.
- ٤ رسالة في اللباس المشكوك فيه.
- ٥ كتاب البيع والخيارات.
- ٦ رسالة في قاعدة اليد.
- ٧ رسالة في صلاة المسافر.
- ٨ رسالة في قاعدة التجاوز والفراغ.
- ٩ رسالة في القبلة.
- ١٠ رسالة في التقية.

- ١١ رسالة في قاعدة الإلزام.
 - ١٢ رسالة في الإجتهاد والتقليد.
 - ١٣ رسالة في قاعدة لا ضرر ولا ضرار.
 - ١٤ رسالة في الربا.
 - ١٥ رسالة في حجية مراسيل ابن أبي عمير.
 - ١٦ نقد رسالة تصحيح الأسانيد للأردبيلي.
 - ١٧ شرح مشيخة التهذيبين.
 - ١٨ رسالة في مسالك القدماء في حجية الآخيار.
- بالإضافة إلى مؤلفات مخطوططة أخرى ورسائل علمية في الأحكام
للمقلدين.

منهج الإمام السيستاني على بعض الأصعدة

المنهج الأصولي

- ١ التمهيد للبحث بإضاءة تاريخه ومعرفة جذوره مثل بحث في العقائدية والسياسة بعنوان التعادل والتراجم وبحث في الفلسفة عنوانه المشق وتركيبه.
- ٢ الربط بين الفكر الحوزوي والثقافات المعاصرة كما حصل مثلاً في بحثه حول المعنى الحرفي اذ بين الفارق بينه وبين المعنى الأسمى وهل هو فارق ذاتي ام لحظي.

- ٣- الاهتمام بالاصول المرتبطة بالفقه وعدم اثقال البحث بالإستطراد والحوالشى التي لازم لها كبحث الوضع وكونه امراً اعتبارياً او تكوييناً.
- ٤- التجديد والإبداع.
- ٥- المقارنة بين المدارس المختلفة.

المنهج الفقهي

- ١- المقارنة بين فقه الشيعة وفقه غيرهم من المذاهب الاسلامية الأخرى.
- ٢- الاستفادة من علم القانون الحديث في بعض المواضيع الفقهية كمراجعة لقوانين العراق ومصر وفرنسا عند بحثه في كتاب البيع والخيارات.
- ٣- التجديد في الاطروحة.
- ٤- ملاحظة الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية التي اسهمت في تنصيص النص فقد يتتحول النص من التحرير الى الكراهة حين تتبدل الظروف مثلاً.
- ٥- توفير الخبرة بمواد الاستباط.

خصائص شخصيته

لا يمكن تصور عالم ديني كبير بمعزل عن القدرات التي يمتلكها والإستعدادات الفطرية التي جبل عليها والإمام السيستانى حفظه الله ورعاه معروف بسلوكيته الأبوية التي اكسبته منزلة في نفوس الشيعة

بحيث بات مضرب المثل في الخلق القويم والتواضع الحميم ومحبة الآخرين! ويمكن ايجاز ملامح شخصيته كما يلي:

- ١ انصاف الآخر واحترام رأيه.
- ٢ الإلتزام بآداب الحوار.
- ٣ الورع.
- ٤ الرؤية الثاقبة.
- ٥ التفقد بنفسه لأمور الحوزة والناس وعدم التواكل على الآخرين.
- ٦ الثقافة الموسوعية.
- ٧ جرأته في الحق: وقد تحمل من أجلها صنوف الأذى من السلطات البعشية العنصرية الطائفية! فزعمت انه غير عربي والسلطة تعرف قبل غيرها ان سماحة السيد علي السيستاني من الدوحة الهاشمية المحمدية وانه ينتمي الى سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام. وسنرى كيف صبر هذا العلما

المقدس امام التهديد فقد احتاج على تسفير العلماء وطلبة الحوزة بدعوى انهم فرس، وكاد ان يُسْفَرَ عدة مرات بعد ان تم تسفير معظم تلامذته! وحين بدأت القوات المؤتمرة بأوامر صدام حسين هجومها الغاشم على الجارة ايران لإسكات صوت آية الله الامام الخميني (قدس سره) وتعويق منجزات الثورة الإسلامية التي بدأت تشع على دول الجوار! وكان العنت الذي لاقاه السيد السيستاني وطلبة درسه ومربيوه لا يطاق ولكن بقي في النجف محظوظاً برياطة جائمه حفاظاً على الحوزة والعمل من أجل ديمومتها وفي العام ١٤١١هـ عندما استطاع النظام البعثي القضاء على انتفاضة

العراقيين الشعبانية داهمت بيته قوة مكلفة باعتقاله مع مجموعة من العلماء الاعلام كالشهيد الشيخ مرتضى البروجوري والشهيد الميرزا علي الغروي وقد توزع سجنهم بين فندق دار السلام على طريق نجف كربلاء ومعسكر الرزازة ومعقل الرضوانية ونالوا صنوف التكيل وحقق معهم بقصوة بالغة الى ان تم فكاك اسرهم.

وفي ١٤١٣هـ عندما توفي الامام الخوئي وقام السيد السيستاني مقامه في المرجعية سعت السلطات البعثية الى تفريغ كلمة العلماء وتغيير مسار المرجعية في النجف واغلقت جامع الخضراء موضع صلاة الجمعة فيه^١ ويبدو ان النظام البعثي الطائفي قد ايقن ان السيد السيستاني شخصية ذات تأثير كبير على الشارع العراقي إذ لم يجد معه الترغيب او الترهيب فالسيستاني غير مبال للضغوطات الشديدة عليه فتعرض الى هجوم مسلح غادر هو ونجله حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا، فتجاهما الله تعالى، وقتل أحد الحراس وجراح حارس آخر وكان ذلك في ١١ رجب ١٤١٧هـ الموافق ٢٢/١١/١٩٩٦م. وبقي محاصراً في دارهمنذ اواخر ١٤١٨هـ^(١) بحيث لم يستطع زيارة جده أمير المؤمنين فترة طويلة. والذي لا يبعد مقامه عن منزله وعلى خطوات ولفترة طويلة.

ثم تواصل الضغط البعثي على المرجعية حتى يوم سقوطه في ٩ نيسان ٢٠٠٣م ولكن لم يهُن مقتدياً بأجداده أئمة أهل البيت، وبعد سقوط نظام البُعث واجه السيد السيستاني حملات ظالمة كأن ليس من

١. لوبيزاربيير جون. الحركة الدينية الشيعية ص ٢٧٨ ترجمة د. جواد بشارة ضمن مجلة دراسات عراقية (م. س).

حقه التدخل في الشأن العراقي لكن ذلك الهرم صمد امام التفاف كامل الشيعة حول مرجعيته مما اضطر قوات التحالف الى ان تحسب له حساباً مهمأً من خلال تأثيره المباشر في الشارع العراقي! وقد حسم بدهائه كثيراً من المشكلات المعقّدة منها مشكلة الانتخابات والتعداد السكاني فأبلى في ذلك بلاءً حسناً من خلال ثباته على المبدأ مما اكتسبه والحوza مهابة الى مهابة ولم تزل الإحتمالات مفتوحة.

لقد شعر العالم الإسلامي بالذات والعالم الغربي عموماً من خلال اعلامياته ومخابراته ومن خلال الانتفاضات والتظاهرات والإحتجاجات رغم ضغوطات العهد الصدامي وإعتقالاته وسجونه وإعداماته خصوصاً مراجع الدين والعلماء الأعلام فكان إعدام الصدررين والغروي والبروجروي وغيرهم.... حيث يقف عالم الدين الى جانب المواطن العراقي في تقرير مصيره ومناهضة الظلم والإستبدادهما كلف الزمن.

وهكذا كان مرجعنا السيد السيستاني حينما وقف وقفه الشجاع في مطالبيه من الإحتلال فإلتـم الشعب حوله ووقف الى جانبه حتى تحقيق مآربهم.

اتسمت حركة السيد السيستاني بالحذر والتأني منذ بداية سقوط النظام، فهو ليس من الفقهاء القائلين بالولاية المطلقة للفقيه على غرار ما كان يقوله السيد الخميني، من هنا سوف يكون تدخله بقدر ما يحتاج اليه الناس في معرفة امورهم وتشخيص اختياراتهم، مع الابتعاد الكامل عن الدخول في المترن السياسي والتعامل المباشر مع السلطات الأجنبية والتي سميت رسمياً بسلطات الاحتلال، ان الامر المهم الذي راعتـه المرجعية هو الوقوف موقف المراقب الذي يتحقق بالحدث ويصبح المسار مع

ترك الحرية للسياسيين لسلوك الطرق المختلفة في عملهم لكنه لم يكن يمنع نفسه من التدخل عندما يستدعي الأمر ذلك.

لذا كان التركيز في بداية الأمر على عدم تكرار تجربة الانتفاضة الشعبانية وعدم اشاعة حالة القتل والثأر، فكانت الفتوى التي تحرم الأخذ بالثأر وانتظار نشأة المحاكم حتى يأخذ كل صاحب حق حقه، وهذا يستدعي الدعوة لأنشاء دولة القانون والتي تكون محكومة بقانون يحترمه الجميع من دون ان يفرض عليهم، فكان تركيزه على كتابة الدستور بأيدي عراقية من دون املاءات خارجية، ولا تكتبه إلا لجنة منتخبة من الشعب، وهذا يستدعي اتاحة فرصة الانتخابات للشعب ليختار.

الدستور – الانتخابات. مطلبان ركز عليهما سماحته طيلة الفترة الاولى من بعد سقوط النظام. وبعد فترة اعلن عن تحديد موعد الانتخابات العامة لانتخاب مجلس يقوم بكتابة الدستور

وكان لابد للأحزاب السياسية ولعامة الناس من الرجوع للمرجعية من أجل تشخيص كيفية الاختيار وضوابط الانتخاب، فارتأت المرجعية تشكيل لجنة لاختيار من سوف يترشح لمجلس النواب وكان الهدف من التشكيل هو منع الأحزاب السياسية من السيطرة على مجريات الامور ومحاولة ادخال مجموعة من المستقلين حتى يكون هناك توازن داخل المجموعة الشيعية في مجلس النواب حتى يحس الشعب بأنه ممثل في هذا المجلس وبالتالي يكون أكثر تعبيراً عن واقع الشعب، بل لم يكن غير المرجعية ل تستطيع جميع الأحزاب المتنافسة تحت عنوان واحد وجبهة موحدة، فكان أن رضخت كلها لهذا التشكيل الجيد.

فقمت اللجنة باختيار المرشحين من الأحزاب الإسلامية وغيرها بنسبة معينة بمعنى ان يمثل الأحزاب نصف المرشحين والمستقلين يمثلون النصف الآخر، ولم تكن العملية سهلة بسيطة وذلك لما بين الأحزاب من إحن ومشاكل واعتقاد كل منها انه يسحق نسبة اكثراً مما هي مخصصة له، ولم يكن الأمر سهلاً بالنسبة للمستقلين الذين لا يجمعهم تجمع او حزب خاص، بل كان اختيارهم من بين المحافظات المختلفة من خلال جولات قام بها أعضاء اللجنة لمعرفة الأشخاص اللائقين بالدخول في معرك المجلس النيابي الذي سوف ينطوي به كتابة الدستور، وهو القانون الأهم في الدولة.

حاولت اللجنة ان لا يقتصر الاختيار على الإسلاميين بل ان يعم الاختيار للعلمانيين من الشيعة، بل ان يعم الاختيار بعض السنة المعتدلين وبالفعل تم ذلك فكانت قائمة متوازنة نوعاً ما.

وبعد أن تم إعداد القائمة وتوزيعها على المناطق المختلفة، كان العمل المهم الآخر هو العمل الإعلامي، وأن يكون عمل جهاز المرجعية والحوza العلمية دوراً مهماً في إيصال الأمر للناس بأن هذه القائمة هي من اختيار المرجعية، وقد قامت المرجعية بإصدار البيانات والفتاوی لحث الناس على وجوب المشاركة وضرورة الانتخاب، ولو لا هذه البيانات لما كان هذا الإقبال الواسع الكبير على الانتخابات، فأقبل الناس شيوخهم وشبابهم نساءهم ورجالهم، وكان عرساً حقيقياً شارك فيه الجميع وكان الدافع المهم لهذا الإقبال هو تأييد المرجعية وإيجابها المشاركة

اما في الانتخابات الثانية فكان الوضع مختلفاً، اذ ان الدستور قد كتب، وكان انتخاب المجلس ليقوم بدور سياسي في عملية المراقبة والتشريع في اطار الدستور، فلذا رفض تشكيل لجنة لإختيار المرشحين

وترك الأمر للائتلاف نفسه ليقوم بالإختيار، لكن اكتفى بضرورةبقاء
الائتلاف العراقي والمحافظة على هذا العنوان.

وبالتالي اجتمعت الأحزاب الإسلامية مع من كان يمثل المستقلين في الأئتلاف السابق، وبالفعل تم تشكيل قائمة الإئتلاف العراقي الموحد من بين الأحزاب الإسلامية حيث قامت بتقاسم الحصص فيما بينها وأعطت لبعض المستقلين نسبة من المقاعد، ولم تشتراك المرجعية في إختيار المرشحين وإبداء الرأي اتجاه أي منهم وتركت الأمر للقائمين على الإئتلاف، لكن كان التركيز هو المحافظة على الإئتلاف، وبعد ظهور قائمة المرشحين على التركيبة المعروفة الآن، انتقلت إلى المرحلة الثانية وهي هل تؤيد المرجعية هذه القائمة الجديدة للإئتلاف، فلم يظهر من المرجعية بياناً أو فتوى رسمية تجبر الناس على اختيارهم، لكن كانت النتيجة انتصاراً لقائمة الإئتلاف وقد يعود السبب إلى:

- ١- ان المرجعية اصدرت بياناً تضمن نصائح لكيفية الإختيار تكاد تتطبق على الإئتلاف العراقي الموحد.
- ٢- ان تسريبات من المقربين لمكتب المرجعية أدت إلى إشعار الناس بأن هذه القائمة هي المحبذة لدى سماحته.
- ٣- تصريحات قادة السنة بالتحذير من الخطر الشيعي مما أدى إلى إثارة الحس الطائفي بنحو ممizer.
- ٤- لقاء الجزيرة الذي نال من السيد المرجع مما أدى إلى إثارة مشاعر الملايين من العراقيين وخرجت بتظاهرات واسعة في يوم قبل الانتخابات، وكان له الدور الكبير في التأثير على الشعب

والتكلل خلف القائمة الشيعية الأقوى وهي قائمة الإئتلاف العراقي الموحد، وسيأتي البحث عنها.

عقيدة الشيعة الإمامية بالجihad الجامع للشروط

نحن نعتقد ان المجتهد حلقة الوصل بين المكلفين والإمام المعصوم كما نعلم بالضرورة ان الإجتهد واجب كفائي يجب أن ينهض به من يسقط التكليف عن الآخرين لأن الحياة تتتعطل إذا ما فرضنا طلب العلم على كلَّ فرد من ثم درج أهل العلم على هذا منذ أن إستقلت المرجعيه بمسؤولياتها بعد الفيبة الكبرى للإمام المهدى (عج) وإلى اليوم الذي نحن فيه كما نعتقد أن صلاحيات المجتهد لاترقى إلى صلاحيات الإمام المعصوم وليس له بيعة في أعناق المكلفين بقدر ما هو للتزام بالعمل المأوصى به لفتوى المجتهد الذي يجب الرجوع إليه بمقتضى الروايات والاحاديث عن أهل البيت التي صرحت بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم حتى يخرج من عهدة التكليف المخاطب به، وان كانت صلاحياته في بعض المجالات تزييلية وقد توسيع بعض الفقهاء الذين استفادوا من روایات ولاية الفقيه وهم معدودون في ملاك المرجعية الشيعية وقد حفظ المذهب الشيعي في مرحلة الفيبة الكبرى بفضل حكمة وثبتت المرجعية في أشد المراحل صعوبة حتى وضعت دراسات في مراكز البحوث الإستراتيجية حول الفكر الشيعي وسر استمراره وقوة قراره وفي كل الحالات يخرج المذهب معافي من الأزمات التي تعرّضه بفضل الرصيد الهائل من نصوص القرآن والأحاديث والروايات التي ورثها علماء الإمامية عن أهل البيت عليهم السلام وحافظوا عليها من التحرير والوضع وشكلت لديهم منظومة معرفية متمسكة ومباني اعتمدوا عليها في الفتوى والحكم صمدت في ميادين الجدل العلمي وأثبتت قوة الحجة ووضوح البرهان. ولست بصدد

شرح الأدوار التي مرت بها المرجعية وعطائها العلمي وموافقتها التاريخية الشاخصة لأن هذا يحتاج منا إلى وقت طويل وشرح مفصل لاستوعبه قصاصات ورق وإنما يحتاج إلى مجلدات باستثناء الإستعانة ببعض محطات التاريخ التي ترتبط بحاضر المرجعية ويرأي المتواضع لم تمر المرجعية الشيعية بدور معقد سياسياً واجتماعياً كما تمر الآن به مرجعية السيد السيستاني الذي ورث من مرجعية زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الخوئي طاب ثراه وضعاً متقللاً بالأزمات الدولية والإقليمية وتدخل الملفات والتغيرات السريعة وأخطر من ذلك كله فتح الباب من داخل أبناء المذهب لن هب ودب لتسقيط المرجعية والعمل على عزلها عن الجماهير وزعزعة الثقة بها وتصنيفها حسبما تشتهي النفوس وأهم ما يلفت النظر في الموضوع لانجد من مؤسسة رسمية تقف إلى جنب المرجعية للتصدي و الدفاع عنها وهذا يعطيها دليلاً على ان هناك يد غيبة تكفلت بحماية هذا الكيان الذي سار على خط مدرسة أهل البيت ثم بقي معارضًا لكل السلطات الجائرة بعيداً عن مؤسساتها الرسمية التي تفرض عليها قناعات معينة ولأندعي العصمة لها من الأخطاء أو نحيطها بقداسة سياسية أو نضفي عليها من أوهامنا اعتباراً غير معتبر ولكن المنصف المحايد الذي ينظر إلى الأمور من خلال نتائجها يجد السيد السيستاني تميز بحصافة الرأى وصواب النظرة وسعة الصدر الذي استوعب أثقل أزمة مرت ومازالت على العراق الذي وضع المجمع الدولي كل طاقاته ووظف إمكاناته السياسية والعسكرية والإعلامية وأفشل سيناريوهات أعدت من قبل الوافدين على العراق أهمها الحرب الطائفية التي راهنت عليها دول كبرى وغذتها دوائر مخابرات دولية وإقليمية إلا أن السيد كان يعصر قلبه الألم جراء ما يشاهد ويسمع عن المجازر المرهعة ولكنه لم تغلبه العاطفة أو ينجر إلى موقف متشنج وإنما كان يفكر بعواقب الأمور وأبعادها الخطيرة فكلما

حاول السياسيون ورجال الاعلام ان يحصلوا على كلمة تحمل إثارة تحرك الشارع المحتقن ما استطاعوا وانما كان يقول لو قتلوا نصف الشيعة لاتردوا عليهم لأن السنة أنفسنا لازهداً بدمائهم وعدم مبالغات وانما يرى المصلحة بعكس ما يستجيب للعاطفة وبهذا الهدوء وضبط الأعصاب يستطيع ان يلزم أمريكا بما ألمت به نفسها وهو رفع شعار الديموقراطية وحقوق الإنسان فأصرّ على أمرين هامين أولها تشرع الدستور وترك الأمر بيد العراقيين المتخصصين بالقانون الدولي حتى يصيغوا دستوراً عراقياً لامثل له في الوطن العربي الغاضب من تأسيس هذه التجربة والبادرة الخطيرة والأمر الثاني الانتخابات.

وللتأكيد أصدر مكتب السيد السيستاني دام ظله في النجف الأشرف بتاريخ ٥ محرم الحرام ١٤٢٥ هـ البيان التالي:
بيان مكتب السيد في النجف الأشرف^١

بسم الله الرحمن الرحيم

نشر يوم أمس في مقر الأمم المتحدة في نيويورك التقرير الذي أعده فريق المنظمة الدولية لتحقق الحقائق الذي زار العراق مؤخراً، وقد لوحظ اشتمال التقرير على العديد من النقاط التي توافق رؤى المرجعية الدينية ما تم بيانها سابقاً. فقد أكد التقرير على أن "إنشاء حكومة مكتملة الأهلية" يتوقف على إجراء "انتخابات وطنية مباشرة" وأن " فكرة نظام المجتمعات" التي بني عليها اتفاق ١٥/تشرين الثاني "ليست عملية" ولا تتمتع بدعم كافٍ من العراقيين" و"ليست بديلاً عن الانتخابات".

^١ معظم الاستفسارات والبيانات لسماحة آية الله العظمى السيد السيستاني ومكتبه، رجعنا بها إلى كتاب (النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية) أعداد الأستاذ حامد الخفاف

كما أوضح التقرير أنه "بغض النظر عن الآلية التي ستقرر لتشكيل الحكومة الانتقالية في ٣٠ حزيران فلا بد من فهم أن هذه الحكومة ستكون لمدة قصيرة، ويتعين أن تحل محلها في أسرع وقت ممكناً حكومة منتخبة ديمقراطياً ومكتملة الأهلية"، وفي الوقت الذي قرر الفريق الدولي أنه "لا يمكن إجراء انتخابات موثوقة بحلول ٣٠ حزيران" أكد على إمكانية إجرائها بعد بضعة أشهر من ذلك التاريخ "بحلول نهاية عام ٢٠٠٤ أو بعد ذلك بقليل" إذا تم "الشرع فوراً بالأعمال التحضيرية لها"، وبهذا الصدد أوصى الفريق "بالعمل فوراً على إنشاء هيئة انتخابية عراقية مستقلة بدون مزيد من الإبطاء" للقيام بهذه المهمة.

وقد أشار التقرير إلى العديد من العيوب الخطيرة في اتفاق ١٥/تشرين الثاني، ومنها ابتناؤه على "قيام مجلس الحكم بصياغة القانون الأساسي على أساس تشاور وثيق مع سلطة التحالف" وتضمنه "تفاصيل محددة تنص على أحكام رئيسية في القانون الأساسي تلزم مشرعي المستقبل" وما نص عليه من أن "ما يتحقق عليه مجلس الحكم وسلطة التحالف لا يمكن أن يعدل لاحقاً"، وأيضاً ابتناؤه على إقرار "ترتيبات أمنية غير محددة تلزم الحكومة التي ستقام في المستقبل باتفاقيات غير معروفة بعد بين سلطة التحالف ومجلس الحكم" وغير ذلك من "مسائل لم تناقش ولم يتفق عليها لا على مستوى الشعب العراقي ولا على مستوى ممثليه المنتخبين".

وعلى الرغم من استبعاد الفريق الدولي فكرة نقل السيادة إلى حكومة منتخبة بصورة مباشرة، إلا أن ما قررته من إمكانية إجراء انتخابات في نهاية عام ٢٠٠٤ يحظى بأهمية بالغة، ولا سيما مع اقتراح "إجرائها لاختيار جمعية وحيدة تناط بها مهمتان هما وضع دستور البلد والعمل في الوقت نفسه بوصفها الهيئة التشريعية" إلى حين إقرار الدستور

الدائم، مما يعني ذلك كله تقليص المدة التي ستتولى فيها حكومة غير منتخبة زمام الامور في البلد إلى بضعة اشهر فقط، خلافاً لما ورد في اتفاق ١٥/تشرين الثاني من استمرارها في العمل إلى نهاية عام ٢٠٠٥.

وان المرجعية الدينية تطالب بضمانات واضحة - كقرار من مجلس الأمن الدولي - بإجراء انتخابات وفق ذلك التاريخ، ليطمئن الشعب العراقي بأن الأمر لا يخضع مرة أخرى لمزيد من التسويف والمماطلة لذرائع مشابهة للتي تطرح اليوم.

كما تطالب المرجعية بأن تكون (الهيئة غير المنتخبة) التي تسلم لها السلطة في الثلاثين من حزيران "ادارة مؤقتة ذات صلاحيات واضحة ومحدودة تهيئة البلد لانتخابات نزيهة وحرة، وتدير شؤونه خلال الفترة الانتقالية" من دون تمكينها من إتخاذ قرارات مهمة تلزم الحكومة المنبثقة من مجلس منتخب.

وأما فيما يتعلق بالآلية التي سيقرر اعتمادها في عملية نقل السلطة فإن هناك قلقاً متزايداً من أن لا يتيسر للأطراف المعنية التوصل في المدة المتبقية إلى آلية "تتمتع بتأييد الشعب العراقي على أوسع نطاق" كما طالبت بذلك الأمم المتحدة، وأن تجد هذه الأطراف نفسها في مطب المحاصصات العرقية والطائفية والسياسية، التي سعت المرجعية في تجاوزها بالدعوة إلى الاعتماد على آلية الانتخابات العامة.

نسأل الله العلي القدير أن يوفق الجميع لما فيه خير الشعب العراقي العزيز ورفعته واستقراره، إنه سميع مجيب.

٥/المحرم الحرام/١٤٢٥هـ

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) - النجف الأشرف

الإمام السيستاني خارج عرينه في النجف الأشرف

تعتمد المرجعية الدينية - فيما اتصفت والتزمت به عموماً - في تسيير أعمالها وتحقيق أهدافها على مبدأ الثقة بالدرجة الأولى فيمن تثق به فتضُع ثقلها ومهمتها في أفراد عادة ما يكونوا معدودين، الامر الذي كلف المرجعية الدينية على طول الخط منذ عصر أمير المؤمنين علي عليه السلام ومروءاً بالغيبتين الصغرى والكبرى ونهاية بنوابة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه، فكان هذا المبدء مكلاً وباهضاً على حساب مقومات لازمة أخرى ينبغي توفرها فيمن تُسند إلى مثله تلك المسؤوليات الجسمان لضمان نجاح أكبر وأوسع يتناسب مع اسم وعنوان وواقع مرحلة دينية لأمة تُعد بالملائين. ومع كل ما يذكر من أمور هنا أو هناك عن طيب خاطر وقلب متحرق تارة، أو نقد أخوي ببناء تارة أخرى، أو تخرصات وتربيصات أحياناً، فإن الواقع العملي هو شئ آخر على الساحة. ويكتفي للمنصف مشاهدة العديد من المنجزات في شتى البقاع وشتى الميادين، أو متابعة بعض ما يذكره رفقاء الدرب العارفين بصغر الأمور وكبارها ليطلعوا على ما يلزم، والله ولي التوفيق.

ومن اعتمدتهم المرجعية الدينية العليا في الوقت الراهن، عدداً من الشخصيات المهمة والفاعلة، ذات التاريخ النزيه والصيت اللامع والأخلاق العالية والقوى الواضحة. وفي طليعتهم سماحة السيد مرتضى المهربي حفظه الله في الكويت، وسماحة السيد جواد الشهريستاني في قم المقدسة، وسماحة السيد مرتضى الكشميري في دبي ولندن.

فقد منح سماحة المرجع دام ظله هؤلاء اجازات شرعية مطلقة وصلاحيات كبيرة تحولهم القيام بمهامات كبيرة وجسمية. فكان لكل

منهم إشراف على عدة مشاريع إنسانية ودينية تشهد الساحة العالمية لهم. ويكتفي مراجعة بسيطة لإنجازاتهم لمعرفة الكم الكبير من المجزات العلمية والدينية والانسانية بما تبعث على التشريف والفخر. فهناك العديد من مراكز العلم والبحث والمكتبات والمراكز الإسلامية العامة والمساعدات الإنسانية المتعددة التي تشهد لها العديد من دول الشرق الأوسط والأدنى بما لا تسع لها هذه الصفحات، لولا جهودهم ومساعيهم لما كان لها شئ يذكر.

واما البلدان الغربية كأوروبا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية، بل والافريقية أيضاً، فهناك ييرز فيه جهد وجihad سماحة حجة الاسلام السيد مرتضى الكشميري (الصهر الأكبر والأول لسماحة السيد المرجع) والذي ما برح متقللاً طيلة أيام سنته من بلد الى آخر، مفارقاً عياله وأولاده، ليس إلا لمتابعة أوضاع وأحوال أتباع أهل البيت عليهم السلام، مشكلاً حلقة وصل مهمة بين المرجعية الدينية وبين المؤمنين على مختلف قومياتهم وألوانهم ولغاتهم، يسعفهم ويمدهم بكل ما يستطيع من إمكانيات وقوة في تأسيس وبناء وإعانته مراكز اسلامية هنا وهناك، ويمدهم بعلماء ومفكرين وأساتذه حسب الامكانيات والمؤهلات. وبسرد سريع وعاجل لمجمل إنجازاته وما أثمرت به خطواته منذ بدايات التسعينات وحتى اليوم يمكن أن يكون كالتالي:

المملكة المتحدة ..

لندن

تأسيس مؤسسة الامام علي (ع)، وهي باكورة أعمال سماحته. فبعد أن برزت واتسعت مرجعية سماحة السيد السيستاني مد ظله، وبناء على إشارات عدد من الفضلاء والوجهاء من المؤمنين فقد تم افتتاح هذه

المؤسسة لتكون مركز إرتباط مباشر بين المرجعية الدينية وبين المؤمنين في بريطانيا.

ومن أهم ما تقوم به هو:

- الإجابة على استفتاءات المؤمنين عبر شبكة الانترنت والهاتف.
- مقر وساحة بحث للعلماء والطلبة الباحثين والمحصلين الحوزويين على مختلف المستويات.
- إنتداب وإرسال المبلغين الى سائر أنحاء أوروبا للتبلیغ الديني.
- طباعة ونشر أهم الكتب العقائدية والفقهية بمختلف اللغات وفي طليعتها الانجليزية، الالمانية، الروسية والفرنسية.
- تأسيس المجلس الشيعي البريطاني بادارة نخبة من الأساتذة والوجهاء.
- إقامة ندوات ومؤتمرات مختلفة.
- مجلس لحل المشاكل الأسرية والعائلية مؤلف من ١٦ عالم دين وشخصية دينية.
- رعاية ومساعدة ١٦ مدرسة شيعية داخل المملكة وخارجها.
- مكتبة عامة تحتوي على أكثر من عشرة آلاف كتاب.
- إصدار نشرة باسم "الهادي" ومجلة باسم "صوت الاسلام".

كاردف

مركز الامام علي (ع)، يحتوي على مساحة ١٥٠٠ متر مربع، تقام فيه النشاطات والاحتفالات الدينية العامة ويقدم خدمات دينية واجتماعية لعموم المؤمنين في المنطقة.

أوروبا

- مركز الكوثر الثقافي في هولندا، وهو أكبر مركز إسلامي شيعي في أوروبا قاطبة. يحتوي على قاعات كبيرة ومدرسة وسكن لإمام المركز. يقدم الخدمات الإسلامية العامة وإحياء المناسبات الدينية وإقامة المؤتمرات والندوات.
- مركز الغدير الإسلامي في بلجيكا، في أشهر منطقة تجارية عالمياً، وهي إنثربن المعروفة باستيراد ألماس لصياغته وإعادة تصديره. يقدم الخدمات الإسلامية العامة لأبناء المؤمنين ويحتوي على مراافق عديدة تلبى حاجات دينية وثقافية.
- مركز التراث الإسلامي في برلين ألمانيا، وهو مركز علمي يعنى بشؤون الدعوة والتبلیغ والمستبصرين. وقد فاق عدد المستبصرين من خلاله الثلاثمائة مؤمناً ابتداءً، وبلغ المئات حتى اليوم. ويحتوي أيضاً على قسم ترجمة الى الالمانية، وقد تمت فيه ترجمة عدد من الكتب المهمة.
- مؤسسة القائم (عج) في بروكسل، وهي مؤسسة ثقافية تعنى بنشر الثقافة الإسلامية وفق مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال مختلف الفعاليات والأنشطة التبليغية، وفي طليعتها طباعة ونشر مجلة تعنى بالفكر الإسلامي.
- مؤسسة الإمام المنتظر (عج) في السويد، وهي مؤسسة دينية ثقافية تهتم بالتوعية الدينية والثقافية العامة، وتهتم بالشؤون الشيعية العامة. ومن أهم نشاطاتها إنشاء مجلس إسلامي شيعي.

مدغشقر، افريقيا

- بناء مجمع سكني للمحتاجين والمعوزين.
- انشاء مستوصف خيري.
- تأسيس مدرسة تحمل اسم مدرسة الامام الحسين عليه السلام.

كندا

- كالكري، تم تأسيس مركز الغدير الاسلامي، ويقدم سائر الخدمات الدينية والتبلغية للمؤمنين على مدار السنة.
- تورنتو، تأسيس مؤسسة الامام الحسين عليه السلام تهتم بأمور المؤمنين الدينية والشرعية والى جانبها أنشئت مقبرة باسم "وادي السلام" بمساحة ٢٧ أيكراً بهمة ومساندة أحد المحسنين.

الولايات المتحدة الأمريكية

تم إنشاء مؤسسة الامام المهدي (عج) للمرجعية (I.M.A.M.) سنة ٢٠٠٢، لتكون مركز ارتباط بالمرجعية الدينية العليا لشؤون أمريكا الشمالية. ولها فروع في عدة مدن وعلى رأسها لوس انجلوس وديترويت وغيرهما. وقد أوعز إدارتها ومسؤولياتها الى أخيه سماحة السيد محمد باقر الكشميري وعدد من الاफاضل. وتتميز المؤسسة هذه بهيكلية جديدة نوعاً ما. فإضافة لهيئة الامناء، والهيئة الادارية من أهل الاختصاص، فإن لها هيئة استشارية واسعة مكونة من وجهاء المؤمنين على مختلف قومياتهم تسعى لتغطية سائر مدن أمريكا وكندا. وإضافة لدورها العام بربط المؤمنين بالمرجعية الدينية فهي تقوم بدعم ومساندة العلماء والمبلغين والخطباء ومن أبرز ذلك إقامتها مؤتمرات خاصة بعلماء الشيعية سنوياً يلتقي فيها أصحاب السماحة والفضيلة من علماء ومبلغين وخطباء

ومفكرين من كل حدب وصوب لتدارس ومناقشة أمور المسلمين عموماً والشيعة خصوصاً وتقديم ما يلزم من نصائح وإرشادات للمؤمنين. وكان بفضل هذا المجلس أن أنشأت ولأول مرة لجنة تهتم بتقصي أهلة الشهور الهجرية سعياً للملمة المؤمنين وتقليل الفوائل والاختلافات بينهم. وللجنة أخرى تهتم بأمور الطلاق والمشاكل العائلية المستعصية المناطق أمرها بالحاكم الشرعي.

وللمؤسسة عدة أقسام تدار من قبل أصحاب سماحة متربسين وأكاديميين مختصين من أهمها :

- ١ - قسم الإستفتاءات الشرعية: يستقبل عبر مختلف قنوات الإتصال شتى الإستفتاءات الفقهية والاسئلة العقائدية وغيرها بمختلف اللغات، والاجابة عليها مع التوثيق والارشفة.
- ٢ - قسم التعليم الديني: يقيم دورات وندوات وصفوف تعليمية خاصة يتدارس من خلالها علوم آل محمد عليهم السلام بما ينهض بثقافية فقهية وعقائدية وفكرية مؤهلة للتبلیغ الديني بلغة البلد. كما ويهتم بتألیف وإصدار عدد من الكتب والملاحم على الصعيد الفقهي والفكري أيضاً.
- ٣ - قسم الشؤون العائلية: يختص بأمور الزواج والطلاق والوصية والارث، و المساعدة على حل الاختلافات العائلية والاجتماعية.
- ٤ - قسم الخدمات الاجتماعية: وهو قسم يؤدي خدمات متعددة مثل:
 - أ - مؤسسة أيتامي، وهي مؤسسة أم تجمع وتساعد على جمع التبرعات الخاصة للأيتام وتكلفهم وتنقلها الى مؤسسات مماثلة

مختصة بالآيتام في عدة بلدان مثل العراق، لبنان، الباكستان والهند.

بـ- فريق ذو خبرة عملية واسعة لمعالجة بعض الامراض النفسية الناجمة من العقد وانفصام الشخصية لاسيما لدى الشباب والياافعين. إذ تمت معالجة ومحاولة معالجة عدد غير قليل من أبناء الجالية من لا يمكنهم مفاتحة حالاتهم بشكل اعتيادي لأحد.

جـ- إقامة دروس وندوات للتوجيه العام بما يخص معرفة قوانين البلد، وقوانين الضرائب، وحلول لأزمات اقتصادية، وتعريف بقوانين الاحوال الشخصية وغير ذلك بما يساعد على تربية مواطنين عارفين وصالحين بنظر القانون وليس الشريعة فقط.

دـ- تقديم معونات مالية وعينية للمحتاجين والمعوزين الذين لا يكفيهم الضمان الاجتماعي او حالات الهجرة الخاصة او النقص في الضمان الصحي، وذلك حسب الامكانية وتوفرها.

ـ ٥- قسم الكتاب والمكتبة: نظراً للكثافة السكانية وحاجة المطالعين والباحثين والمثقفين في منطقة ديترويت، فقد أنشت مكتبة تحتوي على أكثر من إثنى عشر ألف كتاب في مختلف العلوم ومن أمها مصادر التفسير والفقه والحديث والتاريخ والموسوعات العلمية والاكاديمية وباللغتين العربية والإنجليزية، تفتح أبوابها يومياً وعلى مدى الأسبوع. ويتوقع لها أن تقدم الى مستوى البحث الإلكتروني والارتباط بمراكز العلم والبحث وتكون مقدمة لمركز أبحاث متقدم ياذنه تعالى.

٦- قسم الانشطة الترفيهية والثقافية: يكرس هذا القسم أنشطته في تربية كوادر شبابية ميدانية تنشئ وتقيم مهرجانات ومخيمات ثقافية وترفيهية للعوائل وللشباب والياfrican. ومن أهم ما تقوم به حالياً مهرجان عيد الفطر السنوي يقام في أول أحد من بعد العيد في جنوب كاليفورنيا يحضره أكثر من ألفي شخص من مختلف القوميات واللغات من أتباع أهل البيت عليهم السلام. كما يعقد مهرجانات عامة في ديترويت لاحياء المناسبات الكبرى كولادة النبي الاكرم (ص) وأمير المؤمنين (ع) والحجۃ المنتظر (عج) والغدیر والعیدین وغير ذلك.

٧- القسم الإعلامي:

- أ- قناة الإسراء الالكترونية www.ascenttv.net وهي أول قناة تلفزيونية اسلامية ملتزمة تقدم برامجها باللغة الانجليزية وبأسلوب وطريقة مميزة، وتتنوع بين مقابلات وتمثيليات ومطارحات ونقاشات تهم الشاب المسلم المعاصر.
- ب- مجلة تأملات (*Reflections*) باللغة الانجليزية. وهي مجلة فصلية مميزة بطرحها وإخراجها وخطابها وتأتي في مقدمة وطبعية الاصدارات الاسلامية القليلة أساساً في الولايات المتحدة. وتوزع على مختلف الولايات وحتى خارج أمريكا، كما توزع على أهم المكتبات الامريكية العامة ومراعك البحث الجامعي.
- ج- نشرة فقهنا: نظراً للكثافة السكانية العربية منطقة ديترويت و حاجتها الى التواصل الدائم مع المرجعية الدينية والاطلاع على آخر أخبارها واستفهاماتها فقد أصدرت نشرة فقهنا باللغة العربية

طبع وتنشر شهرياً في المنطقة وأهم المناطق الأخرى الناطقة باللغة العربية.

د- الموقع الالكتروني للمؤسسة باللغتين العربية والإنجليزية. وهو موقع متميز ومهم يزار بشكل يومي من قبل سائر المؤمنين من مختلف البقاع في أمريكا الشمالية لتلقي أخبار الأهلة والأنشطة والبيانات والتوجيهات وغيرها.

ومن أهم ما يقوم به المكتب أيضاً هو تقديم الدعم المعنوي والمادي للعديد من المراكز والمؤسسات الشيعية في أمريكا الشمالية لاسيما بتوفير إجازات خطية باستلام الحقوق الشرعية وصرفها في المشاريع الإسلامية والتبليغية لخدمة المؤمنين وذلك وفق أسس وشروط تضمن حفظ وسلامة الأوقاف الشيعية. ويأتي في طليعة تلكم المراكز والمؤسسات مجمع الإمام (عج) في ديترويت الذي يتوقع له أن يكون أول مشروع شيعي متكملاً من حيث توفره على مدرسة نموذجية بدوام كامل لسائر المراحل الدراسية ومسجد ونادي رياضي محتشم يخدم العوائل أيضاً. وهو المشروع الأول الذي حظي بإجازات خطية من سائر مراجع الدين في النجف الأشرف.

الشرق الأوسط والخليج وأيران

إما الشرق الأوسط والخليج وأيران فهناك الشخصية الثانية وهو الصهر الثاني لسماحة السيد السيستاني هو سماحة حجة الإسلام السيد جواد الشهريستاني، الشخصية التي دأبت تقضي معظم وقتها في خدمة الجماهير المسلمة منذ أن كان يتولى مكتب أهل البيت (ع) لأحياء العلوم الإسلامية في قم في مطبوعاته للمخطوطات القيمة وإتصالاته المشتغلة في

عالم الحوزة والمرجعية، فكان للمرجعية دعمًا، وحيث برزت كانت نشاطاته:

- ١- مركز أهل البيت العالمي، وهو المركز الذي تأسس ودخل عالم التنفيذ عملياً في عيد الفدير ١٤١٨هـ.
- ٢- مركز الإمام الرضا (ع) المعلوماتي، وقد أفتتح في المبعث النبوى الشريف عام ١٤٢٠هـ، وكان نشاطه في تأسيس الموقع للمركز ضمن الإهتمام بالإسلام وبالإمام الرضا (ع)، والمكتبة الإسلامية، وتاريخ مشهد، وعالم الإسلام عامه.
- ٣- مركز أحياء التراث الإسلامي، ومهمته الكشف عن نوادر المخطوطات، والبحث عن شذرات الآثار العلمية سواء كان ذلك في المكتبات الخاصة أو المؤسسات العامة.
- ٤- مؤسسة الإمام علي (ع)، وهي تعنى بشؤون الترجمة والنشر إلى اللغات العالمية الحية وتتبني إيصال الفكر الإمامي خالصاً إلى مختلف الأمم والشعوب، وتيسير الفتاوى والعقائد والأحكام، وربط ذلك كله بالتواصل المرجعي ويقوم عليها متخصصون في اللغات.
- ٥- المكتبات المتخصصة، وهدفها توفير المراجع والمصادر في شتى الفنون المعرفية، وإعداد تقويم عام لأبرز الرسائل في المواضيع العلمية، وعقد الندوات والمؤتمرات الخاصة بالبرنامج المكتبي، وأبرز هذه المكتبات: مكتبة التفسير وعلوم القرآن، مكتبة علوم الحديث الشريف، المكتبة الفقهية - الأصولية المتخصصة،

مكتبة الفلسفة وعلم الكلام، المكتبة الأدبية المتخصصة،
المكتبة التاريخية، مكتبة المحقق الطباطبائي، يضاف الى هذا
دار الزهراء (ع) الثقافية الخاصة بما أنجزته المرأة المسلمة من
كتب ورسائل وأبحاث ومقالات في شتى الحقول الإنسانية.

-٦- المراكز العلمية المتعددة، وهناك المشاريع العملاقة المتقدمة على
شكل مراكز علمية متخصصة كمركز الأبحاث والدراسات
الفلكلورية - النجومية، ومؤسسة الإمام الرضا (ع)، مركز الإمام
الصادق (ع) لدراسات الطب الإسلامي.

جاءت مرجعية السيد السيستاني رحمة للقراء والجياع والبائسين
فضلاً عن المساعدات المالية المستمرة، والرواتب الشهرية المنتظمة فهناك
حقول إنسانية تشمل متضرري الزلزال والفيضانات والكوارث الطبيعية
حيث يجري تفاديها بالدم الدائم، وتحفيض أحاديثها بالتأمين المتواصل.

وقد تم مؤخراً في عام ١٤٢٠هـ إنشاء مستوصف الإمام الصادق (ع)
الخيري في قم المقدسة، حيث خصص لإجراء الفحص الطبي والعلاج
السريري، والكشف التخصصي مع مراعات طب الأطفال وخاصة،
والتأكد على أمراض الأنف والأذن والحنجرة، والأمراض الكلوية،
والمجاري البولية، والكسور والمفاصل والظامان، والأمراض الجلدية، وطب
العيون، والحالات النفسية والعصبية، ويفطي الدواء، وتجرى بعض

١ وقد انتقلت الى النجف الأشرف ويديرها الشاعر السيد مهند السيد مصطفى جمال الدين وتختص
باقامة الندوات الأدبية في ذكر ميلاد ووفيات آئمه أهل البيت عليهم السلام وتكريم الشخصيات العلمية
والأدبية

العمليات الجراحية، وتحطيط القلب، وتقويم البصر على أيدي المتخصصين.

ولم تنسى قيادة المرجعية الدينية توفير أهم مستلزمات الحياة في تهيئة المنازل لأهل العلم، وتشييد المجمعات السكنية مثل:

١ - مدينة السيد السيستاني السكنية، وتشمل على المرافق الضرورية الأساسية ووسائل التدفئة والتبريد بما يعتبر عملاً نموذجياً رائعاً.

٢ - مجمع المهدية السكني، وقد أقيم في مدينة قم المقدسة تبركاً باسم صاحب الأمر (عج) وقد ساهم في إنشاءه عدة من المراجع العظام، وقد أمرت المرجعية الدينية بتشييد ٢٠٠ وحدة سكنية تشمل على ضروريات السكن.

٣ - مجمع الزهراء السكني، وقد تم المباشرة فيه بمساعدة أهل الخير والمصلحة العامة.

٤ - مجمع ثامن الحجج (ع)، ومقره في رحاب الإمام الرضا (ع) في مدينة مشهد.^(١)

والحديث يطول بتعدد مشاريع الإمام السيستاني خارج عرينه في النجف الأشرف ونحن قد ذكرنا لقطات من تلك الأعمال.

١. الصغير، د. محمد حسين. اساطير المرجعية العليا في النجف الأشرف ص ٣٧٧-٣٨٢.

**الفصل الثاني:
موقفه من الإحتلال**

هناك ثبات مبدئي لدى الشيعة عامة يتمثل في مواقف المراجع العظام من الاحتلال فقد (كانت مدینتا النجف وكربلا واما المرکزان الدينيان العظيمان في العراق قد اصبحتا من المراكز الاساسية للشعور الوطني وكانت الاحوال في النجف خاصة في تأزم شديد منذ ٢١ آذار مارس ١٩١٨م حينما قتل بعض النجفيين الحاكم البريطاني الكابتن مارشال فحاصر الانكليز المدينة اربعين يوماً وحين دخل الانكليز المدينة قاموا بسلسلة من اعمال القمع فشنقوا احد عشر شخصاً).^(١)

إن دور العلماء في الحركة السياسية والاجتماعية دور اساسي لا ينفك عن حركة الشعب! وقد نهض آية الله الميرزا محمد تقى الشيرازي ت ١٣٢٨هـ والمراجع العظام بدعم ثورة الشعب العراقي في الخامس عشر من شعبان سنة ١٩٢٠م ضد الاحتلال وكان شعراء الشيعة يذكرون الحماسة ضد المحتل بينما رحب جميل صدقى الزهاوى وحمل حملة شعواء على الثوار الشيعة! فهو يخاطب المحتل الانكليزي:

عد للعراق واصلح منه ما فسدا وابتث به العدل وامنح أهله الرغدا

الشعب فيك عليك اليوم معتمد فيما يكون كما قد كان معتمدا
أرأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا إثارة الشر فيه وهو ما قصدا^(٢)

لقد وقف المرجع الديني الأعلى للأمام السيد ابو الحسن الموسوي والمرجع الديني الأعلى للأمام الميرزا الثنائيني بحزن ضد تنصيب الملك فيصل بن الحسين لأن فيصل لا يمتلك فكرة كافية عن العراق! فضلاً عنأهلية

١. البزار، عبد الرحمن، العراق من الاحتلال الى الاستقلال ص ٨٤ طبع ٤ دار البراق لندن ١٩٩٧.

٢. الصالحي، عبد الحسين، من اوراق ثورة العشرين، ص ٧٥ مجلة النبا عدد ٥١ سنة ٦ تشرين ثاني ٢٠٠٠، بيروت.

الكثير من العراقيين الشيعة لتبوء منصبه^(١) وفي نفس الوقت الذي كانت الحوزة في النجف تصر على ضرورة ان يكون الحكم عراقياً كان عبد الرحمن النقيب النقشبendi الكيلاني يرى ان التعاون مع البريطانيين ضروري وان العراق لا يمكن ان يكون مستقلاً^(٢).

وهكذا تأسست الدولة العراقية بزعامة الملك فيصل الأول بعد ان غابت المرجعية الشيعية وابعدت عن السياسة والمجتمع والارشاد بل وابعد العديد من العلماء خارج العراق وطلت العهود كل العهود تغيب دور المرجعية بحجج كثيرة منها ان الدين ينبغي ان يكون بعيداً عن السياسة! ومنها انه لا يحق للمرجع الديني اذا كان لا يحمل الجنسية العراقية ان يبدي رأياً في الحكومة العراقية والشأن العراقي!! لكن العقل القيادي للمرجعية تمرس في ردع الحجج الواهية التي تسعى الى تهميش دور المرجعية ومن ثم تهميش الأكثريّة في الشعب العراقي! وآية ذلك الموقف الحاذق للمرجعية العليا بعد سقوط صدام حسين فطالبت بقرار واضح قوات الاحتلال بالرضوخ الى الديمقراطية لتشكيل حكومة عراقية منتخبة قادرة على ادارة دفة البلاد من خلال ثقة العراقيين بها والتفاهم حولها مما يعني المناخ العملي لخروج القوات الاجنبية من العراق^(٣) وقد كان موقف المرجعية وراجعتنا العظام ضد الانكليز ضد الحكم الملكي واستمرار جهادهم وتصاعدده ضد الحكم العسكري بواجهة النظام الجمهوري ابتداء بعد الكريم قاسم وانتهاء بصدام حسين! ونحن

١. عواد. د. عبد الحسين مهدي. محنة العراق الى اين ص ٥٦ طبع مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت ٢٠٠٤.

٢. عترسي. جعفر. سقوط بغداد والتحولات الكبرى ص ١٩٣ ثم ص ٢٠٨ طبع دار المحجة البيضاء. بيروت ٢٠٠٤.

٣. عواد. د. عبد الحسين مهدي ص ٦٤ (م.س).

نرصد وقفة آية الله العظمى السيد علي السيستاني من الاحتلال الاجنبي
مهما كانت دوافعه!! فقد عمل بفكره الوقد على سد الثغرات في الموقف
الشيعي حتى لا تتكرر اخطاء القيادة الشيعية التي حدثت في الازمنة
الغابرية! اذ ما تزال ذاكرة بعض المعمرين تحكي للأجيال كيف (اضطر
الثوار الى اختراق الآبار والقنوات واستعرضوا انفسهم وهم في اكفانهم في
شوارع النجف واسواقها) بعد فشل الدفاع عن النجف ضد حصار المحتل
الانكليزي فضلاً عن تجربة انتفاضة شعبان ١٩٩١م! التي كلفت الشيعة
خسائر فادحة وكبيرة!

إن مرجعية آية الله السيستاني تترجم موقف الشيعة المبدئي من
الاحتلال ايًّا كان! فالانتخابات هي الوسيلة الوحيدة لاستقرار الامن
والاقتصاد وخروج المحتل!

المرجعية السيستانية عبأت ايضا الشارع العراقي للوقوف بوجه
المكر البعشي الذي يريد العودة الى امتيازاته واعماله الكارثية من خلال
تصيد الاطباء التي ترتكبها السلطة، والبعثيون حين يخططون لهدف ما
فإنهم يقدمون التنازلات المهينة فإذا استمكنا بطنشوا بمن تنازلوا له! فها
هو وزير خارجية هولندة السابق ماكس فان ديرستول Max van der Stoel
الذي زار النجف في كانون الثاني ١٩٩٢م قدم الى لجنة حقوق الانسان
التابعة للأمم المتحدة تقريراً لاحظ فيه تهديم فداناً عديدة في مقبرة وادي
السلام المقدسة الشهيرة وشق طريق خارجي فوق القبور وهو عمل بدا له
انه من اعمال التدينis المتمعة من جانب الحكومة وان مكتبات تحوي
مخطبوطات تشكل جزءاً من التقاليد الاسلامية قد دمرت عن عمد وان
مساجد عديدة ومدارس دينية هدمت وانخفض عدد رجال الدين من بضعة

آلاف في النجف عام ١٩٧٠ م الى ٨٠٠ طالب ورجل دين بعد انتفاضة آذار
١٩٩١ م إ.هـ^(١)

لقد وجد الإمام السيستاني امور العراق غاية في التعقيد والسوء فتطلب ذلك منه بذل جهود كبيرة لتوحيد صف المرجعية والقبائل الشيعية وخلق علاقات طيبة مع الاخوة السنة وعلماء الأديان الأخرى وكان له ما أراد! وكان الإمام السيستاني توافقاً إلى تغيير النظام في العراق داخلياً دون حاجة إلى الاستعانة بالاحتلال! ففي مقابلة لسماحته مع صحيفة ديرشبيجل الالمانية قال بوضوح لا لبس فيه (لم يكن المنشود تغيير النظام الاستبدادي عن طريق الغزو والاحتلال بما استتبع ذلك من مأسٍ كثيرة، ومنها انهيار مقومات الدولة العراقية وانعدام الأمن والاستقرار وتفاقم الجرائم وتلف الكثير من الممتلكات العامة حرقاً ونهباً وتدميراً وغير ذلك)^(٢)

أسئلة مجلة «دير شبيغل» الألمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

س١: هل تمت عملية إسقاط نظام صدام حسين بالشكل المنشود؟

ج١: لم يكن المنشود تغيير النظام الاستبدادي عن طريق الغزو والاحتلال بما استتبع ذلك من مأسٍ كثيرة، ومنها انهيار مقومات الدولة العراقية وانعدام الأمن والاستقرار وتفاقم الجرائم وتلف الكثير من الممتلكات العامة حرقاً ونهباً وتدميراً وغير ذلك.

١. نقاش. شيعة العراق. ص ٥٠١ (م. س). طبعة دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، طبعة ثانية، ترجمة عبد الإله النعيمي.

٢. دير شبيغل. صحيفة المانيا. أسئلة موجهة إلى سماحة السيد علي السيستاني. تحت رقم ١٠٢ / ٢٤ تاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٤٢٤ (وثيقة مرفقة).

س٢: إنكم يا سماحة السيد تحبذون إجراء انتخابات عامة قبل نهاية شهر حزيران في حين يعمل المحتلون على إطالة فترة بقائهم ويدعون إلى تشكيل مجلس انتقالي غير منتخب من الشعب ينقل السلطة فيما بعد لحكومة منتخبة في مستقبل غير معروف، ما رأيكم في هذه الخطط؟

ج٢: إن الانتخابات هي الطريقة المثلثة لتمكين الشعب العراقي من تشكيل حكومة ترعى مصالحه، وفي بلد مثل العراق متعدد الأعراق والطوائف لا يمكن تجاوز المحاصصات العرقية والطائفية في آلية تشكيلية حكومية إلا بالرجوع إلى صناديق الاقتراع. ولكن إذا لم يكن يتيسر إجراء الانتخابات في المدة المتبقية إلى نهاية حزيران – وليس السبب وراء ذلك إلا مماطلة سلطة الاحتلال وتسوييفها المستمر في اتخاذ الخطوات اللازمة لإعداد الانتخابات طوال الأشهر السابقة – فإنه لا بد من التأكيد على أمرين:

ضرورة الإسراع في الإعداد لإجراء الانتخابات في أقرب فرصة ممكنة، والمطلوب تقديم ضمانات واضحة – كقرار من مجلس الأمن الدولي – بذلك ليطمئن الشعب العراقي بأن الانتخابات سوف لن تعرقل مرة أخرى لذرائع مشابهة للتي تطرح اليوم.

ضرورة تحديد صلاحيات الهيئة غير المنتخبة التي تسلم لها السلطة في الثلاثين من حزيران، وعدم تمكينها من اتخاذ القرارات المهمة المتعلقة بالسياسات المستقبلية للبلد في المجالات المختلفة، بل ترك ذلك للحكومة المنبثقة من المجلس المنتخب من قبل الشعب مباشرة.

س٣: ماذا تتوقعون من دور للأمم المتحدة في المرحلة القادمة؟
ج٣: إن المرجعية الدينية قد سبق لها أن طالبت – في رسالة التعزية التي بعثت بها إلى السيد كوفي عنان بوفاة السيد دي ميلو – بأن تلعب الأمم المتحدة دوراً مركزياً في عملية نقل السيادة، وكانت المرجعية وراء

مطالبة مجلس الحكم من الأمين العام للأمم المتحدة ارسال فريق من خبراء المنظمة الدولية لدراسة الآلية المثلثة التي ينبغي اعتمادها في ذلك، بعد أن استبعدت سلطة الاحتلال ومجلس الحكم – في اتفاقية ١٥ تشرين الثاني – أي دور للأمم المتحدة في هذا المجال.

وإن المرجعية ترى أن الأمم المتحدة التي أقرت الاحتلال ووفرت له الغطاء الدولي تحمل مسؤولية كبيرة أمام الشعب العراقي، وهي مطالبة بأداء دور فعال في مساعدة العراقيين في الخروج من محنتهم والإشراف العام على العملية السياسية إلى حين الوصول إلى الوضع الدائم.

س٤: هناك من يلوح ببروز حرب عرقية أو طائفية في العراق، هل لديكم مخاوف حقيقية من ذلك؟

ج٤: إن القوى السياسية والاجتماعية العراقية ومعظم الشعب العراقي على وعي تام بمخاطر الانسياق وراء النعرات العرقية والطائفية، ونحمد الله تبارك وتعالى أنه لم تقع من الحوادث المؤسفة المسيبة عن ذلك في طوال الأشهر الماضية إلا النذر اليسير، وقد تعامل الجميع على تطويقها والحدّ من نتائجها السلبية.

س٥: هناك من يخشى أن تؤدي الانتخابات إلى إقامة حكومة طائفية في العراق، هل هذا وارد في نظركم؟

ج٥: كلاً، فإن الأغلبية العددية لو تحققت لطائفة ما فهي لا تؤدي إلى بروز أغلبية سياسية لهم، فإن من المتوقع أن يكون في كل طائفة اتجاهات سياسية مختلفة.

س٦: ما هي الأسس التي يجب أن يقوم عليها عراق المستقبل؟

ج٦: مبدأ الشورى والتعددية والتداول السلمي للسلطة في جنب مبدأ العدالة والمساواة بين أبناء البلد في الحقوق والواجبات، وحيث أن أغلبية

الشعب العراقي من المسلمين فمن المؤكد أنهم سيختارون نظاماً يحترم ثوابت الشريعة الإسلامية مع حماية حقوق الأقليات الدينية.

س٧: هناك من يتغوف من إقامة حكم ديني يحرم الأقليات من بعض حقوقها في ضوء تصريحات متطرفة من قبل البعض، والاعتداءات على حياة وممتلكات عراقيين من طوائف مختلفة من دون مبرر، فهل هناك ما يبرر تلك المخاوف أم سيفي كل شيء كما هو الآن بالنسبة للمسيحيين والطوائف الأخرى؟

ج٧: إن القوى السياسية والاجتماعية الرئيسية في العراق لا تدعوا إلى قيام حكومة دينية، بل إلى نظام يحترم الثوابت الدينية للعراقيين ويعتمد مبدأ التعددية والعدالة والمساواة كما مر، وقد سبق للمرجعية الدينية أن أوضحت أنها ليست معنية بتصدي الحوزة العلمية لممارسة العمل السياسي، وأنها ترتأى لعلماء الدين أن ينأوا بأنفسهم عن تسلّم المناصب الحكومية.

واماً ما يقع أحياناً من بعض الاعتداءات على غير المسلمين فهو أمر مرفوض تماماً وسيتم القضاء عليها بعد تمكين قوات الشرطة والمحاكم من أداء مهامها بصورة كاملة.

س٨: من وراء عمليات القتل والتخريب التي يذهب ضحيتها الأبرياء من العراقيين؟

ج٨: لا يتوفر لدينا معلومات دقيقة عنمن يقومون بأعمال العنف التي تستهدف العراقيين من مدنيين ورجال شرطة وجيش وغيرهم، ولكن من المؤكد أن هؤلاء لا ي يريدون الأمن والاستقرار لهذا البلد ويساهمون في إطالة أمد الاحتلال والإضرار بمصلحة الشعب العراقي، ومن المهم جداً تضافر الجهود على ضبط الحدود والتحكم بالوافدين إلى العراق والتزام

دول الجوار وغيرها عدم التدخل في الشؤون الداخلية العراقية بأي شكل من الأشكال.

س٩: الأكراد يطالبون بنظام فيدرالي مبني على أسس قومية وجغرافية، فما ترون في ذلك؟

ج٩: إنَّ أصل الفيدرالية ونوعها المناسب للعراق مما يجب أن يقرره الشعب العراقي عبر ممثليه المنتخبين لمجلس كتابة الدستور، فعلى الجميع التريث وعدم البت في الأمر إلى ذلك الحين.

ومن المؤكد أن ممثلي الشعب الكردي العزيز في مجلس كتابة الدستور سيتوصلون مع سائر إخوانهم العراقيين إلى صيغة مثل تحفظ وحدة العراق كما تحفظ حقوق جميع أعراقه وقومياته.

س١٠: كثُر الجدل فيما يتعلق بحقوق النساء في العراق، فهل تجدون مانعاً من مشاركة المرأة العراقية في العملية السياسية وتسليمها للمناصب المختلفة كعضوية البرلمان والوزارة وغير ذلك؟

ج١٠: لا مانع من ذلك مع توفر الشروط والمؤهلات القانونية، ومن المؤمل أن يكون للمرأة العراقية دور كبير في تطور العراق ورقيَّه ورفعته.

٢٤ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ

مكتب السيد السيستاني(دام ظله)

النجف الأشرف

ومن الواضح ان سماحة السيد السيستاني كان مستاءً من ثقل الاحتلال الاجنبي للعراق فكان ان يكرر سماحته بالدعوة الى الانتخابات التشريعية لكي ينصرف العراقيون الى تدبير شؤونهم بعد خروج قوات الاحتلال وقد لاقت دعوة سماحته تقديرًا عالياً من العراقيين خاصة والرأي العام العالمي عاماً وكسب هذا المرجع الكبير احترام الجميع دون استثناء!

فهو لم يعترف بشرعية أي حكومة ما لم تكن منتخبة من قبل الشعب العراقي ضمن انتخابات حرة! وذلك ما صرّح به مكتب سماحته الى صحيفة واشنطن بوست الأمريكية فسماحته يُكلّ كل أمر خطير الى رأي الشعب العراقي دون وصاية من احد، وكذلك إصراره على كتابة دستور العراق وبأيدي عراقية ويقرّه الشعب!

إن سماحة الإمام السيستاني يصرّ في مواقفه أن يشارك الشعب العراقي في تسيير دفة الحكم بكل مكوناته، وهذا ما نراه من خلال مفهوم فتاویه إضافة إلى مطالبه المستمرة مما دفع بالشعب للالتفاف حول سماحته في سرّاه وضرّاه.

أسئلة صحيفة واشنطن بوست

سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني المحترم

س١: هل هناك بديل عن إجراء انتخابات عامة لكتابة الدستور، كان تتشكل لجان صغيرة منتخبة من قبل الشعب العراقي ترشح هيئة وضع الدستور؟

ج١: لا بديل عن إجراء انتخابات عامة لاختيار أعضاء المؤتمر الدستوري.

س٢: ما هو موقع الدين في الدستور العراقي القائم؟

ج٢: الإسلام هو دين أغلبية الشعب العراقي، وإذا كتب الدستور بأيدي المنتخبين من قبل العراقيين فمن المؤكد أنه سيتمثل فيه قيم الإسلام وتعاليمه السمحاء.

س٣: ما هو رأيكم في الفيدرالية، هل تصلح للعراق؟

ج٣: هذا ما يقرره ممثلو الشعب العراقي في المؤتمر الدستوري المنتخب.

س٤: ما هو نظركم بخصوص القوات التي تعمل في العراق لحفظ الأمن والسلام كالبلغار والبولنديين؟

ج٤: إذا كان هناك حاجة إليهم فليكن عملهم بإشراف الأمم المتحدة لا قوات الاحتلال.

س٥: ما هو نظركم تجاه مجلس الحكم الانتقالي؟

ج٥: سماحة السيد _ دام ظله _ لم يذكر شيئاً بشأن مجلس الحكم، والشعب العراقي يأمل أن يقوم المجلس ببذل كل الجهد في سبيل تسيير أمور البلد في الفترة الانتقالية بتوفير الأمن والاستقرار والخدمات العامة والتمهيد لإجراء انتخابات المؤتمر الدستوري، مع تأجيل اتخاذ

القرارات المصيرية الى حين تشكيل الحكومة المنتخبة بعد إنهاء
الاحتلال.....

٢٧ شعبان ١٤٢٤ هـ

مكتب السيد السيستاني (دام ظله)

النجف الأشرف

وقد زار مكتب سماحته عدد من المكلفين باخماد نار الاقتتال
الشيعي الشيعي واكدوا لسماحته انهم سحبوا من الاطراف المشاركة
جميع الاسلحة غير المرخص بها الى السلطات الوطنية المختصة تجنباً لوقوع
صدامات مسلحة في المستقبل وقد جاء ذلك في بيان مكتب السيد
السيستاني في النجف الاشرف بتاريخ ٢٧ شعبان ١٤٢٤ هـ.

الفصل الثالث:

عظمته من خلال بياناته السياسية



التعامل مع سائر هموم العراقيين

مرجعية آية الله السيد علي السيستاني لم تدع صغيرة او كبيرة من حياة العراقيين الا وأبلت فيها بلاء حسناً ودراسة بيانات هذا الأمام الحليم مقترن نقدمه للمعنيين بدراسة دور المرجعية في سياسة امور الناس بحيث لم تبق زاوية في حياة المجتمع الا واضاءتها من نحو العدوان على العتبات المقدسة والنجف الاشرف ومن نحو التصرفات غير المسؤولة التي يقوم بها بعض عناصر القوات المحتلة ومن نحو حماية الآثار والممتلكات العامة ومن نحو بلورة الدستور العراقي والأمثلة كثيرة كثرة المناسبات الاجتماعية التي تستدعيها ويمكن الرجوع الى بيانات الأمام السيستاني فهي معروضة في اكثـر من موضع لمن يريد الاستئـارة بها ودراستـها.

ان مكتب الإمام السيستاني في النجف الأشرف يستقبل الكثير من الذين يقصدون إليه لحاجتهم فيجدون فيه الملاذ الآمن والمستقر لمعاناتهم حيث يتصدى هذا المخدع لقضاء حوائجهم قدر المستطاع وحل مشاكلهم بتهيأة لجان عديدة لختلف النزاعات وال حاجات ويصول ويحول بين هذه التشكيلات وتلبية نداءاتهم نجل الإمام السيستاني سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا السيستاني ليرفع ما يجب رفعه لسماحة السيد والده المعظم.

يعيش ألام و مصائب الشعب العراقي

كان شديد الألم وهو يسمع بالأحداث التي ألمت بأبناءه وإخوانه من الشعب العراقي من مأسى يومية وإعتداءات التروع والتجويع خططاً وقتلاً وتمثيلاً وتهجيراً فكان بيانه في رسالة للشعب العراقي حول الفتنة الطائفية التي أراد الغريب إثارتها فأحبطتها الفيرة الإسلامية العراقية ووقفت كالطود في منع تحقيقها ومنها بيان سماحته:

رسالة للشعب العراقي حول الفتنة الطائفية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)

صدق الله العلي العظيم

بقلب يعتصر حزناً وألماً أتابع أنباء ما يتعرض له أبناء الشعب العراقي المظلوم يومياً من مأسٍ واعتداءات: تروعـاً وتهجيراً، خطـاً وقتلـاً وتمثـيلاً، مما تعجز الكلمات عن وصف بشاعتها وفظاعتها ومدى مجافاتها لكل القيم الإنسانية والدينية والوطنية.

ولقد كنت - ومنذ الأيام الأولى للاحتلال - حريصاً على أن يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العصيبة من تاريخهم من دون الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية، مدركاً عظم الخطر الذي يهدد وحدة هذا الشعب وتماسك نسيجه الوطني في هذه المرحلة، نتيجة لتراتبات الماضي ومخطلات الغرباء الذين يتربصون به دوائر السوء ولعوامل أخرى.

وقد أمكن بتضليل جهود الطيبين وصبر المؤمنين وأناتهم تفادي الانزلاق إلى مهاوي الفتنة الطائفية لأزيد من سنتين، بالرغم من كل الفجائع التي تعرض لها عشرات الآلاف من الأبرياء على أساس هويتهم المذهبية.

ولكن لم ييأس الأعداء وجدوا في تنفيذ خططهم لتفتت هذا الوطن بتعزيز هوة الخلاف بين أبنائه، وأعانتهم – وللأسف – بعض أهل الدار على ذلك، حتى وقعت الكارثة الكبرى بتفجير مرقد الإمامين العسكريين عليهمما السلام وآل الأمر إلى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب البلد في كل مكان – ولا سيما في بغداد العزيزة – ويفتك بأبنائه تحت عناوين مختلفة وذرائع زائفة، ولا رادع ولا مانع.

إنني أكرر اليوم ندائى إلى جميع أبناء العراق الغيارى من مختلف الطوائف والقوميات بأن يعوا حجم الخطر الذى يهدّد مستقبل بلدتهم، ويكتافوا في مواجهته بنبذ الكراهية والعنف واستبدالهما بالمحبة والحوار السلمي لحل كافة المشاكل والخلافات.

كما أناشد كل المخلصين الحريريين على وحدة هذا البلد ومستقبل أبنائه من أصحاب الرأى والفكر والقادرة الدينيين والسياسيين وزعماء المشايخ وغيرهم بأن يبذلوا قصارى جهودهم في سبيل وقف هذا المسلسل الدامي الذى لو استمر – كما يريد الأعداء – فلسوف يلحق أبلغ الضرر بوحدة هذا الشعب ويعيق لأمد بعيد تحقق آماله في التحرر والإستقرار والتقدم.

واذكر الذين يستبيحون دماء المسلمين ويستخضون نفوس الأبرياء لانتقاماتهم الطائفية بقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: (ألا وَإِنْ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحِرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا) في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا ليبلغ الشاهد الغائب)

ويقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد حقن ماله ودمه إلا بحقهما وحسابه على الله عز وجل) ويقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (من أعاد على قتل مسلم بشرط كلمة لقى الله عز وجل يوم القيمة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله).

وأخاطب الذين يستهدفون المدنيين العزل والمواطنين المسلمين بما قاله أبو عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء مخاطباً من راموا الهجوم على حرمته: (إن لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون العاد فكونوا أحرازاً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عريأً كما تزعمون.. إن النساء ليس عليهن جناح)، فما بالكم تستهدفون أناساً لا دور لهم في كل ما يجري من الشيوخ والنساء والأطفال وحتى طلاب الجامعات وعمال المصانع وموظفي الدوائر الحكومية وأضرابهم؟ إن لم يكن يردعكم عن ذلك دين تدعونه أفالاً تصدقكم عنه إنسانية تظهرون في لبوسها؟ وأقول من يتعرضون بالسوء والأذى للمواطنين غير المسلمين من المسيحيين والصابئة وغيرهم: أما سمعتم أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام بلغه أن امرأة غير مسلمة تعرض لها بعض من يدعون الإسلام وأرادوا انتزاع حلتها فقال عليه السلام: (لو أن امرأة مسلماً ماتت من بعد هذا أسفًا ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً) فلماذا تسئلون إلى إخوانكم في الإنسانية وشركائكم في الوطن؟

أيها العراقيون الأعزاء.. إن الخروج من المأزق الذي يمر به العراق في الظروف الراهنة يتطلب قراراً من كل الفرقاء برعاية حرمة دم العراقي أياً كان ووقف العنف المقابل بكلفة أشكاله، لتغيب بذلك – وإلى الأبد – إن شاء الله تعالى – مشاهد السيارات المفخخة والإعدامات العشوائية في الشوارع وحملات التهجير القسري ونحوها من الصور المأساوية، وتستبدل – بالتعاون مع الحكومة الوطنية المنتخبة – بمشاهد الحوار البناء لحل

الأزمات والخلافات العالقة على أساس القسط والعدل، والمساواة بين جميع أبناء هذا الوطن في الحقوق والواجبات، بعيداً عن النزعات التسلطية والتحكم الطائفي والعرقي، على أمل أن يكون ذلك مدخلاً لإستعادة العراقيين السيادة الكاملة على بلدهم ويمهد لغدٍ أفضل ينعمون فيه بالأمن والاستقرار والرقي والتقدم بعون الله تبارك وتعالى.

وفقَ الله الجميع لما يحبّ ويرضى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٢ / جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ

علي الحسيني السيستاني

وفي هذا الصدد يحدّثنا السيد ولی نصر في كتابه (صحوة الشيعة) أثر هذه التفجيرات والعنف الممارس بالنص التالي:

"قام السياسي الشيعي البارز سليل الأسرة المرموقة من رجال الدين، محمد بحر العلوم، وقصد السيستاني في تشرين الثاني نوفمبر ٢٠٠٤ وقف أمام آية الله وضرب عصاه بغضب في الأرض قائلاً: (لا يسعنا ترك عوائلنا هدفاً لهجمات الإرهابيين إن لكل شيء حدّاً يقف عنده، وما ان يتم تخطي هذا الحد حتى لا يعود هناك غير الله وسلاحنا)، وطلب من السيستاني أن يدعو الميليشيات الشيعية إلى الردّ بالمثل، هنا أجابه السيستاني بنبرة هادئة: (لا تفعل ذلك أرجوك، كن هادئاً من فضلك. إننا لا نريد إشعال حرب أهلية)، هذه هي النقطة الأهم على الإطلاق، ونزل بحر العلوم عند رغبة السيستاني.^(١)

قمت شخصياً بالإتصال تلفونياً بسماحة السيد بحر العلوم لمعرفة مدى صحة هذه المقوله فأيدّها وأضاف عليها أنه اتفعل بعد أحداث

١. نصر، ولی. صحوة الشيعة. ص ١٧٥، طبع دار الكتاب العربي/بيروت.

التفجيرات في سامراء وهدم قبتي الإمام الهادي وال العسكري فثرت للحالة والقتل الذي أخذ أبعاداً كبيرة قمت بزيارة سماحة الإمام السيسيني وطلبت منه أن يسمح لنا بتشكيل مجموعة فدائية للدفاع عن أهلينا ومراقدنا وحالنا، وقال، أن رد الإمام كان منطقياً حيث أجابني هل تضمن بردك للعنف أنك تصيب المعتدي أو انك تزيد في دماء الأبرياءالخ.

همه العراق، ووضع العراق بعد سقوط النظام

حيث عاش سماحته هموم الشعب فكان يستقبل سماحته مجموعة من الأسئلة بهذا الخصوص يجيب عليها سماحته وهو يعلق على الحوزة العلمية ووطنيتها وكيفية مسيرتها في الوقت الذي يحمل هموم العراق وهموم الطائفة وهموم أيام التحرير وضوابطه، ومع ما ورد لسماحته واجبته:

مستقبل الحكم في العراق

س١: ما هي رؤيتك لمستقبل الحكم في العراق؟

ج١: المبدأ الذي يؤكد عليه سماحته هو أن الحكم في العراق يجب أن يكون لل العراقيين بلا أي تسلط للأجنبي، وال العراقيون هم الذين لهم الحق في اختيار نوع النظام في العراق بلا تدخل للأجانب.

(وثيقة رقم ٢ جواب رقم ٤)

س٢: هل تطالب المرجعية الدينية بموقع لها في مستقبل الحكم في العراق؟

ج٢: هذا غير وارد بالنسبة إلى سماحة السيد.

(وثيقة رقم ٦ جواب رقم ١)

س٣: ما هي الحكومة التي تريدون في العراق ما بعد صدام حسين وكيف يجب أن يتم تشكيلها؟ هل ستلعبون دوراً فيها؟

ج٣: شكل نظام الحكم في العراق يحدده الشعب العراقي وآلية ذلك أن تجري انتخابات عامة لكي يختار كل عراقي من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور، ثم يطرح الدستور الذي يقرره هذا المجلس على الشعب للتصويت عليه، والمرجعية لا تمارس دوراً في السلطة والحكم.

(وثيقة رقم ٧ جواب رقم ١)

س٤: نعلم رأي السيد السيستاني في ابتعاد رجال الحوزة عن شؤون السياسة، لكن نود أن نعلم رأيكم في شكل العراق الجديد. من حيث هويته هل توافقون على استمرار الهوية القومية العربية أم تفضلون الهوية الإسلامية؟، وإن أمكن التكوين السياسي (اتحاد فيدرالي.... الخ)

ج٤: شكل العراق الجديد يحدده الشعب العراقي بجميع قومياته ومذاهبه وآلية ذلك هي الانتخابات الحرة المباشرة.

(وثيقة رقم ١٢ جواب رقم ١)

س٥: غالبية الشعب العراقي من الشيعة، ما هو الدور الذي تريد أن يلعبه شيعة العراق سياسياً وما نوع الحكم الذي تريدونه في العراق، أي ما شكل الحكومة مستقبلاً ونوع النظام؟

ج٥: أمّا ما يريد الشيعة فهو لا يختلف عما يريد سائر أبناء الشعب العراقي من استيفاء حقوقهم بعيداً عن أي لون من ألوان الطائفية، وأمّا شكل نظام الحكم فيلزم أن يحدده الشعب العراقي بجميع أبنائه من مختلف الأعراق والطوائف وآلية ذلك هي الانتخابات العامة.

(وثيقة رقم ٢١ جواب رقم ٤)

س٦: أي نظام يعتقد سماحتكم أن يكون في العراق هل هو نظام ديمقراطي أو أي نظام آخر؟

ج٦: النظام الذي يعتمد مبدأ الشورى والتعددية واحترام حقوق جميع المواطنين.

(وثيقة رقم ٣١ جواب رقم ١)

س٧: من ترغبون في أن يحتل سدة الرئاسة في العراق؟

ج٧: من يختاره الشعب العراقي لذلك.

(وثيقة رقم ٣٦ جواب رقم ٩)

س٨: كيف ترى المرجعية المباركة شكل نظام الحكم المقبل في العراق؟

ج٨: هذا متروك لإرادة الشعب العراقي، ولكن لما كان معظم العراقيين من المسلمين فمن المؤكد أنهم سيختاروا نظاماً يحترم ثوابت الشريعة الإسلامية المقدسة كما يحترم حقوق الأقليات، والجميع متفقون على ضرورة اعتماد مبدأ العدالة والمساواة بين أبناء هذا البلد في جنب مبدأ التعددية والانتخاب والتداول الإسلامي للسلطة.

(وثيقة رقم ٥٢ جواب رقم ٤)

س٩: ما هي الأسس التي يجب أن يقوم عليها عراق المستقبل؟
ج٩: مبدأ الشورى والتعددية والتداول الإسلامي للسلطة في جنب مبدأ العدالة والمساواة بين أبناء البلد في الحقوق والواجبات، وحيث أن أغلبية الشعب العراقي من المسلمين فمن المؤكد أنهم سيختارون نظاماً يحترم ثوابت الشريعة الإسلامية مع حماية حقوق الأقليات الدينية.

(وثيقة رقم ٥٣ جواب رقم ٦)

ويشير السيد علي نصر^(١) بأن (في العراق طرح السيد السيستاني نموذجاً بسيطاً للحكم بأن يقبله الجميع انطلاقاً من موقعه حيال مبدأ حكم الغالبية وطالب بحكومة خاضعة للمسألة من شأنها أن تعكس الهوية الشيعية وتصونها).

كما ذكر عمار البغدادي^(٢) (ان قوة الإمام السيستاني السياسية في الشارع العراقي لم تتوكأ على قاعدة الحزب والإتجاه والتحالف

١. نصر، علي. صحوة الشيعة. ص ١٧١، طبع دار الكتاب العربي/بيروت.

٢. البغدادي، عمار. الإمام السيستاني رؤية من الداخل. ص ٧٢.

السياسي الذي ينظمه هذا التيار الحزبي أو ذاك.... ولم يستغل بآدوات إرث هذا المرجع أو ذلك المرجع ولم يسمح لأحد من وكلائه المنتشرين في كافة أنحاء العراق العمل وفق هذه القاعدة التي أثبتت فشلها في إستيعاب زخم الحركة السياسية في الأمة بل انطلق لبناء جسور علاقات الأخوة والأبوة وفق أسس الشرعية التي يتمتع بها المرجع ومواصفاته وشروطه التاريخية في الأمة).

ادارة الازمات العراقية بحنكة القائد وقلب الاب

تصرف الإمام السيد علي السيستاني دام ظله تصرف القائد المسؤول عن ادارة الأزمة داخل العراق وتصرف رب البيت حيال عائلته ولم يكن ليسمح لأي مخلوق باستغلال اسمه واصدار فتاوى لا علم له بها فكان يكذب أي مصدر للإشاعة ويؤكد أي بيان صادر عنه فإذا سئل عن حكم اجاب بطلاقه وبأسلوب مشوق يفهم السامع ويفيد المتلقى! في الخامس من جمادى الأولى ١٤٢٣هـ اصدرت بعض مواقع الانترنت المشبوهة ما اسمته وصية السيد السيستاني لوكلاهه في قم ودبي ولندن ويبدو ان الوصية منحولة وفيها افتراء على منهج السيد السيستاني فسارع مكتب السيد السيستاني الى تكذيب الوصية على هذا النحو:

بيان باسم سماحة المرجع الاعلى دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام
ظله في النجف الاشرف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

قد نشر في الآونة الأخيرة على شبكة الانترنت بيان باسم سماحة المرجع الاعلى دام ظله يتضمن امورا منها القدح في الوكلاء والادن للمؤمنين في ايصال ما عليهم من الحقوق الشرعية الى المستحقين في عدد من البلدان مباشرة فهل لهذا نصيب من الصحة؟

التوقيع: مجموعة من المسلمين

١٤٢٣-٥-٥هـ

بسمه تعالى

هذا البيان مفتعل بتمامه على سماحة السيد مد ظله ولا عبرة بشيء
مما ورد فيه وقد بلغ مد ظله ذلك الى الزوار الواقفين عليه من مختلف
بقاء العالم والله المحدى.

مكتب السيد السيستانى

٧ جمادى الاولى ١٤٢٣ هـ^(١)

١ الصغير من ٣٦٦

مع ادارة الدولة المؤقتة قبل الانتخابات

لم يتحفظ دام ظله من مسألة التعاون مع السلطات الادارية قبل الانتخابات من اجل تمشية شؤون الناس برؤية واقعية تتجنب القفز فوق الواقع او تجسيره! فدعا سماحته الى مد يد العون للسلطات المختصة في حقول الامن لحقن دماء المسلمين.

استفتاء حول التعاون مع الأجهزة الأمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة المرجع الأعلى السيد السيستاني دام ظله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في الظروف الحالية وما يتكشف يوماً بعد يوم من أبعاد الدور التخريبي الذي يقوم به أفراد وجماعات من أزلام النظام البائد والوافدين من الخارج في زعزعة أمن العراقيين واستهدافهم بعمليات إجرامية والسعى في تصفية نخبهم الفكرية و الدينية والسياسية... هل يرى سماحة السيد دام ظله أن التعاون مع الأجهزة المكلفة بحفظ الأمن والاستقرار هو واجب شرعي يتحتم على العراقيين جميعاً أن ينهضوا به لرصد أولئك الأفراد والجماعات وللحد من تفاقم دورهم الهدام الذي يستبيح دماء الأبرياء وبهدم بفتنة طائفية؟ أفتونا مأجورين

محمد صالح - ٢٠٠٥/٣/٢ م

بسمه تعالى

نعم يجب ذلك - كفايةً - مع رعاية الضوابط الشرعية والله العالم.

٦ / صفر / ١٤٢٦ هـ

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) - النجف الأشرف

التعاطي مع الامم المتحدة

كذلك تعامل آية الله السيد السيستاني في الشأن العراقي مع الامم المتحدة بعقلية صافية مما اكسبه ثقة واحترام الاطراف المسؤولة عن الملف العراقي في الامم المتحدة وفيما يلي رسالة جوابية لسماحته الى الاخضر الابراهيمي مسؤول الملف العراقي في الامم المتحدة والذي زار العراق واجتمع مع سماحته والأطراف العراقية بكل تشعباتها :

رسالة موجهة من مكتب السيد السيستاني دام ظله في النجف الأشرف
إلى السيد الأخضر الابراهيمي

رسالة موجهة من مكتب السيد السيستاني دام ظله في النجف
الأشرف إلى السيد الأخضر الابراهيمي جواباً على رسالة منه تستوضح
موقف المرجعية الدينية من الدور القادر للأمم المتحدة في العراق.

وقد جاء فيها، بعد السلام والتحية، التوضيحات التالية:

١ - إن المرجعية الدينية التي بذلت جهوداً مضنية في سبيل عودة
ال الأمم المتحدة إلى العراق وإشرافها على العملية السياسية وإجراء
الانتخابات العامة، كانت تتوقع أن يترك لمثلي الشعب العراقي في
الجمعية الوطنية المنتخبة حرية إدارة البلد في المرحلة الانتقالية وكتابة
الدستور الدائم والاستفتاء عليه وفق الآلية التي يقررها المندوبون
أنفسهم. ولكن بعد إقرار ما يسمى بـ(قانون الدولة العراقية للمرحلة
الانتقالية) ستكون الجمعية الوطنية القادمة مكلفة بقيود كثيرة لا
تسمح لها باتخاذ ما تراه مطابقاً لمصلحة الشعب العراقي، حيث أمل
عليها مجلس غير منتخب هو مجلس الحكم الانتقالي وبالتنسيق مع

سلطة الاحتلال قانوناً (غريباً) لإدارة الدولة في المرحلة الانتقالية، كما أملى عليها – وهو الأخطر – مبادئ وأحكاماً وآليات معينة فيما يخص كتابة الدستور الدائم وإجراء الاستفتاء عليه.

إن هذا (القانون) الذي لا يتمتع بتأييد معظم الشعب العراقي – كما تؤكد ذلك استطلاعات الرأي العام وللائيين التوقيعات التي جمعت خلال الأيام القليلة الماضية في رفضه أو المطالبة بتعديلاته – يصادر حق ممثلي الشعب العراقي المنتخبين بصورة لا نظير لها في العالم، وبذلك تفقد الانتخابات التي طالما طالبت بها المرجعية الدينية الكثير من معناها وتتصبح قليلة الجدوى.

إن هذا (القانون) الذي يعهد بمنصب الرئاسة في العراق إلى مجلس يتشكل من ثلاثة أشخاص – سيكون أحدهم من الكرد والثاني من السنة العرب والثالث من الشيعة العرب – يكرس الطائفية والعرقية في النظام السياسي المستقبلي للبلد ويعيق اتخاذ أي قرار في مجلس الرئاسة إلا بحصول حالة التوافق بين الأعضاء الثلاثة وهي ما لا تتيسر عادة من دون وجود قوة أجنبية ضاغطة – كما وجدنا مثل ذلك في حالات مماثلة – والا يصل الأمر إلى طريق مسدود ويدخل البلد في وضع غير مستقر وربما يؤدي إلى التجزئة والتقطيع لا سمح الله تعالى.

٢ - إن المرجعية الدينية التي سبق لها أن طالبت بصدور قرار من مجلس الأمن الدولي يحدد موعد الانتخابات العامة تخشى أن تعمل سلطة الاحتلال على إدراج هذا (القانون) في القرار الجديد لمجلس الأمن ليكتسب صفة الشرعية الدولية ويلزم به الشعب العراقي رغمما عليه.

إننا نحذر من أية خطوة من هذا القبيل لن تكون مقبولة من عامة العراقيين وستكون له نتائج خطيرة في المستقبل ونرجو إبلاغ أعضاء مجلس الأمن بهذا الأمر.

٣ - في ضوء ما تقدم وبالرغم مما يتمتع به شخصكم من احترام
وتقدير لدى سماحة السيد إلا أنه لا يرغب أن يكون طرفاً في أية لقاءات
واستشارات تجريها البعثة الدولية في مهمتها القادمة في العراق ما لم
يصدر من الأمم المتحدة موقف واضح بأنَّ هذا (القانون) لا يلزم الجمعية
الوطنية المنتخبة بشيء، ولن يذكر في أي قرار جديد لمجلس الأمن
ال الدولي بشأن العراق.

هذا ما لزم بيانه وقبلوا فائق الاحترام

الجمعة ٢٧ المحرم ١٤٢٥ هـ الموافق ١٩ آذار / ٢٠٠٤

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) النجف الأشرف

احترام القانون ومنع القصاص الشخصي

آية الله السيستاني يوكل كل تصرف للمواطن العراقي الى القانون والمحاكم فهو لم يشجع على فكرة القصاص من ازلام النظام الباعثي السابق وترك أمرهم الى القضاء والعدالة! وكان قوله بليناً في أن الباعثي الذي لم يؤذ أحد لايجوز مضايقته وإن شك في أمره فذلك مردّه الى المحكمة! ولو لا حنكة هذه المرجعية التاريخية لذهب سعد بجريرة سعيد وسالت دماء عراقية لا يعلم مداها غير الله! بل ان سماحته لم يجز نشر الوثائق الخاصة بادوار الباعثيين وسواهم في القتل والسرقة والتخييب التي عشر عليها نفر من المؤمنين بعد سقوط النظام لأنها ملك الشعب وينبغي تسليمها لأولي الأمر لكي ينتفع بها لكشف الحقيقة ولا يجوز التصرف الشخصي بها التماساً الى عدم استغلالها فيذهب البريء بجريرة المنسىء.

ان هذه الرؤيا لسماحة الإمام السيستاني رؤيا إسلامية حضارية تخدم الإسلام والمسلمين بحفظ دمائهم وأرواحهم وتفتح آفاقاً واسعة ونظرة إجلال وإحترام الى الطائفة بكل أبعادها بعيداً عن روح الانتقام والتشفي. لقد كانت هذه الرؤيا محط إحترام العالم للمرجعية الشيعية حتى الأعداء.

استفتاء بخصوص احترام القانون

بسمه تعالى

مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف).
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد

هناك الكثير من أزلام النظام السابق ومن كان له دور مباشر أو غير مباشر في إيذاء الناس والاعتداء عليهم و بما يلي بعض الأسئلة بشأنهم
نرجو الإجابة عليها:

س١: من تأكد دوره المباشر في قتل الأبرياء – باعتراف منه أو بغير ذلك – هل تجوز المبادرة إلى القصاص منه؟

ج١: القصاص إنما هو حق لأولياء المقتول بعد ثبوت الجريمة في المحكمة الشرعية، ولا تجوز المبادرة إليه لغير الولى، ولا قبل الحكم به من قبل القاضي الشرعي.

س٢: من كان لما كتبه من (تقرير) ضد بعض المؤمنين دور أساس في إعدامهم هل يجوز لأولياء المعدومين قتله أو إجباره على مغادرة المدينة أو نحو ذلك؟

ج٢: لا تجوز المبادرة إلى اتخاذ أي إجراء بقصد معاقبته بل لا بد من تأجيل الأمر إلى حين تشكيل محكمة شرعية للنظر في مثل هذه القضايا.

س٣: هل يكفي كون الشخص عضواً مهماً في حزب البعث السابق أو من المتعاونين مع أجهزة النظام الأمنية بصورة أو أخرى في جواز قتله؟

ج٣: لا يكفي، وأمر مثله موكول إلى المحاكم الشرعية، فلا بد من الانتظار إلى حين تشكيلها.

س٤: بعد سقوط النظام وقعت أعداد هائلة من ملفات الأجهزة الأمنية في أيدي بعض المؤمنين هل يجوز نشر ما تضمنتها من أسماء عملاء النظام والمتعاونين معه؟

ج٤: لا يجوز ذلك، بل لا بد من حفظها وجعلها تحت تصرف الجهة ذات الصلاحية.

س٥: بعض من ورد اسمه في سجل المتعاونين مع الأجهزة الأمنية يدعى أنه تعهد بالتعاون تحت طائلة التهديد والإكراه هل يجوز التشهير به قبل ثبوت كونه متعاوناً بمحض إرادته؟

ج٥: لا يجوز التشهير به حتى لو ثبت ذلك إلا في بعض الحالات رعاية مصلحة أهم. والله العالم

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) - النجف الأشرف

١٤/ربيع الأول / ١٤٢٤ هـ

الإمام السيستاني والإئتلاف العراقي الموحد

إنسمت حركة السيد السيستاني بالحذر والتأني منذ بداية سقوط النظام الصدامي، فهو ليس من الفقهاء القائلين بالولاية المطلقة للفقيه على غرار ما كان يقوله بعض أعلام الفقه، من هنا سوف يكون تدخله بقدر ما يحتاج اليه الناس في معرفة أمرورهم وتصرفهم وتشخيص إختياراتهم، مع الإبعاد الكامل عن الدخول في المعرك السياسي والتعامل المباشر مع السلطات الأجنبية والتي سميت رسمياً بسلطات الاحتلال بموجب قرار الأمم المتحدة.

إن الأمر المهم الذي راعتة المرجعية وحققته في مسيرتها هو الوقف موقف المراقب الذي يرصد الحدث ويصحح المسار مع ترك الحرية للسياسيين لسلوك الطرق المختلفة في عملهم لكنه لم يكن يمنع نفسه من التدخل عندما يستدعي الأمر ذلك على أن يكون هذا العمل ما يحقق خدمة للوطن والمواطن والسير به الى شاطيء الأمان، فكانت الفتاوی التي تحرم الأخذ بالثار لتدارك موقف الإنقاص مما تركه النظام السابق خلال حكمه القمعي مما ترك آثاره في المقابر الجماعية، وإنظار نشأة المحاكم حتى يأخذ كل صاحب حق حقه، وهذا يستدعي الدعوة لإنشاء دولة القانون والتي كانت معدومة في النظام البائد، وأن تكون تلك الدولة محكومة بقانون يحترمه الجميع من دون أن يفرض عليهم، فكان تركيزه على كتابة الدستور بأيدي عراقية أمينة من دون إملاءات خارجية، ولا يكتبه إلا لجنة منتخبة من الشعب، وهذا ما أستدعي إتاحة فرصة الانتخابات للشعب ليختار بحرية، في وقت يعيش هذا الشعب في وضع يربك الحال الأمني خصوصاً في العاصمة العراقية.

وبالرغم من تحقق هذا المطلب الوطني في فرصة الانتخابات رغم الأوضاع الأمنية الصعبة أصر الشعب بكلفة طبقاته رجالاً ونساءً وشيوخاً خرجوا جماعات رغم التهديد والإندار الإرهابي إلا أن تماسك الشعب واستجابة للمرجعية التي وقفت إلى جانب الشعب وتحقيق أمانه، فقد انتخب العراق وأثبت جدارته وتقانيه في اختيار ممثلي في مجلس الشعب.

ويقول السيد ولی نصر في كتابه (صحوة الشيعة)^(١) "بعد مرور نحو خمس عشرة سنة وبالتحديد في ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥م، توجه ملايين العراقيين إلى صناديق الإقتراع، ولم يكن توجهم هذا احتفاء بصعود نجم الديمقراطية في العراق، بقدر ما كان تأكيداً على الهيمنة الشيعية فيه، دعا آية الله العظمى السيد علي السيستاني إلى هدنة بين مختلف الفصائل الشيعية، وحملها على شبک أيديها معاً ضمن الإئتلاف العراقي الموحد (المعروف أيضاً بـ"البيت الشيعي")، وكذلك على تركيز جهودها على إثبات قوتها في صناديق الإقتراع. ومثلما اقترح عليهم، ما أن يتم الفوز بحكم الغالبية الشيعية".

١. نصر، ولی. صحوة الشيعة. ص ١٨٧، طبع دار الكتاب العربي/بيروت.

الدستور والانتخابات

مطلبان ركز عليهما سماحة الإمام السيستاني في طيلة الفترة الأولى من بعد سقوط النظام السابق وبعد فترة أعلن عن تحديد موعد الإنتخابات العامة لانتخاب مجلس يمثل الشعب العراقي يقوم بكتابة الدستور. وكان لابد للأحزاب السياسية في الساحة ولعامة العراقيين من الرجوع للمرجعية الإمام السيستاني تشكيلاً لجنة لاختيار وضوابط الإنتخاب، فإنّيات مرجعية الإمام السيستاني تشكيلاً لجنة لاختيار من سوف يترشح لمجلس النواب العراقي وكان الهدف من ذلك التشكيل هو منع سيطرة الأحزاب السياسية على مجريات الأمور ومحاولة إدخال مجموعة من المستقلين حتى يكون هناك توازن داخل المجموعة الشيعية، بل لم يكن غير المرجعية ل تستطيع جمع الأحزاب المتنافسة تحت عنوان واحد وجبهة موحدة، فكان أن رضخت كلها لهذا التشكيل الجديد.

فقمت اللجنة بإختيار المرشحين من الأحزاب الإسلامية وغيرها بنسبة معينة بمعنى أن يمثل الأحزاب نصف المرشحين والمستقلين يمثلون النصف الآخر، ولم تكن العملية هذه سهلة وبسيطة وذلك لما بين الأحزاب من أحقن ومشاكل وتصور كل منها إنه يستحق نسبة أكثر مما حُصص له لما له من باع في الساحة والعمل، كذلك لم يكن الأمر سهلاً بالنسبة للمستقلين الذين لا يجمعهم تجمع أو حزب خاص، بل كان إختارهم من بين المحافظات المختلفة من خلال جولات قام بها أعضاء اللجنة لعرفة الأشخاص اللائقين بالدخول في معرك المجلس النيابي الذي سوف ينطأ به كتابة الدستور، وهو القانون الأهم في الدولة العراقية الجديدة.

حاولت اللجنة أن لا يقتصر الإختيار على الإسلاميين بل أن يعم الإختيار العلمانيين من الشيعة بل أن يعم الإختيار بعض السنة المعتدلين وبالفعل تم ذلك فكانت قائمة الإئتلاف العراقي الموحد متوازنة نوعاً ما.

وبعد أن تم إعداد القائمة وتوزيعها على المناطق المختلفة، كان العمل المهم الآخر هو العمل الإعلامي، وعمل جهاز المرجعية والحوزه العلمية دوراً مهماً في إيضاح الأمر للشعب بأن هذه القائمة هي من رضى المرجعية، وقد قامت المرجعية بإصدار البيانات والفتاوی لحث الناس على وجوب المشاركة وضرورة الانتخاب، ولو لا تلك البيانات وذلك الإقبال الواسع الكبير على الانتخابات، ورغم التهديدات الأمنية والموحات الإرهابية والإندارات المتلاحقة، أقبل الشعب شيوخه وشبابه نساءه ورجاله، في عرس حقيقي شارك فيه الجميع فيه متحدياً الإرهاب وسلاحه، وكان الدافع المهم لذلك الإقبال هو تأييد المرجعية وإيجابها المشاركة فكان ذلك الموقف الكبير موضع تقدير العالم وإعجابه لهذا الشعب وطاعته للمرجعية الدينية.

أما في الانتخابات الثانية، فكان الوضع مختلفاً، إذ أن الدستور قد كتب، وكان إنتخاب المجلس ليقوم بدور سياسي في عملية المراقبة والتشريع في إطار الدستور، لذا رفض تشكيل لجنة لإختيار المرشحين وترك الأمر للإئتلاف نفسه ليقوم بالإختيار، مكتفياً بضرورةبقاء الإئتلاف العراقي والمحافظة على هذا العنوان.

وبالتالي اجتمعت الأحزاب الإسلامية مع من كان يمثل المستقلين في الإئتلاف السابق، وبالفعل تم تشكيل قائمة الإئتلاف العراقي الموحد من بين الأحزاب الإسلامية حيث قامت بتقاسم الحصص فيما بينها وأعطت لبعض المستقلين نسبة من المقاعد النيابية مع حذف العلمانيين

وبعض الإسلاميين المستقلين، وعدم إشراك السنة في القائمة، ولم تشرك المرجعية في اختيار المرشحين وإبداء الرأي إتجاه أيٍ منهم وترك الأمر للقائمين على الإئتلاف، وجُل إهتمامهم التركيز على المحافظة على الإئتلاف، وبعد ظهور قائمة المرشحين على هذه التركيبة المعروفة الآن، انتقلت إلى المرحلة الثانية وهي هل تؤيد المرجعية هذه القائمة الجديدة للإئتلاف، فلم يظهر من المرجعية بياناً أو فتوى رسمية تجبر الشعب على اختيارهم، لكن أخيراً كانت النتيجة إنتصاراً لقائمة الإئتلاف العراقي وقد يعود إلى:

- ١ أن المرجعية أصدرت بياناً تضمن نصائح لكيفية الإختيار تكاد تنطبق على قائمة الإئتلاف العراقي الموحد.
- ٢ أن تشجيع المقربين لمكتب المرجعية أدت إلى إشعار الناس بأن هذه القائمة هي المحبذة لدى سماحة الإمام.
- ٣ تصريحات قادة السنة بالتحذير من الخطر الشيعي مما أدى إلى إثارة الحس الطائفي بنحو ممیز.
- ٤ لقاء الجزيرة الذي نال من السيد المرجع الإمام السيستاني مما أدى إلى إثارة مشاعر الملايين من العراقيين وخرجت بتظاهرات واسعة في يوم قبل الانتخابات، وكان له الدور الكبير في التأثير على الشعب والتكتل خلف القائمة الشيعية الأقوى وهي قائمة الإئتلاف العراقي الموحد.

سفرة علاجية وعودة سياسية لإنقاذ النجف الأشرف

ظل الإمام السيستاني يراقب الوضع في العراق منذ أن وضع المحتل أوزاره فيها فكان له بالمرصاد في وقت يشعر فيه مطالبة حق الشعب الذي عانى الكثير من الحكم البائد.

انه يمارس في تحركاته أقسى درجات ضبط النفس، أنه لا يقبل التصوير، ولا يخطب في الجماهير، فقد امتنع عن الخروج من منزله طيلة أعوام طويلة احتجاجاً ورفضاً لممارسات العنف والضغط وتعرض للإغتيال في العهد البائد.

أكثر وقته صامتاً يسمع ولا يعطيك جواباً فورياً، يتأمل ويحلل ثم يرد على سؤالك، فجأة وإذا بالقتال يستعر في مدينة النجف الأشرف قتال لا يبقى ولا يذر وكان ليلة سفر الإمام السيستاني الى لندن حيث أشاروا عليه الأطباء الأخصائيون ضرورة الفحوصات العاجلة لعينه ورغم التأويلات والتعليلات لسفرته إلا أنه وصل لندن لفتح له هذا الشريان، وعين إمتئت بماء أبيض لم يعد يرى بها، وإضطر فيها لأن يغادر مدينة النجف التي بدأ فيها الحريق، مما فتح شهية تأويلات خصبة عن سبب هذا السفر، لم يرق أي منها الى كبد الحقيقة التي آلمه أن يسمعها وهو يدخل الى غرفة العمليات، وفتح عينه بعدها يسأل من حوله عن النجف وعن العراق ومتى يستطيع أن يرجع اليها ما دام قد خرج من تلك الغرفة، وجلس في دار متواضعة بعيدة عن الأنظار والعيون، يرى عبر شاشة صفيرة لهيب النار تقترب من ذلك الحرم العلوى الذي كان سبب قدومه للعراق. ويطلب من بغداد أن تحترمه ولا تجتاحه، وأن لا تصبغ ارضه بالدم.

وانتظر اياماً وليالي يبدو من خارج ذلك البيت وكأنه ساكت لا يكترث، وعندما فحصه الطبيب آخر مرة قرر الرجوع فوراً وبدون تردد، وبقرار كان يقلبه في ليل لا ينام منه إلا سويعات قليلة، ويحسب فيه كيف ينقد موت بلد عريق، ويوقف زحف الدبابة التي تزار في شوارع النجف الوديعة.^(١)

وأصدر مكتب السيد السيستاني بياناً في سفره وبياناً في عودته حسبما نشره الأستاذ حامد الخفاف في ((النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية)).

بيان حول سفر سماحة السيد العلاجي إلى لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

الم بسماحة السيد السيستاني - دام ظله - مؤخراً وعكة قلبية وقد أستدعي فريق أخصائي القلب العراقيين إلى النجف الأشرف للتشخيص والمعالجة.

ووفقاً لما إرتاء الفريق الطبي فقد تقرر متابعة الإجراءات الطبية اللازمة في إحدى المستشفيات المتخصصة في المملكة المتحدة، وقد وصل إليها سماحتهاليوم.

نرجوا من المؤمنين الكرام أن لا ينسوا سماحته من صالح الدعاء في مظان الإجابة كما لا ينساهم إن شاء الله تعالى.

٢٠٠٤/٨/٦ - ١٤٢٥ ج/٢

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) - النجف الأشرف

١. على الدباغ www.alqaim.org/suhafa.html صحافة من القائم من ص ٣-٤ و ٩-٨

بيان حول عودة سماحة السيد إلى النجف الأشرف بعد سفرته العلاجية

بسم الله الرحمن الرحيم

يشكر سماحة السيد السيستاني دام ظله جموع المؤمنين الكرام الذين تجشّموا عناء السفر إلى مدينة النجف الأشرف متزامناً مع عودة سماحته إليها من رحلته العلاجية في الخارج، مثمناً ما بذلوه من جهد بالغ في سبيل إنقاذ المدينة المقدسة وحفظ حرماتها.

كما يبدي سماحته عميق حزنه وبالغ أسفه على تعرّض جمع من الوافدين للإطلاقات النارية مما أدى إلى سقوط عدد من الأبرياء بين قتيل وجريح، مطالبًا الجهات المختصة بإجراء التحقيقات اللازمة لتحديد المقصرين ومحاسبتهم.

نُسَأَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ أَنْ يَمْنَّ عَلَى جَمِيعِ رِبُوْعِ الْعَرَاقِ الْعَزِيزِ بِالْأَمْنِ وَالْإِسْتِقْرَارِ وَيَجْنَبَ الْعَرَابِيِّينَ كُلَّ سُوءٍ وَمُكْرَهٍ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

١٠ / ربـ ١٤٢٥ هـ

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) - النجف الأشرف



صوره الكريمة في الأماكن العامة

سماحته واقعي في تصرفه وعمله فالذى يود آخر ما يمكنه ان يعبر بذلك في قلبه محبة ودعاً له بالصحة والسلامة وطول العمر، فكان يرفض وضع صورته في الأماكن العامة رغم تطلع كثير من المؤمنين الى ذلك ربما إيماناً منهم لعلاقتهم الدينية مع سماحته ونجد في رد على رسائل المؤمنين الذين يطلبون منه السماح لهم عدم رغبته بذلك.

استفتاء بشأن الصور الكريمة

بسمه تعالى

إلى سماحة مرجعنا المفدى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إننا جمع من الشباب نقوم بتوزيع ونشر صوركم على المؤمنين مجاناً وتعليقها على أبواب محلات المؤمنين وذلك لعدة أسباب.

١ - لكي يتبرك الناس بالنظر إلى سماحتكم كما قال رسول الله (ص): ((النظر إلى وجه العالم عبادة)) وكثير من الناس لم تتشرف برؤيتكم بسبب الظروف المانعة.

٢ - عسى أن يهتدي المرء أو يكتف عن ذنبه عندما يرى علماً من علماء الدين الربانيين ويقتدي بهم.

ولكن بعض الاخوان قالوا لنا: إن السيد السيستاني (دام ظله) يُشَكِّل على هذه الحالة، رغم الأسباب المذكورة آنفاً، مما جعلنا نتوقف عن التوزيع لحين أخذ الإذن الشرعي من سماحتكم سائدين المولى عز وجل أن يديكم ذخراً للإسلام والمسلمين وحصناً منيعاً لهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جواب الاستفتاء بشأن الصور الكريمة

جمع من المؤمنين

بسمه تعالى

سماحة السيد مدّ ظله لا يرغب في وضع صورته في الأماكن العامة
بل يرجو من المؤمنين ترك ذلك.

وفقكم الله لكل خير والسلام عليكم وعلى جميع إخواننا المؤمنين
ورحمة الله وبركاته.

٢٤/ج ١٤٢٤ هـ

مكتب السيد السيستاني (دام ظله)

النجف الأشرف

الوقوف بحزم من ظاهرة الفساد

لم يقتصر دور الامام السيستاني على مواجهة نتائج الاحتلال الاجنبي بل نجده دام ظله معنِياً قبل غيره بموضوع التعامل بين الناس ومحاربة ظواهر الفساد في العمل الإداري بحزم كبير:

استفتاء بشأن الفساد الإداري

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة المرجع الأعلى السيد السيستاني دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

لقد تفشنَّ ما يسمى بـ(الفساد الإداري) في أوساط الموظفين الحكوميين بحدٍّ لم يسبق له مثيل، ويُتَّخَذُ أشكالاً مختلفةً: منها: تخلف الموظف عن أداء واجبه القانوني تجاه المراجع إلا بعد أخذ مبلغ من المال.

ومنها: قيام الموظف بالتجاوز على القوانين والقرارات الرسمية لصالح المراجع إذا دفع له الرشوة على ذلك.

ومنها: منح الموظف مقاولة المشاريع الخدمية وغيرها بـمبالغ تفوق بكثير متطلبات إنجازها إلى من يوافق على إعطائه جزءاً من مبلغ المقاولة.

ومنها: توئي مجاميع من الموظفين مهمة القيام بمشروع ما ويتقاضون أموالاً طائلة عليه في حين أنه من ضمن واجباتهم الوظيفية التي يمنحون بازائها الرواتب الشهرية.

وهناك الكثير من الأشكال الأخرى، نرجو بيان الحكم الشرعي في جميع ذلك أدام الله تعالى سيدنا المرجع ذخراً وملاذاً.

جواب الاستفتاء

يحرم على الموظفين التخلّف عن أداء واجباتهم بمقتضى عقود توظيفهم النافذة عليهم شرعاً، كما يحرم عليهم تجاوز القوانين والقرارات الرسمية مما يتعمّن رعايتها بموجب ذلك، وما يأخذه الموظف من المال _ من المُراجع أو غيره _ خلافاً للقانون سحت حرام، كما أن إهدار المال العام والاستحواذ عليه بل مطلق التصرف غير القانوني فيه حرام ويستوجب الضمان واحتياط الذمة والله الهادي.

مكتب السيد السيستاني دام ظله

١٤٢٦ صفر ١٥

الموقف من العلاقات الشيعية السنوية

العلاقة بين مسلمي العراق الشيعة والسنّة تعرضت إلى امتحانات عسيرة فهناك دائماً من يعمل على بث الفرقة والكراهية بين السنّة والشيعة وقد تعرض الشيعة على مر التاريخ الإسلامي في العراق لعمليات تصفية جسدية وتغريب في التامورات والدياميسيں والحديث ذو شجون ولكن الشيعة لم يقابلوا تصرفات أخوانهم في الدين وظلمهم سبباً للانتقام وم مقابلة الأذى بمثله! وقد حرم الشيعة وهم الأكثريّة في العراق من ابسط حقوق المواطنة وصنفوا ضمن التبعية الفارسية وحين جاءت الساعة واستردت الأكثريّة الشيعية حقوقها لم تتذكر لأشقائنا السنّة، فانظر كيف تعامل سماحة آية الله السيستاني مع هذه القضية الشائكة أدناه تصريحاته لشبكة سي ان ان الأمريكية:

أسئللة السي ان ان

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في أدناه ما نود أن نعرفه من رؤى آية الله العظمى السيد علي السيستاني:

س١: ما هي رؤيته بشأن إجراء الانتخابات لتشكيل المجلس الوطني الذي يفترض أن تنبثق منه الحكومة العراقية الجديدة ذات السيادة، وإذا لم يمكن إجراء الانتخابات بما هي الآلية البديلة الأكثر عدالة في نظر السيد السيستاني؟

س٢: ما هي رؤية السيد بشأن العلاقة بين السنّة والشيعة، وهل أن حوادث العنف التي وقعت أخيراً يمكن لها أن تتكرر وتتصاعد في المستقبل؟

ج: إن تقارير الخبراء العراقيين المقدمة إلى سماحة السيد دام ظله تؤكد إمكان إجراء الانتخابات بدرجة مقبولة من المصداقية والشفافية خلال الأشهر المتبقية إلى التاريخ المقرر لنقل السيادة إلى ممثلي الشعب العراقي، ولكن هناك في مجلس الحكم وسلطة الاحتلال من يدعى عدم إمكان ذلك، ومن هنا كان اقتراح مجيء فريق من خبراء الأمم المتحدة إلى العراق للتحقق من هذا الأمر ودراسة الموضوع من كافة جوانبه، وقد قدم مجلس الحكم طلباً بذلك إلى السيد كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة. وإذا جاء فريق الخبراء وتوصلا بعد العمل مع نظرائهم العراقيين إلى عدم إمكان إجراء الانتخابات فعليهم التعاون معهم في إيجاد آلية أخرى تكون الأصدق تعبيراً عن إرادة الشعب العراقي، وأما الآلية المذكورة في اتفاق مجلس الحكم وسلطة الاحتلال فلا تضمن أبداً تمثيل العراقيين بصورة عادلة في المجلس الوطني الموقت.

ج: ان العلاقة الأخوية بين الشيعة والسنّة في العراق لن تتأثر ببعض الحوادث المؤسفة التي وقعت مؤخراً، وقد سعى الكل في تطويقها واتخاذ ما يلزم لعدم تكررها، ومن المؤكد أنّ العراقيين جميعاً سنّة وشيعة وغيرهم حريصون على وحدة بلدّهم والدفاع عن ثوابته الدينية والوطنية، كما أنهم متّفقون على ضرورة التأسيس لنظام جديد يقرّ مبدأ العدالة والمساواة بين جميع أبناء هذا البلد في جنب مبدأ التعددية واحترام الرأي الآخر.

١٤٢٤ ذقنه / ١٣

مكتب السيد السيسستاني(دام ظله

النجف الأشرف

مبادرته دون استشارة أحد أو خوف من الفشل

في النجف التي تزاحم عندها الأحداث - هذه الأيام - يشعر المتابع بان المرجع الديني الأعلى آية الله علي السيستاني منذ عودته المفاجئة من لندن، اكتسبت مواقفه وقراراته اطاراً ممغطاً ينجدب اليه المعنيون وخاصة غالبية العراقيين بعامة. والأسئلة الجوهرية التي تسurg في هذا الاطار تمثل - أولاً - بالأسباب الداعية الى اتخاذ السيستاني قرار العودة بهذه العجلة فيما كان يفترض بقاوئه في العاصمة البريطانية فترة أطول للنقاوه، وتمثل - ثانياً - بمبادرةه المعروفة التي أطفأت لهيب الأزمة، وما لها من انعكاسات آنية ومستقبلية في الداخل العراقي على الصعيدين الشعبي والرسمي. للإجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة المقلبة، لابد من التعرف على بعض جوانب شخصية السيستاني وطريقة تفكيره وتعاطيه حيال مجلل الأمور المتحركة من حوله. ولهذه الغاية أجرت ((القبس)) سلسلة لقاءات مع مريدي السيد السيستاني المقربين، فضلاً عن يصفونهم حوزويما بـ(أهل الخبرة) أكدوا خلالها أنه ألمع طلاب المرجع الديني الراحل أبو القاسم الخوئي، فقها واصولاً، ووصفوه بأنه قارئ نهم لم يقتصر في قراءته على العلوم الدينية، وقد حدث بعضهم أنه يقرأ كل شيء.

وقد أخذ عن استاذه الخوئي طريقة الاصناف بعنایة الى المحدث معه ليبدأ، تالياً، بسبيل من الاشكالات والاعتراضات على ما أفضى به محدثه.

ويضيف هؤلاء المعنيون أنه متأثر جداً بالتاريخ ((الميداني)) خصوصاً على صعيد تجارب مراجع الدين في زمن الاحتلال البريطاني

للعراق وما قبله، ولعل هذه النقطة بالذات تمثل حجر الزاوية في فك الالتباس لدى كثير من المتابعين بشأن عودته غير المتوقعة إلى النجف.

وقد شدد السيد حامد الخفاف الذي رافقه في رحلته العلاجية وأعلن مبادرته لوسائل الاعلام على ان الإمام السيستاني اتخذ قرار العودة دون مشورة مع أحد، ودون أن يشير من قريب أو بعيد الى مبادرته، فقد حرص على كتمانها لحين وصوله الى البصرة قادما من الكويت حيث أفضى بخطوطها العامة دون الدخول في التفاصيل.

كما أنه لدى استقباله الوفد الحكومي في البصرة - لمدة عشر دقائق - اكتفى خلالها بالاستماع الى ما افضى به اعضاء الوفد من نصائح تدعوه الى التوجه الى النجف بدعوى الحرص على سلامته.

وقد توجه الى النجف دون ان يغير اهتماما بهذه النصيحة لتكون عودته في وقتها المناسب، ولأسباب عزتها مقربوه الى مخاوفه من احتمال دخول القوات الأميركيّة الى الحرم العلوي خلال فترة غيابه فيكون مثل هذا الحدث - لو حصل فعلا - سابقة لا يغفرها التاريخ لمقام المرجعية. وفي خطوة هي الأولى من نوعها في تاريخ مراجع الشيعة، سلك السيستاني طريق الجنوب البري لتحشد الجماهير، وليثبت لها أنه معها، كما حرص على ان تكون دعوته للناس في التوجه الى النجف بصيغة خلت من الالاح، حيث أكد الخفاف - على لسانه - أن هذه الدعوة ليست فتوى وإنما مطروحة من يرغب، ليكون واضحا ان المرجع الأعلى بدعوته العادلة هذه، قد استطاع حشد الملايين خلفه، ما يعني أنه قادر على تحشيد جميع الشيعة لو اصدر فتوى بذلك، وهذا ما يريد ابلاغه للقوات الأجنبية المحتلة والحكومة على حد سواء.

وبخلاف ما يشاع عنه من الغاء احتمال المواجهات كلياً من حساباته، أكد انه لم يسقط مثل هذا الاحتمال من خلال دعوته الجماهير للذهاب الى النجف، حيث امكان التصادم والتصعيد المسلح أمر قائم في ظل الأجواء الملتهبة التي يمكن في ظلها حصول حوادث بسيطة قد تجر الى مواجهة شاملة.

ولما وصل النجف لم يحدث أحداً بتفاصيل مبادرته فيما كان التصور السائد انه سيتصل بالاطراف المعنية للتحاور معهم.^(١)

وتمكن السيد السيستاني من حل المشكلة وإيقاف حمام الدم مستقلاً بعمله متحدياً الأزمات الخطيرة للبلد وتمكن من هذه القفرة التحرك قديماً نحو الانتخابات.

ورغم ما يتحدث به الآخرين من إجهادات وطروحتات في سفرة السيد حفظه الله وعودته وبالرغم من أننا لم نتمكن من الوقوف على صحيح الفكرة ونتائجها وعودته وحلوها إلا أن المرقد الشريف لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) والحرم الشريف والمدينة المقدسة سلمت من مجراة ودمار كبير وهذا من الإحتمالات التي تلوح بها آفاق التفسير.

ويتحدث د. حسين أبو سعود في ٢٩ مايو ٢٠٠٤ في شبكة إيلاف www.elaph.org انه قدر العظام ان يظلوا على الدوام موضع انتقاد وحسد من الناس و"اكثرهم للحق كارهون "، ولانه احد عظام عصره لقد سلطت الاضواء كاملة على شخص سماحة اية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله وصار الشخصية العالمية الاولى اذ تتسابق وكالات الانباء والفضائيات ووسائل الاعلام الاخرى على ذكر اسمه والتعرض له وهو بعد صامت، ولا ادري كيف تكون عليه الامور اذا ما تكلم هذا الانسان وحاول ان يكون طرفاً في زعزعة الاستقرار والامن كما يفعل البعض. وهاهي الاضواء تتسابق على احتوائه وهو راغب عنها فكيف لو سعى اليها بنفسه؟

وهاهي الملايين تظهر الولاء له وهو لم ينس بعد بنت شفة فكيف لو دعاها السيد الى التحرك والتاثير في الشارع. ومن السذاجة بمكان ان نقول بان من يتعرض للسيد السيستاني هو جاهل بمكانته وعلو مقامه لانهم يعرفون جيداً من هو السيد السيستاني، وبالتي التهم الموجه اليه كانت ذات قيمة! فهم يتهمونه بالفارسية ويعلمون بانه إمام في اللغة العربية وضليع في الفقه واصوله، فضلاً عن كونه سليل الدوحة العلوية الهاشمية القرشية العربية.

واتهموه بتخزين الاموال وهم يعلمون بانه علم في التقوى والورع والعرفان والزهد في مال الدنيا وزخرفها وكان ولا يزال عندما يستقبل المؤمنين ومن يريد منهم ان يقدم له من حقوقه الشرعية، يسألهم فيما لو عندهم من المحتجين ليوزعونها فهو يجيز لهم ذلك، وقد رأه العالم اجمع

من خلال الصورة الوحيدة التي تتكرر في الفضائيات، كيف يجلس على الأرض ويعيش بتقشف بالغ في غرفة متواضعة ليس فيها سوى الكتب والمراجع.

وأتهموه بالصمت وهم يعلمون انه يتربع على قمة المسؤولية والتحلي بالحكمة في معالجة الامور في بلد كثیر التناقضات، ويعلمون انه قد تكلم عندما كان الكلام ضروريا وسكت عندما دعت الحاجة لذلك، ويعرف العقلاء بان السكوت في بعض الاحيانا يكون ابلغ من الكلام في التعبير عن موقف معين.

اتهموه بعدم حمل الجنسية العراقية وهم يعلمون بأنه مقيم في النجف الاشرف منذ اکثر من نصف قرن من الزمان، وان الجنسية لا تسوى عنده جناح بعوضة ولو ارادها لقدمت اکثر من دولة جنسيتها له ولو اراد مكانا يسكن فيه لعرضت اکثر من دولة استضافته على اراضيها باعتباره يمثل اعلى مرجعية للطائفة الشيعية في العالم، كما انه لم يدع يوما بأنه عراقي او تركي او ايراني ونظرته الى الجنسية هي نظرية قرآنية بحتة كما في قوله تعالى " ان هذه امتك امة واحدة وانا ربكم فاعبدون".

وان الذين ينفثون عليه سموم الحقد والكراهية والحسد والتشهير والذم وجميع ما في قاموس الاساءة من كلمات ويفعلون ذلك ليلا نهار وعلى جميع الاصعدة انما ينضجون بما في انفسهم باعتبار ان كل انة ينضح بما فيه، ولو رأينا ماذا لقي اولئك مقابل هذا السيل من الاساءات من السيد السيستاني لوجدنا الاناة والتحمل والصبر والحكمة والتدبر والاجر الجميل " وقبلا سلاما سلاما "، وانه استطاع بحكمته ان يعيش في ظل نظام دموي طاغوتي لمدة طويلة وهو يرى الجور والظلم ومحاولات

التحريض التي قام بها بعض الاشخاص ضد المرجعيات الغير عربية ورأى الجميع كيف ان الزيد ذهب جفاء ومكث ماينفع الناس وكذلك يضرب الله الامثال.

وقد تصور هؤلاء المجاهيل بانهم سيحصلون على الشهرة في وقت قصير لو انهم هاجموا السيد السيستاني بعظمته وجلال قدره وعلو مكانته، وكم من هؤلاء اراد الشهرة السريعة عن طريق التعرض للذات الالية حينا وللمقام النبوى احيانا اخرى، ولكنهم لم يحصلوا سوى الندم والخيبة والفشل الذريع، وما يمكن ان يحصل لناطح الصخرة غير ان يقال عنه " واوهى قرنه الوعل " وهكذا فان كل الذين كتبوا ضده و تعرضوا له بالشتم والاهانة انما شتموا انفسهم واهانوها وان شتائمهم عادت اليهم دون ان يكلف السيد نفسه بالرد عليهم و كما لم يُعرف بان احدا من مكتبه تصدى للرد على هذا السيل من الاتهامات على اني استطيع ان اجزم بان السيد يدعو لهؤلاء جميعا بالهدایة والمغفرة وحسن العاقبة^(١).

لم يترك الإمام السيستاني مشكلة من مشاكل العراق إلا وتطرق إليها سواء من مجموعة الفتاوى وطرح رأيه في حلها فكانت تلك المجموعة الكبيرة من (النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني دام ظله في المسألة العراقية) والتي أعدها الأستاذ حامد الخفاف مدير مكتبه السياسي وجمعها في ٤٢٩ صفحة خلال فترة السنوات الثلاث، وقد نقلنا معظم الأسئلة والفتاوی من تلك المجموعة، ولو تصفحنا تلك الآراء والإجابات المطروحة من سماحته لوقفنا على مشاركة كبيرة من المرجعية في القضية العراقية السياسية وبحكمة السياسة الوعائية في كتابه... بالمشاركة مع المراجع الآخرين المتواجدين على الساحة العراقية في مدينة النجف الأشرف حيث إجتمعوا بوحدة كلمتهم وتعاونوا فيما ينهض العراق بأعباءه في هذه الفترة العصيبة. كان الإمام السيستاني متأنراً متأثراً من المقابر الجماعية التي تفاجئ العراقيون بها في بداية القضاء على النظام السابق متظراً عودة سجنائه ومعتقليه بعد هذه السنين العجاف التي مرت به فإذا به يُفزع بظهور المقابر الجماعية التي أخذت تكشف الواحدة تلو الأخرى وكان قد وجه سؤال لسماحته الجليل فلاهتمامه الكبير بمسؤولية تلك المقابر أجاب سماحته على ذلك السؤال.

حكم كشف المقابر الجماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله

ما حكم كشف المقابر الجماعية؟

بسمه تعالى

كشف المقابر الجماعية إنما يجوز بإذن الحاكم الشرعي، وسماحة السيد مد ظله لا يأذن بذلك إلا بإشراف من لجنة دولية بحيث لا تضيع معالم الجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت على أيدي أزلام النظام السابق والله الهادي.

١٤٢٣/١٤ هـ

مكتب السيد السيستاني

النجف الأشرف

ضبط النفوس التي كانت مليئة بالإنتقام

عاش الإمام السيستاني فترة الحكم الصدامي البغي بمرارتها وآلامها ووحشيتها حيث كان النظام لا يرحم مجرماً بالنفس العراقية ولم يسلم من حماقته وجرمه أي بيت عراقي مهما اختلفت إتجاهاته وقومياته وطوائفه، فقد أفرغ جام حقده وغضبه على كل عراقي فكانت لحظة سقوط النظام، فرصة سانحة لكل فرد كان يتطلب ثاراً له فكانت تلك اللحظة المناسبة التي أطلق الإمام السيستاني رأيه فيما وجه له سؤال بذلك الصدد مما أوقف المد الدموي الذي كان ينتظره الشعب بكل طبقاته.

استفتاء

بسمه تعالى

مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: هناك الكثير من أزلام النظام السابق ومن كان له دور مباشر أو غير مباشر في إيذاء الناس والاعتداء عليهم وفيما يلي بعض الأسئلة بشأنهم نرجو الإجابة عليها:
س1: من تأكد دوره المباشر في قتل الأبرياء – باعتراف منه أو بغير ذلك – هل تجوز المبادرة إلى القصاص منه؟

ج1: القصاص إنما هو حق لأولياء المقتول بعد ثبوت الجريمة في المحكمة الشرعية، ولا تجوز المبادرة إليه لغير الولى، ولا قبل الحكم به من قبل القاضي الشرعي.

س٢: من كان لما كتبه من (تقرير) ضد بعض المؤمنين دور أساس في إعدامهم هل يجوز لأولياء المعدومين قتله أو إجباره على مغادرة المدينة أو نحو ذلك؟

ج٢: لا تجوز المبادرة إلى اتخاذ أي إجراء بقصد معاقبته بل لا بد من تأجيل الأمر إلى حين تشكيل محكمة شرعية للنظر في مثل هذه القضايا.

س٣: هل يكفي كون الشخص عضواً مهماً في حزب البعث السابق أو من المتعاونين مع أجهزة النظام الأمنية بصورة أو أخرى في جواز قتله؟

ج٣: لا يكفي، وأمر مثله موكول إلى المحاكم الشرعية، فلا بد من الانتظار إلى حين تشكيلها.

س٤: بعد سقوط النظام وقعت أعداد هائلة من ملفات الأجهزة الأمنية في أيدي بعض المؤمنين هل يجوز نشر ما تضمنتها من أسماء عملاء النظام والمتعاونين معه؟

ج٤: لا يجوز ذلك، بل لا بد من حفظها وجعلها تحت تصرف الجهة ذات الصلاحية.

س٥: بعض من ورد اسمه في سجل المتعاونين مع الأجهزة الأمنية يدعى أنه تعهد بالتعاون تحت طائلة التهديد والإكراه هل يجوز التشهير به قبل ثبوت كونه متعاوناً بمحض إرادته؟

ج٥: لا يجوز التشهير به حتى لو ثبت ذلك إلا في بعض الحالات رعايةمصلحة أهم. والله العالم

مكتب السيد السيستاني (دام ظله)
النجف الأشرف

١٤٢٤ / ربيع الأول / ١٤٢٤ هـ

الجامعة العلمية في النجف الأشرف

من أولويات تضحيه الإمام السيستاني في تحمله أهوال النظام الصدامي وبقاءه في النجف الأشرف تلك الفترة المظلمة المليئة بالفتوك والقتل والإعتقالات الجماعية والقتل الجماعي... كان الهدف الأول تحمله أهوال تلك المصائب هو الحفاظ على الجامعة العلمية رغم تقليل عدد طلابها وهجرتهم خوفاً وبطشاً وإعتقالاً وهذا ما كان دافعاً لمعظم المراجع الدين الذين نهضوا بمرجعيتهم في مدينة النجف الأشرف فتحملوا ما تحملوه ليبقوا الجامعة العلمية صامدة.

أسئلة مجلة المكتبة / النادي الحسيني في النبطية

بسمه تعالى

سماحة السيد محمد رضا السيستاني نجل سماحة آية الله العظمى
المرجع الأعلى السيد علي السيستاني(دام ظله)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نود من جانبكم الكريم الإجابة على الأسئلة الواردة أدناه والتي هي مثار تساؤل في أوساطنا الاجتماعية، حيث ستنشر أجوبتكم الكريمة عليها بإذنه تعالى في العدد المقبل من مجلة "المكتبة" التي تصدر عن النادي الحسيني لمدينة النبطية - جنوب لبنان برعاية واسراف سماحة الشيخ عبد الحسين صادق.

س1: بعد انهيار النظام الغاشم في العراق، ما هي الخطوات التي تتتخذها الجامعة المباركة في النجف الأشرف لاستعادة دورها التاريخي الإجتماعي والسياسي؟

ج١: إن الحوزة العلمية المقدسة في النجف الأشرف قد أصيّبت بنكبات قاسية خلال العقود الأخيرة، وفقدت من جراء ذلك الكثير من رجالها البارزين من العلماء والأدباء والمفكرين، قتلاً وسجناً ونفياً وتشريداً، ولم يبق منها إلا ثلاثة القليلة من أولئك الأفذاذ، ولكن في الأشهر القليلة الماضية بدأ العديد من المهرجين في العودة إلى الحوزة الأم والشروع في نشاطاتهم العلمية والفكرية، كما تأسست خلال هذه المدة جملة من المراكز والمؤسسات التي تهتم بالتبليغ الثقافي والديني، وأنشأت عدد من الحوزات العلمية في مراكز المحافظات، والمؤمل مع تحسّن الوضع الأمني وتوفّر الخدمات الضرورية أن يتيسّر اتخاذ خطوات واسعة في سبيل تطوير الحوزة المباركة واستعادة مجدها الأثيل.

س٢: في حال تمت الانتخابات وفقاً لوجهة نظر آية الله السيستاني (دام ظله الشريف)، فهل تنوي المرجعية الشريفة أو الحوزة المباركة أن تشارك في نظام الحكم القائم، وذلك لترسيخ ثقة الشعب العراقي بالنظام الجديد؟

ج٢: إن سماحة السيد دام ظله إنما طالب بإجراء الانتخابات لغرض تمكين الشعب العراقي من اختيار ممثليهم من إدارة بلد़هم، سماحته ليس معنياً بتصدي الحوزة العلمية لممارسة العمل السياسي فإنه يرتقي لعلماء الدين أن ينأوا بأنفسهم عن هذا المجال، ولكن هذا لا يمنع من قيامهم بإصداء النصح والتوجيه للناس وإرشادهم إلى الضوابط التي ينبغي اعتمادها في اختيار ممثليهم في آية انتخابات قادمة.

س٣: ما هي الخطة التي يتبعها آية الله السيستاني (دام ظله) والحوزة المباركة لتفادي النعرات المذهبية والعرقية التي تواجه المجتمع العراقي والتي تعمل الأجهزة الاستخباراتية المعادية على تأجيجهما؟

ج٣: إنَّ القوى السياسية والاجتماعية العراقية ومعظم الشعب العراقي على وعيٍ تامٍ بمخاطر الانسياق وراء النعرات العرقية والطائفية، ونحمد الله تبارك وتعالى أنه لم تقع من الحوادث المؤسفة المسببة عن ذلك طوال الأشهر الماضية إلا النذر اليسير، وقد تعامل الجميع على تطويقها والحدَّ من نتائجها السلبية.

وقد اتخذت خطوات مباركة في التنسيق والتواصل بين مختلف الطوائف والقوميات تجنباً عن أي اصطدام عرقي أو طائفي، نسأل الله تعالى مزيد التوفيق للقائمين بها.

س٤: كيف ترى المرجعية المباركة شكل نظام الحكم المُقبل في العراق؟

ج٤: هذا متروك لإرادة الشعب العراقي، ولكنَّ ما كانَ معظم العراقيين من المسلمين فمن المؤكد أنهم سيختاروا نظاماً يحترم ثوابت الشريعة الإسلامية المقدسة كما يحترم حقوق الأقليات، والجميع متفقون على ضرورة اعتماد مبدأ العدالة والمساواة بين أبناء هذا البلد في جنب مبدأ التعددية والانتخاب والتداول السلمي للسلطة.

س٥: كيف كان سماحة آية الله السيد السيستاني (دام ظله) يمارس مهامه كمرجع للطائفة إبان الحكم الظالم السابق الذي كان يضغط بشدة على حياة السيد (دام ظله الشريف) وكيف كان يجب على استفتاءات المقلدين الحساسة وذات الطابع السياسي؟

ج٥: كان الوضع حرجاً جداً بالنسبة إلى سماحته دام ظله وقد بقي سنوات طويلة رهين داره يمارس مسؤولياته في أضيق الحدود تجنباً عن منح أي ذريعة لأجهزة النظام في الواقعية بالحوزة العلمية وطلابها، وقد نجح - ولله الحمد - في التحفظ على كيان الحوزة المقدسة في ظروف بالغة الخطورة والتعقيد.

س٦: لماذا الظهور الاعلامي للمرجعية المباركة ضعيفاً، حيث نرى في وسائل الإعلام وفي القنوات الفضائية بأنَّ وجهة النظر الشيعية تجاه الكثير من الأمور تؤخذ من قبل جهات لا تمثل مرجعية دينية للمقلدين الشيعة كما هو الحال في مرجعية آية الله السيد السيستاني (دام ظله الشريف) حيث أنَّ الأكثريَّة الشيعية تتبع مرجعياته المسددة.

ج٦: إنَّ مكتب سماحة السيد دام ظله لا يتعامل مع وسائل الإعلام إلا في حدود الضرورة، وفقاً لمنهج الذي رسمه له سماحة السيد دام ظله، والمُؤمَّل من المؤمنين - سدد الله خطفهم - أن يتبعوا للأساليب غير المهنية التي تمارسها العديد من وسائل الإعلام ويتبثثوا فيما يُنشر فيها حول سماحة المرجع دام ظله.

هذا ما تيسَّر تحريره في هذه العجلة والسلام عليكم وعلى فضيلة العلامة الحجة الشيخ عبد الحسين صادق دامت بركاته.

محمد رضا السيستاني

١٤٢٤/١٢/٢١ هـ

إطفاء نار الفتنة الطائفية

كان المتصدي لهذه البدارة الخطرة التي حاول بعض الذين مارسوا او يمارسوا بذر روح التفرقة وإثارة النعرة الطائفية ليقاتل أبناء الشعب فيما بينهم ويتصدى العدو لتحقيق مآربه وأطماعه رافضاً للعراق عهداً من الحرية والإنسانية، فكان حفظه الله قد يستقبل عدة أسئلة بهذاخصوص وأجاب عليها بصراحته المعروفة.

الفتنة الطائفية

- س١: قام بعض من يحسب نفسه على المذهب باقتحام بعض مساجد إخواننا أهل السنة وطرد أئمة الجماعة منها، فما قولكم في هذا؟
ج١: هذا العمل مرفوض تماماً ولا بد من رفع التجاوز وتوفير الحماية لإمام الجماعة واعادته إلى جامعه معززاً مكرماً.

(وثيقة رقم ٣ جواب رقم ٢)

- س٢: هل لديكم مخاوف من وقوع فتن طائفية في العراق؟
ج٢: لا مخاوف من هذا القبيل إذا لم تتدخل أطراف أجنبية في شؤون العراق.

(وثيقة رقم ٦ جواب رقم ٥)

- س٣: هناك من يلوح ببروز حرب عرقية أو طائفية في العراق، هل لديكم مخاوف حقيقة من ذلك؟
ج٣: إنَّ القوى السياسية والاجتماعية العراقية ومعظم الشعب العراقي على وعيٍ تامٍ بمخاطر الانسياق وراء النعرات العرقية والطائفية، ونحمد الله تبارك وتعالى أنه لم تقع من الحوادث المؤسفة المسببة عن

ذلك في طوال الأشهر الماضية إلا النذر اليسير، وقد تعاون الجميع على تطبيقها والحد من تناقضها السلبية.

س٤: لا يخفي على سماحتكم التهديدات التي أطلقها أخيراً علاء الثالثوthe المشؤوم ضد اتباع أهل البيت سلام الله عليهم، حيث أعلنها من يسمى بالزرقاوي حرباً على الشيعة في العراق. فما هو رأيكم حول هذه المسألة الخطيرة، وما هي السبل لدفع الضرر عن أتباع أهل البيت عليهم السلام وما هي توصياتكم للشيعة خصوصاً ولل العراقيين عموماً؟

ج٤: إن الهدف الأساس من إطلاق هذه التهديدات ومما سبقها وأعقبها من أعمال إجرامية استهدفت عشرات الآلاف من الأبرياء في مختلف أنحاء العراق هو إيقاع الفتنة بين أبناء هذا الشعب الكريم وإيقاد نار الحرب الأهلية في هذا البلد العزيز للحيلولة دون استعادته لسيادته وأمنه ومنع شعبه المتخن بجراح الاحتلال وما سبقه من القهر والاستبداد من العمل على استرداد عافيته والسير في مدارج الرقى والتقدم.

ولكن معظم العراقيين - والله الحمد - على وعي تام بهذه الأهداف الخبيثة، وسوف لن يسمحوا للعدو الطامع بتحقيق مخططاته الإجرامية، مهمما نالهم من ظلم وأذى وأريق على ثرى بلدتهم الظاهر من دماء زكية لأهليهم وأحبتهم.

وإننا في الوقت الذي نعبر فيه عن بالغ الأسى لكل قطرة دم عراقية تسفك ظلماً وعدواناً ونتألم لأهات الثكالى وبكاء الأيتام وأنين الجرحى ندعوا المؤمنين من أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى الاستمرار في ضبط النفس مع مزيد من الحيطة والحذر ونحثهم على التعاون مع الأجهزة العراقية المختصة لاتخاذ ما يلزم من إجراءات الحماية والمراقبة منعاً لتسลل المجرمين وأعوانهم إلى مدنهم ومناطق سكناتهم، كما ندعو سائر العراقيين إلى العمل على ما يعزز وحدة هذا الشعب ويشدّه من

أواصر الإلفة والمحبة بين أبنائه، ويكون ذلك بالمنع – قولاً وعملاً – من الإنتماء إلى هذه الفئة المنحرفة ومن تقديم العون لهم بأي ذريعة كانت وتحت أي عنوان كان، كما يلزم توعية المغفلين الذين يظنون بهؤلاء خيراً وتنبيههم على انحراف أفكارهم وسوء أهدافهم وتبعات أفعالهم ومخاطرها.

وندعو الحكومة العراقية إلى العمل الجاد والدؤوب لتوفير الأمان والاستقرار لجميع العراقيين ورعاية كامل حقوقهم ومنع الأذى عنهم بغض النظر عن انتماماتهم العرقية والمذهبية والفكرية.

كما ندعو القضاء العراقي إلى أن يمارس دوره بالاسراع في محاكمة المتهمين في قضايا القتل والإجرام وإقرار العقوبة المناسبة في حق من ثبتت إدانتهم، ولا يأخذ في ذلك لومة لائم.

نسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدي الجميع إلى ما فيه خير العراق وعزته واستقراره واستقلاله ويجتب العراقيين جمیعاً كل سوء ومكرهه إنه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإعتداء الطائفي على مقام الإمامين العسكريين عليهما السلام

وإستمراراً للأعمال الطائفية الآثمة كان منها قيام أيدادي مجرمة في الإعتداء في تفجير مقام الإمامين العسكريين (ع) فكان أن وجه سماحته البيان التالي:

بيان حول الاعتداء الآثم على مقام الإمامين العسكريين (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتَمَّ ثُورَةُ وَلَوْ
كَرَهَ الْكَافِرُونَ)

لقد امتدت الأيدي الآثمة في صباح هذا اليوم لترتكب جريمة مخزية ما أبشعها وأفظعها وهي استهداف حرم الإمامين الهادي وال العسكري عليهما السلام وتفسير قبته المباركة مما أدى إلى انهدام جزء كبير منها وحدوث أضرار جسيمة أخرى.

إن الكلمات قاصرة عن إدانة هذه الجريمة النكراء التي قصد التكفيريون من ورائها إيقاع الفتنة بين أبناء الشعب العراقي ليتيح لهم ذلك الوصول إلى أهدافهم الخبيثة.

إن الحكومة العراقية مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تحمل مسؤولياتها الكاملة في وقف مسلسل الأعمال الإجرامية التي تستهدف الأماكن المقدسة، وإذا كانت أجهزتها الأمنية عاجزة عن تأمين الحماية اللازمة فإن المؤمنين قادرون على ذلك بعون الله تبارك وتعالى.

إننا إذ نعزي إمامنا صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف بهذا المصاب الجلل نعلن الحداد العام لذلك سبعة أيام، وندعو المؤمنين

ليعبروا خلالها بالأساليب السلمية من احتجاجهم وإدانتهم لانتهاك
الحرمات واستباحة المقدسات، مؤكدين على الجميع وهم يعيشون حال
الصدمة والأسفة للجريمة المروعة أن لا يبلغ بهم ذلك مبلغاً يجرّهم إلى
اتخاذ ما يؤدي إلى ما يريده الأعداء من فتنة طائفية طالما عملوا على
إدخال العراق في أتونها.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسيعلم الذين ظلموا أي
منقلب ينقلبون.

(وثيقة رقم ٨٦)

يعزي البابا غبطه الكاردينال أنجلو سودانو سر حاضرة الفاتيكان

لم تتوقف علاقات المرجعية الدينية في النجف الأشرف إلى حد ومدى معين إجتماعياً فقد إنطلق الإمام حفظه الله في علاقاته، فكانت تعزية مكتب سماحته للكاردينال أنجلو سودانو سر حاضرة الفاتيكان بمناسبة وفاة الجد الأعظم يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان. وذلك توطيداً للعلاقات الإسلامية - المسيحية وإنفتاح الإتصالات في زيارة وفود من الطرفين في الأمور الهامة.

ونجد مرفقاً رسالة تعزية سماحته:

رسالة تعزية بمناسبة وفاة البابا يوحنا بولس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

غبطه الكاردينال أنجلو سودانو أمين سر حاضرة الفاتيكان المحترم نعزيكم وسائل أتباع الكنيسة الكاثوليكية بوفاة الحبر الأعظم يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان، الذي أدى دوراً متميزاً في خدمة قضايا السلام والتسامح الديني، وحظى بذلك باحترام الناس من مختلف الملل والأديان.

إن البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى العمل الجاد والدؤوب – ولا سيما من الزعامات الدينية والروحية – لثبتت قيم المحبة والتعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين أتباع مختلف الأديان والمناهج الفكرية.

نسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدي الجميع إلى ما فيه صلاح
الإنسانية وسعادتها، ونتمنى لكم ولسائر المسيحيين في العالم الخير
والسلام.

٢٥/صفر/١٤٢٦هـ الموافق ٥/نيسان/٢٠٠٥م

مكتب السيد السيستاني (دام ظله)

النجف الأشرف

وحدة المرجعية

يؤكد سماحة الإمام السيستاني وحدة العمل مع المراجع الآخرين في مدينة النجف الأشرف والإهتمام بآرائهم ولقاءاته معهم، فعند تعرض سماحة آية الله المرجع السيد محمد سعيد الحكيم - حفظه الله - إلى حادث إعتداء على مكتبه في النجف الأشرف فكان سماحته المبادر إلى استنكار ذلك الحادث وشجبه والوقوف إلى جانب سماحته.

ونجد في البيان مدى ألمه وتأثيره:

بيان في وحدة المرجعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير خلقه محمد وآلـهـ الطاهرين ولا حول ولا قوـة إلاـ بالله العلي العظيم وبعـدـ

يعاني الشعب العراقي منذ سقوط النظام السابق من سوء الأوضاع الأمنية وتزايد الأعمال الاجرامية التي يتعرض لها المواطنين في مختلف أرجاء العراق وكان من آخرها الاعتداء الأثم الذي استهدف مكتب سماحة المرجع الديني آية الله الحكيم دامت برకاته، حيث أدى إلى سقوط العديد من الأبرياء بين قتيل وجريح ونجم عنه أيضاً اضراراً واسعة في الممتلكات والدور المحاورة.

ونحن إذ نشجب جميع الأعمال الاجرامية ولا سيما ما يمسّ منها
الحوزة العلمية المقدسة ندعوا الجهات ذات العلاقة إلى وضع حدّ لهذه
الظاهرة الخطيرة واتخاذ الاجراءات اللازمة لتحسين الوضع الأمني
ومنها تعزيز القوات الوطنية العراقية المكلفة بتوفير الأمن والاستقرار
ودعمها بالعناصر الكفوءة والمعدات الضرورية.

نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَلِيَ الْقَدِيرَ أَنْ يُجْنِبَ الشَّعْبَ الْعَرَابِيَ عَامَةً وَالْحَوزَةَ
الْعَلَمِيَّةَ خَاصَّةً كُلَّ سُوءٍ وَمُكْرَهٍ وَيُأْخُذَ بِأَيْدِيِ الْجَمِيعِ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ
وَالصَّلَاحِ إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

مكتب السيد السيستاني (دام ظله) - النجف الأشرف

٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ

حادث إغتيال سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم

الإمام السيستاني يدعم جهاد المخلصين من أبناء الشعب العراقي الذين وقفوا الى المسيرة الإسلامية وعملوا في الخلاص من النظام الصدامي ومن تلك القادة.... سماحة آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم والذي كرس حياته في الهجر لخلاص شعبه من دكتاتورية النظام الفاسد تعرضت أسرته الى وبيلات من حالات الإعتقال الجماعي، حيث اعتقلت جميع أفراد أسرته في كافة أنحاء العراق تهديداً للسيد الحكيم أن يُوقف نشاطه ضد الحكم وعندما تيقن صدام من صلابة موقف السيد الحكيم - رص - أعدم على دفعتين باقات من تلك الأسرة العلمية علمائها ومتقنيها

وبعد الخلاص من الحكم الصدامي وإستمراراً لأعمال بقايا عملائه، يستشهد سماحته في عملية تفجيرية بشعة راح ضحيتها سماحته ومجموعة من المؤمنين والمخلصين العراقيين وهم قد إنتهوا من صلاة الجمعة في الصحن الحيدري الشريف.

فور سماع سماحة السيد السيستاني الخبر يستذكر ذلك متلماً ورفض تلك الأعمال البشعة وهو يقدر خسارة العراق من أمثال السيد الحكيم. ونشعر من خلال البيان ذلك واضحاً.

استذكر حادث إغتيال سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم - (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ)

لقد امتدت الآيدي الآثمة مرة أخرى لترتكب جريمة مخزية استهدفت في جوار الروضة العلوية المقدسة سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم طاب ثراه حيث أدى حادث التفجير المرؤ إلى استشهاد

سماحته وسقوط مئات الأبرياء الآخرين بين شهيد وجريح وحدوث اضرار واسعة في المشهد المقدس والممتلكات المجاورة.

إن هذه الجريمة الوحشية والجرائم التي سبقتها في النجف الأشرف وسائر مناطق العراق يقف من ورائها من لا يريدون إعادة الأمن والاستقرار لهذا البلد الجريح ويسعون في زرع بذور الفتنة والشقاق بين أبنائه ولكننا على ثقة بأن الشعب العراقي يعي هذه الحقيقة وسيقف صفاً واحداً دون تحقيق مآرب الأعداء وسيتجاوز محناته الراهنة بإذن الله تعالى.

ونحن إذ نستنكر هذه الاعمال البشعة نحمل قوات الاحتلال مسؤولية ما يشهده العراق من انفلات في الأمن وتزايد في العمليات الإجرامية وندعو مرة أخرى إلى تعزيز القوات الوطنية العراقية ودعمها وتمكينها من توفير الأمن والإستقرار.

إننا نتقدم بخالص العزاء والمواساة إلى ذوي الشهيد الكبير السيد الحكيم رضوان الله عليه وذوي سائر الشهداء الكرام سائلين الله تعالى أن يسكنهم فسيح جنانه ويحرشهم مع أوليائهم محمد وآلـه الطاهرين ويمن على المصابين والجرحى بالشفاء العاجل إنه سميع مجيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مكتب السيد السيستاني (دام ظله)

النجف الأشرف - ٢ / رجب / ١٤٢٤ هـ

يُوسع صرف الحقوق لأصحابها

ترك النظام الصدامي فسحة كبيرة من الإحتياجات المالية لجميع العراقيين فكان لأول وهلة أن تطلق من المرجعية صلاحية صرف الحقوق لأهلها فكان معظم زائريه من مقلديه الذين يحملون له حقوقهم الشرعية وكان ذلك في الحكم الصدامي الباعثي فكان يسألهم عن وجود محتاجين وفقراء في مناطقهم فيطلب منهم أن يتولوا صرفها بما يطمئن جهة التوزيع لاحتاجها الماسة.

وهكذا تمكّن سماحته توسيع جهة الصرف وسد إحتياج بعض متطلبات الشعب قدر المستطاع.

ويصف عمار البغدادي^(١) في كتابه قائلًا (ومنذ أن عرفت المرجعية الدينية طريقها للإمام السيستاني وتعرفت على فحوى توجهاته ومعارف ثقافته الأصولية والفلسفية والقرآنية وهو يواصل ذات المشوار في التواضع والبساطة وجشودة العيش مع أن مرجعية الإمام من بين أثرى المرجعيات، فالملايين مبسوطة بين يديه ومصادر تمويل وكلائه لا عد لها ولا حصر، ورغم ذلك لم يعرف عن الإمام إنفاق بغير محله وثراء على حساب الجياع والمحروميين والمستضعفين والبسطاء. لقد كان الإمام (حفظه الله) يوصي كل الذين يرتادون مكتب سماحته في النجف وهم بالآلاف من أبناء العراق والموالين لأهل البيت(ع) من أقطار الخليج والأمريكيتين وأفريقيا بضرورة إنفاق موارد الخمس على الذين يرونهم أهلاً لاستحقاق المبالغ الشرعية وكما يوصي دائمًا بضرورة عدم جلب المال لمكتب سماحته

١. البغدادي، عمار. الإمام السيستاني رؤية من الداخل. ص ١٤٦.

ويتشدد في ذلك ويحدد بلغة واضحة موارد الإنفاق من دون الرجوع إليه. أن هذه المرجعية -مرجعية نادرة - كأي مرجعية دينية إسلامية في التاريخ الحديث وهو في هذا يحاول العمل على إنجاز الصيغة الأنقى والأطهور والأفضل والألائق للقيادة الدينية - الروحية والسياسية القادرة على العيش في أوساط الجمهور ولديها الكفاءة في إنجاز الواجبات والمسؤوليات الشرعية الملقاة على عاتقها).

وإستمر سماحته في بادرته حتى يومنا هذا على جميع مقلديه ومختلف إحتياجاتهم المعيشية.

ونلمس إهتمامه في هذا الخصوص من إجابة مقلديه في هذا .

استفتاءات بشأن مساعدة الفقراء

س: لا يخفى عليكم أن عدداً من أحياء بغداد وضواحيها كـ(مدينة الصدر) و(منطقة سبع البور) و(مدينة التنك) وغيرها تعاني من فقر شديد واهمال متعمد وظروف معيشية صعبة، ولذلك تتجه إلى سماحتكم بالإذن لنا - نحن من تجار بغداد والمتمكنين مادياً فيها - أن نساهم بما علينا من الحقوق الشرعية لتأمين حوائج المؤمنين في تلك المناطق المحرومة وفق الضوابط الشرعية.

ج: مأذونون في ذلك، وفقكم الله لكل خير، وزاد لكم في الأجر والثواب والسلام عليكم وعلى جميع إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

جائزة نوبل

لقد مر علينا أكثر من موقف لسماحة السيد السيستاني في موضع الفخر والإعتزاز مما دفع بالكثير من المنصفين فنادوا للدعوة الى منح آية الله السيد علي السيستاني جائزة نوبل العالمية للسلام ومن دواعي الفخر ان يكون الداعون الى التكريم هم جماعة من غير المسلمين وغير العرب! فقد هرّتهم عقريبة هذا العالم وحكمته التي حقنت دماء العراقيين، انظر مقالة الكاتب توماس فريدمان المنشورة في الشرق الأوسط (جريدة العرب الدولية)، الاثنين ١١ صفر ١٤٢٦هـ، ٢١ مارس ٢٠٠٥م، العدد ٩٦١٠، ترجمة عبد الجبار كريم - السود.

حقاً ان آية الله المرجع السيد علي السيستاني يستحق وبجدارة ان يمنح جائزة نوبل للسلام، للمواقف التاريخية التي بناها هذا الرجل في احلک الظروف، التي مر وتمر بها العراق، خدمة لمستقبل هذا البلد المتخن بالجراح. فهو بحق ابو الديمقراطية في العراق، حيث فاجأ الجميع بقدرته على تبني خطاب سياسي عملي وواقعي، يتعامل مع مفردات الواقع السياسي الجديد، وبالشكل الذي يخدم مستقبل العراق بكافة شرائحه واطيافه، دون ان يأخذ المثال الاسلامي بعيداً عن الواقع، باعتباره مرجعاً دينياً معنى بأساستباط الاحكام الشرعية قبل كل شيء، دون ان يكون من مسؤولياته متابعة تطبيقات هذه الاحكام.

وضوح الرؤية هذه عند السيد السيستاني، وتعامله بحنكة ودرارية مع اشد المواقف حراجة، يجعله في موقع يستحق وبجدارة وباستحقاق عال، جائزة نوبل للسلام.

ونحن إذ نفتخر بهذا الوسام الأكاديمي العالمي لا لأن السيد السيستاني بحاجة اليه ونيله فهو لا يشكل بالنسبة للسيستاني شيء بقدر ما هو إعتراف الآخرين لهم بعظمته وامكانياته السياسية، لما ينظرون الى هكذا شخصيات بأنهم لا يتعدون الإطار الديني.

وقد قام احد رجال الدين المسيحيين ومن كبار الشخصيات في الجالية العراقية في سان دييغو وهو الدكتور الأستاذ حنا قلابات وعدد من المعينين بترتيب ما يلزم لجمع تواقيع أكبر عدد لازم مؤيد للفكرة مع استخدام الانترنت ونفوذ الشخصيات العلمية والإجتماعية في العالم، كما ذكر لي السيد محمد باقر الكشميري المسؤول عن مكتب الارتباط بالمرجعية الدينية في أمريكا (إمام) وذلك حينما اتصل به الأستاذ قلابات طالباً منه معلومات وتفاصيل عن سماحة السيد مد ظله ليكمل الملف ويكون جاهزاً لرفعه إلى الهيئة التحكيمية لجائزة نobel، عرفاناً وتقديراً وثنيناً لجهود سماحته مد ظله في استقرار الأمن في العراق ووأد الفتنة الطائفية وحقن الدماء.

لكن السيد محمد باقر أجابه بعد الشكر والثناء على هذه المبادرة الطيبة بأن سماحته مد ظله والمراجع العظام لا يتعاطفون بمثل هذه الخطوات وإن كانت مشكورة، وإن مثل هذه الشخصيات الربانية لا تُثمن جهودهم بجوائز مثل جوائز نobel.

ثم علق الكشميري على سؤال أنه فيما لو تم ذلك وفاز سماحته فهل سيبعث عنه ممثلاً لاستلام الجائزة؟ فأجاب: من الصعب حصول ذلك لاسيما إذا رجعنا إلى قيم وتقالييد وأعراف الحوزات العلمية من جهة، ومن جهة أخرى بتاريخ وطبيعة تعاطي المشرفين على منح الجائزة. فقد لوحظ وحتى الأمس القريب أن الجائزة أحياناً يشوبها ما يليق حينما تمنح لغير

أهل الكفاءة أو من ليس هو أهل لها أصلاً، أن تخضع لمعايير سياسية مصلحية كما منحت لبعض الرؤساء الذين لم يمارسوا صلحاً في حياتهم، وذلك قبل بضع سنوات.

الفصل الرابع:

آراء المعاصرين

- | | |
|-----------------------|---------------------------------------|
| بيروت — لبنان | • العالمة السيد هاني فحص |
| القطيف — السعودية | • العالمة السيد منير الخبراز |
| ديترويت — امريكا | • العالمة السيد مهدي الأمين |
| مونتريال — كندا | • العالمة السيد نبيل عباس |
| تونس — تونس | • الدكتور محمد التيجاني السماوي |
| فيينا — النمسا | • العالمة الخطيب السيد عامر الحلو |
| كلاسكو — بريطانيا | • العالمة الخطيب السيد داخل السيد حسن |
| النجف الاشرف — العراق | • الدكتور حسن الحكيم |
| النجف الاشرف — العراق | • الدكتور صالح الظالمي |
| صور — لبنان | • الدكتور يحيى شامي |
| بغداد — العراق | • الأستاذ عبد الحليم الرهيمي |
| واشنطن — امريكا | • الأستاذ نزار حيدر |

وقفة تأمل ومراجعة لمواقف الامام السيستاني الدولة والمرجعية الدينية نحو انتاج طبقة سياسية تعدديّة

• العلامة السيد هاني فحص

الحياة / ١٢ / ٢٠٠٨

بيروت - لبنان

لو افترضنا جدلاً أن التغيير المُرّ حصل في العراق، والمرجع السيد علي السيستاني ليس موجوداً في سدة المرجعية، أو أنه لم يكن هناك مرجع يملك الخصائص والمزايا التي يملكها السيد السيستاني... أو أن هناك مراجع آخرين يرفعون اختلافهم الطبيعي إلى مستوى الخلاف في ما بينهم، فيغلب الفصال مع المرجع الآخر، على التواصل في رأيهم وعملهم، فماذا كان يمكن أن يحدث؟

كان يمكن أن يصحو العراق، إذا ما صحا، على فراغ مرجعي شامل «ديني وسياسي»، لأن أهل الداخل يحتاجون إلى مدة طويلة وتجارب مرة كي يستعيدوا لياقاتهم السياسية والإدارية، والآتون من الخارج يحتاجون إلى مدة أطول لكي يندمجوا في أهلهم واجتماعهم الوطني، ويوطّنوا خبراتهم التي اكتسبوها من المناق. من هنا استدعت الضرورة أو سوّغت تصدي المرجعية الدينية للشأن السياسي بحكم الفراغ، من دون أن يعني ذلك أن المصلحة تقتضي الاستمرار في هذا المسار.

وهذا ليس من قبيل ما يحصل عندما تكون الأوضاع في بلد معين ضاغطة وقاسية، تبعث أهل الداخل إلى الاستجاد بالخارج، من حلفاء

وأصدقاء وأعداء أحياناً، من أجل التغيير. فإذا ما تم، وكان للخارج المساعد مصلحة فيه، ارتئى بعض أهل الداخل أن يقولوا لمساعديهم من الخارج: شكرأً وفي أمان الله! وعندئذ سيعمد أهل الخارج من المساعدين، إلى استغلال كل ظروف الاختلاف والخلاف والتمايز بين أطراف الداخل، في تأجيج الصراعات، من أجل تأمين مصالحهم كجعلات باهظة على اقتصاد البلد المعنى... هذا إن لم يكونوا قد شرعوا في تأسيس هذا الواقع من أول يوم بدأوا فيه توظيف قدراتهم في الاستجابة إلى الطلبات التي قدمت لهم.

اليس هذا هو السر الكامن وراء تمسك العراقيين في معظمهم ببقاء قوى التحالف في العراق إلى حين، خوفاً مما يتربّط على الانسحاب الفوري من كوارث؟ بدلالة الأكثريّة النيابية التي صوتت، مع العلم أن أكثر الذين لم يصوّتوا موافقون، لكنهم خائفون من مزايدات في ما بينهم أو طامعون بمطالبات فئوية أو مذعنون لإملاءات خارجية.

أما التدخل المرجعي في المفاصل وبعدها، فلا بد له من تحديد حجم وأجل، حتى لا يستمر بالزخم نفسه، فيعمد كثيرون من ألحوا عليه سابقاً إلىاتهامه بتعطيل العملية السياسية، وربما طالبوا بالحد منه. وكذلك فإن المناسب هو تخفيف تدريجي للدور السياسي المرجعي بإرادة مرتجعية بلوغاً به إلى حد الضرورات، كما حصل، على أن لا يكون ذلك مدعاه إلى مصادره هذا الدور الذي يبقى مستوى المراقبة والمساءلة فيه حقاً للمرجع، على أساس المواطنـة. وإذا كان هذا الدور حقاً لجميع المواطنين وواجبـاً عليهم، فإن الموضع المسؤول للمرجع يمنـحه امتيازاً مسؤولاً في هذا المجال.

التساؤل الذي بدأنا به كلامنا، لا يريد الافتئات على شأن وأهلية المراجع الآخرين في الحوزة النجفية، ولا على قدراتهم وإرادتهم في تحمل مسؤولياتهم الوطنية المضاعفة عن المجتمع العراقي، والشيعي وخاصة. لا على أساس أنهم حكام، بل على أساس أنهم مراجع اختيارهم الناس للرجوع إليهم بملء إرادتهم، ما جعلهم، كما حدث أكثر من مرة في التاريخ القريب، قنوات إجبارية وائلة بين المجتمع الأهلي وم مشروع الدولة، خصوصاً بعدما أقفلت هذه القنوات بالدم والأشلاء، مدة تزيد على ثلث قرن، وبطريقة تشبه الاغتصاب وتعقيم الأرحام حتى لا تلد، من قبل النظام الراحل.

وأدى هذا التقادم الزمني إلى إفقار المجتمع العراقي من لياقات كثيرة وضرورية لبناء الدولة، منها تدمير أو منع إنتاج الطبقة السياسية التعددية الموازية للنظام أو السلطة، والتي كان يمكن لها أن تتكفل بإنتاج بديل سريع وقدر ولو بالحد الأدنى، لذلك النظام، بديل يشرع في بناء الدولة، مستعداً لتذليل المصاعب التي أتت وتأتي من جهة الماضي ومن جهة الاحتلال والاحتلال، ومن تداخلات الجوار وما بعد الجوار عبر بوابات العراق المذهبية أو الإثنية المخلعة أو المشرعة.

أعتقد، ومعي كثيرون جداً، أن المرجع السيد محمد سعيد الحكيم، يمتلك الشروط الرعائية المرجعية بكفاءة عالية، غير أن أمراً ليس طارئاً على الحوزة، بل هو من تقاليدها وأعرافها، وإن كان هذه المرة يظهر ويبرز بسطوع شديد، في جو من المناقبية العالية، وفي حال من التحدي الذي أدرك السيد الحكيم عمقه، فعالجه بالإذعان الطوعي المسؤول لتراتبية مرجعية إدارية، لا تنقص أبداً من أهليته العلمية والمسلكية الموازية أو المساوية

ولعله لطف من اللطيف الخبير، ذلك الذي جمع بين السيد السيستاني والسيد الحكيم في هذا المفصل، وإلا فقد كان من الممكن أن يكون السيد الحكيم في مجال التعرض للمساءلة أكثر، في شأن مرجعيته على تقدير الانفراد، نظراً إلى وجود قوى سياسية كبيرة ومنافسة في العراق، ومسؤولية بالتراث الحكيمي، (يستمر الآن مع ظروف أشد تعقيداً من الماضي) الذي يعود إلى أيام مرجعية وزعامة السيد محسن الحكيم، جد السيد محمد سعيد لأمه... والآن وعلى رغم إلحاح السيد الحكيم، ومن دون جفاء، على التمييز والتمايز بينه وبين «المجلس الأعلى في العراق» فإن كثيرين يصررون على النظر إليهما على أنهما واحد... وعلى رغم أن المجلس الأعلى يجاهر بالتزامه توجهات السيد السيستاني، مطمئناً إلى عدم وجود أي تحفظ لدى السيد الحكيم، بل وبتشجيع منه علني وسري... فكيف لو كان السيد السيستاني أو غيره لا يشكل مرجعية عظمى؟

إلى ذلك، فإن المرجعين المرموقين الآخرين الشيخ إسحق الفياض (أفغاني الجنسية) والشيخ بشير النجفي (باكستاني الجنسية) لا يشك أحد في مرجعياتهما، غير أنها تقوم أساساً على المؤهل العلمي بمعنى الأكاديمي حسراً أو بما يشبه الحصر، وهمما يفتران إلى ما يمكن أن يكون رهطاً أهلياً يشكل قناعة لكل منهما على قوى اجتماعية، على مساحة العراق، تشكل عاماً موصلاً بينهما وبين الدولة يحمل إليها هموم المجتمع... ومن هنا فإن الفياض والنجفي، وهما يمارسان مرجعية الفتوى، في إطار المقلدين لهما اختياراً، ومرجعية الأبحاث المعمقة (بحث الخارج) في إطار تلاميذهما، يصعب عليهما أن ينهضا في شكل كافٍ بأعباء الرعاية الفاعلة للحالة الشيعية في العراق، كما تفرض المتغيرات الشائكة في

الموروث منها وفي المستجد، وتحدي بناء الدولة بمشاركة شيعية واسعة لا تخلو من ارتباك أو تسلم من اعتراض، وفي ظروف غير مواتية تماماً.

إن كون السيد السيستاني من غير رهط أو عصبية قومية أو حزبية وكونه امتداداً للسيد الخوئي في نهجه الفقهي الذي لا يساوي بين الدين والسياسي على أساس ولادة الفقيه أو غيرها، وكون إطاره العائلي محصوراً في نطاق ضيق بحيث لا يتحمل مشروعياً سياسياً أو سلطوباً ليتحول إلى عبه على هذا المشروع، إلى مواهبه العلمية والشخصية، وفي مقدمها الشفافية والتواضع والتعفف، كل ذلك جعل موقعه راسخاً ودوره مطلوباً، وأداء في شكل زاد من الثقة بعقله وقلبه إلى الثقة بدينه وعلمه في الأصل... وهذا لا يعني أن أداءه لم يكن يتحمل أو يقتضي النقد، ولكنه نقد، إن توافر، فهو محدود وهو نقد عملي لا قيمي، اللهم إلا ما يأتي من نقد هو أقرب إلى التجريح، ناتج من حساسيات تشكو من نقص في فهم المرجعية الشيعية، ما يجعلها تقيسها على غيرها خطأ

إلى هنا نكون أجبنا تقريباً على السؤال الذي بدأنا به كلامنا، ما يعني أن السيد السيستاني كان ضرورة وكان عدم وجوده أو عدم تصدّيه وتحمله للشأن العام يشكل ضرراً بالغاً. أما الآن فإننا ملزمون بتقويم هذه الضرورة وإعادة تقديرها بمقدارها الذي يزيد وينقص، وإعادتها إلى الحجم الذي يضمن فاعليتها وتمميرها، وتخليصها من الالتباسات والمنغصات، والابتعاد بها عن مجال التشكيك المشكوك والاعتراض المدخل في أغراضه، وبتركيز نقول: إن العراق في حاجة ماسة إلى إعادة رسم الخط المائز أو الفارق بين الدين والسياسي، بين المرجعية الدينية والمرجعية السياسية، لأننا نخاف، على تقدير استمرار المساواة أو المطابقة بينهما، أن يقلل ذلك من قدرة الطبقة السياسية على بناء الدولة،

وتحمّيل المرجعية مسؤولية الفشل، كما نخاف من اضطرار المرجعية، في حال استمرار الصراع في تعميق الخلاف وتشتيت الجهود، واستثمار المشاعر الدينية في الاستقواء من كل طرف على الآخر... إلى الانحراف التام في عموميات وتفاصيل الدولة والشأن السياسي والإداري، ما يؤدي عادة إلى فقدان المرجعية ولو جزئياً موقعها الجامع، وتحولها إلى طرف شاءت ذلك أم أبت.

وإذا كانت الثقة بالسيد السيستاني ومحبته من الجميع أو الأكثريّة، مكنته من ممارسة دوره إلى الآن، بقبول كان تماماً، ثم دخل لاحقاً في مسار إشكالي... فإن هذه الثقة مطلوبة دائماً، لكن شروط استمرارها تختلف باختلاف الواقع. ولعل من شروط استمرارها أن يتحرر أو يحرر السيد السيستاني من المحنة المجانية له والمبالغة، لأنها أصبحت أو ستصبح قيوداً ثقيلة. أي أنه لا بد من الذهاب إلى الواقعية السياسية في ما يعود إلى مستلزمات بناء المؤسسات وإدارتها وإدارة الاختلاف فيها وعليها، تحت سقف أو من داخل الدستور وفصل السلطات، وبما يقتضي ذلك من شرط أن تكتف الطبقة السياسية عن هذا الجنوح إلى الاستغفاء بسبب القصور أو التقصير، من وظيفتها، ما يزين لها إسقاط همومها أو تعثراتها على المرجعية وإحالة المواطنين، في كثير من الأمور التدبيرية على رأي المرجعية والسيد السيستاني تحديداً أو أولاً، ما قد يضعه على طريق الحرج ويدفعه بإملاء من ضميره إلى إخراج نفسه نهائياً من السياق فتخسر بذلك جميعاً.

ليس هناك، إلى الآن، من أعداد مستقبل مدروس وصعب في ما يعود إلى العلاقة التبادلية بين المرجعية الدينية والمرجعية السياسية، التي لا بد من أن تتبلور على أساس الكفاءة والنزاهة، وبقي اللجوء الاستسادي

الى المرجع لا لحل الخلاف، بل ليستقوي كل بالمرجعية على الآخر في أكثر الأحيان... وبذلك قد يتعرض العراق الى مصير تفرض فيه المرجعية الدينية عليه فرضاً من خارجه، ومن خلال الإحاطة التامة للخارج بالمرجعيات المنتظرة أو المفترضة، ووضعها في مجال تأثيراته وإملاءاته، والتمدد من خلالها الى فضاء الدولة ومؤسساتها وقراراتها. ما يعني أن عهد الاستقلالية المرجعية بالنسبة العالية التي عرفت على مر تاريخها وحتى الان، قد يصبح مهدداً، ولعله كذلك الآن من دون مبالغة، فهو مهدد بالاستبعاد أو الاستلحاقي، وقد لا يكون ذلك ضاراً تماماً، لو لا أنه يشكل مدخلاً الى الانقضاض من استقلالية الدولة. وهذا يعني أنه لا بد من أن يتم تشيط الحوزة لإنتاج مرجعيتها التالية بنزوع تام الى الاستقلال التام، عن الدولة وعن الخارج وعن الأطراف السياسية داخل العملية السياسية. وقد يكون تخفيف كثير مما لا يلزم من الأمور السياسية عن كاهل المرجعية مقدمة لذلك كله، حتى لا نفاجأ بعد أعمار طويلة للمراجع.

أما إذا استمرت المراهنات السياسية المتباعدة والمتصارعة أحياناً، على المرجعية، أو تعاظمت بسبب تعاظم قصور الطبقة السياسية العراقية، فإن ذلك قد يؤدي الى وقوع المرجعيات التي هي قيد إعداد ذاتها للمرجعية الآن علمياً ومسلكياً، في إغراء سياسة خارجية أقوى من إغراءات الداخل. وإذا كانت هذه الإغراءات إسلامية، سنية بالنسبة الى السنة الذين لهم إشكالياتهم وتعقيداتهم كذلك، أو شيعية، فإنها قد تغيري فاعليات في الحوزة، أو ربما مرجعيات مختلفة وطامحة، بالاستقواء بأطراف أخرى أبعد من الأقاليم ومن الجوار، ومن دون توقف عند الشروط الدينية أو المذهبية المتوافرة، أو غير المتوافرة في هذه الأطراف المستقوى بها، طالما أن المعيار السياسي محض، أي طالما أن الخلط العشوائي بين الديني والسياسي سيؤدي

إلى تغليب السياسي على الديني، أو تحويل الديني إلى سياسي، في مقابل احتمال معادل في خطورته، وهو تحويل السياسي إلى ديني، هكذا ومن دون تمييز معرفي أو وظيفي، على طريقة الأصوليات. وهذا يعني إلغاء السياسي بالديني والديني بالسياسي، وبالتالي إلغاء العراق ك وعد وطني وعربي وإقليمي بالخير والعافية بعد طول المعاناة وهدر الثروات، وذلك بمنعه من إنتاج دولته المدنية الجامحة والمحروسة دائمًا بالقيم الدينية والإنسانية.

وإنه لهم جدًا في النهاية وعميم النفع أن نتمسك بالمرجعية الدينية كأحد أعظم النوااظم التي تجمع وتحفظ، وأن لا نسمح لأنفسنا ولا لأحد بالتفريط بها .ولكن إعاقة بناء الدولة من خلال تدافع المسؤوليات أو التدافع بالمسؤوليات يحدث فراغات واسعة وقاتللة، وهو تفريط حقيقي وخطير بالمرجعية أولاً وبالذات. وإذا لم تكن هناك دولة عراقية فماذا تفعل المرجعية؟ ستسود الفوضى والتطرف والإرهاب وسيتولى أكثر الناس جهلاً وارتكاناً مهمة العبث بالأحكام والفتاوي والفتوك بموارد الاحتياط الشرعي... الدم والمال والناموس!

● العلامة السيد هاني فحص

الحياة ١٢/٣/٢٠٠٨

بيروت - لبنان

الشخصية الذاتية والكمالية والعلمية للإمام السيستاني

• العلامة السيد منير الخبراز

القطيف - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين
الطاهرين.

ال الحديث عن شخصية أستاذنا وملادتنا زعيم الطائفة المرجع الأعلى
السيد السيستاني - دام ظله الشريف - في عدة محاور:

- في معالم شخصيته الذاتية.
- ومعالم شخصيته الكمالية.
- ومعالم شخصيته العلمية.

المحور الأول: - في معالم شخصيته الذاتية :

وهي السمات التي جبل عليها وعرف بها منذ صغره ونعومة أظفاره
وكان عوامل مؤثرة في بناء شخصيته العملاقة في مجال الزعامة والعلم
والعرفان وهي عديدة :

العلم أ: انيسه الكتاب

لقد عرف منذ طفولته برغبته الشديدة في أن يقضى معظم أوقاته
وحده الكتاب بيده لا يعني ولا يهتم بالأسفار الترفيهية والتلامحات

الاجتماعية فهو قليل الأصدقاء وقليل الزيارة للمجالس المختلفة وقليل المزاح وهمه في أن يعمر مجلسه بالبحث العلمي أو التحليلي دون شيء آخر وهذا ما شكل عاملًا مهمًا في بناء شخصيته الثقافية حتى أصبح موسوعة متعددة المعارف متجسدة في شخصه المبارك.

المعلم بـ: خلقه الوئام

لقد جُبل منذ طفولته على كراهيته الشديدة للعنف والإختلاف وميله للهدوء والوئام فكان طفلاً مساملاً يكره المشاكسات والمواجهات مما أعتدي عليه وعاش مسيرته في النجف الأشرف الحافلة بالصراعات الفكرية والسياسية والاجتماعية من دون أن يدعم مرجعية معينة أو ينخرط في تيار أو يؤيد حزباً أو خطأً معيناً ونائى بنفسه عن جميع مواطن التوتر والتشنج والإختلاف ولم يشغل وقته بنزاع شخصي أو اجتماعي مع شخص أو جهة بل حتى إذا احتمم النقاش في مجلسه بينه وبين بعض تلامذته فإنه يؤثر السكوت لا ضعفاً عن الجواب ولكن رغبة في إزالة الإحتقان والإختلاف وهذه السمة جعلت من تاريخه الماضي صفحة نقية سليمة لدى سائر الأطراف كما أنها عامل مؤثر في الصورة المعروفة عن مرجعيته الشريفة حيث غدا أباً حنوناً لجميع الأطراف المختلفة جاماً للشتات موحداً الكلمة.

المعلم جـ: تعلقه بالسماء

لقد نشأ في مشهد المقدسة في بيت عبادة وعرفان فأصبح ولماً بالأذكار والأوراد والخلوة بنفسه منذ صباه وجرى على هذا المنوال إلى أن أصبح أستاذًا من أساتذة الحوزة حتى نعته بعض معاصريه بأنه راهب أو درويش وهذا النفس الروحي صار عاملًا دخيلاً في بناء شخصيته العرفانية

المتسمة بالورع وشدة الخوف من الله والبعد عن المغريات البراقة فكان وما زال مجلسه مجلساً يذكر جلisse بالآخرة.

العلم د: روح الإستقلال

لقد جبل على إستقلالية الشخصية من جهتين:

فهو من جهة يكره الإتكالية والإعتماد على الغير فكان ينجز أموره بنفسه دائمأً ويعتمد على عقله وقراره منذ صغره وهذه الروح من مناشيء سمة الطموح الفريد في مسيرته حيث تنقل بين حوزة مشهد وحوزة قم وحوزة النجف الأشرف متربداً على مختلف الأساتذة باحثاً عن أقدرهم على إشباع نهمه العلمي وتلبية طموحاته المعرفية كما عرف أيام دراسته في النجف الأشرف بأنه أكثر الطلبة ترددًا على المكتبات المختلفة معتمداً على نفسه في الوصول إلى المصادر الموثوقة أو إستطاق الرأي الأصوب عن قبول وقناعة ومن جهة أخرى فقد أثرت عليه نزعة الإستقلال بأن لا يرتبط بجهة وأن لا يكون ظلاً لغيره سواء كان جهة أو شخصاً وكان هذا عاملًا دخليًا في زعامته وبلورة مواقفه وقراراته فهو الذي لا يتأثر بحاشية أو أولاد أو أقارب بل يستقل في بناء قراره وتصميم موقفه بعد المشورة والتأمل والدراسة المحكمة.

المحور الثاني: - المعالم الكمالية

وهي السمات التي اكتسبها نتيجة خوضه تجربة الحياة وممارسته لضمار مليء بالصعوبات والتغيرات السياسية والإجتماعية.

العلم أ: البصيرة وبعد النظر

إن القيادة ليست منصبًا ولا انتخاباً ولا وراثة وإنما هي موقف فحنكة القيادة في اختيار القرار المؤثر في الظرف المناسب بالإسلوب

الفاعل وهذا ما يتوقف على بعد النظر والقدرة على قراءة الواقع واستشراف أحداث المستقبل ودراستها بروية وتأمل وذلك ما اتسمت به الشخصية القيادية لسيدينا الأستاذ - دام ظله - كما شهدت به قراراته وموافقه في أحداث النجف وسامراء و موقفه في قضية الإنتخابات البرلمانية وال محلية.

فربما يصفه بعض المختلفين معه أنه بطيء في إتخاذ القرار إلا أن رؤيته أن مفسدة العجلة وعدم النضج في إتخاذ القرار أشد مفسدة التأخير والتأني فقد دأب في تعامله مع الأحداث المختلفة على النظر للعواقب المحتملة على أمته بتمام مفاصيلها ونخبها في اتخاذ أي قرار مؤثر.

وقد كان هذا ديدناً له مسيرته السابقة فهو الذي اقترح على استاذه السيد الخوئي - قدس سره - أيام الإنفاضة الشعبانية أن يقوم بتشكيل لجنة لدراسة مصادر القوة المساندة لبقاء الإنفاضة من الخارج والداخل قبل اتخاذ أي قرار سياسي أو إداري في شأنها استشرافاً منه للأحداث المستقبلية ولمعرفته بطبيعة النظام الوحشي آنذاك.

المعلم بـ: الواقعية

إن كثيراً من القادة قد يستغل الظروف السياسية أو الإجتماعية من أجل اكتساب لقب جديدة أو صيت ذائع فهو حريص على رکوب أي موجة من أجل تلميع صورته أو توسيع مساحة نفوذه الإجتماعي ولكن القائد المخلص لأمته هو الحريص على أن يتعامل مع الظروف المختلفة بمنطق الواقعية وتقديم الأهم على المهم ودفع الأفسد بالفاسد في إطار المصالح العامة للمجتمع الإسلامي.

وهذا ما تجسد في مواقف السيد - دام ظله - فهو الذي كان يامكانه أن يستغل ظرف الاحتلال الأمريكي للعراق في إصدار فتاوى الجهاد والمقاومة المسلحة ليحرز بذلك صيتاً كبيراً في الأمة الإسلامية والعربية ويكون بطلاً من أبطال العروبة ولكنه تعامل مع الحدث بواقعية تامة وركز على المصالح العامة للشعب العراقي في إطار الممكن والميسور فلم يفت بوجوب المقاومة المسلحة للاحتلال ولم يحرمنها وينع منها في نفس الوقت لجهتين:

فمن جهة قد أدرك ان الشعب العراقي المظلوم على مدى خمس وثلاثين سنة قد نزف الدماء والجراح عشرات الآلاف وقدم من الضحايا والماسي ما لا يحصى فمقتضى حب القائد لشعبه وإخلاصه له وحفظه على دماءه وأعراضه وأمواله أن لا يكلفه ويلزمه ببذل المزيد من الدماء وتقديم الكثير من الضحايا خصوصاً وأن قطاعاً كبيراً من هذا الشعب قد سئم من كثرة الجراح والماسي وأشار أن يخلد إلى الراحة وترميم الجراح.

ومن جهة أخرى فان التعامل مع الأمور بواقعية مجردة عن نداء العواطف والإنفعالات أن تدرس الموقف ضمن قاعدة المهم والأهم وقد رأى ان اخراج المحتل من العراق أمر مهم ولكن إعطاء فرصة للشعب العراقي ليبني له كياناً سياسياً بيارادته وانتخابه واختيارة أهم وقد شخص انه لو أفتى بوجوب اخراج المحتل وبذل الشعب العراقي آلاف الدماء والضحايا لمدة ثلاث سنوات أو أكثر فان نتيجة المعركة وثمرتها لن يحصدتها الشعب العراقي حيث أن البُعث الصدامي وتنظيم القاعدة كان في تلك الفترة قوة عسكرية واستخبارية ممتدة في طول البلاد وعرضه وبالتالي فهم قيادة جاهزة لركوب الموجة واغتنام الفرصة بحيث متى خرج المحتل

سيطروا على مقدرات البلاد من جديد وحكموا بالحديد والنار وعاثوا بالأرض فساداً كما كانوا ومن الواضح تجربة الشعب الجزائري وغيره من الشعوب التي بذلتآلاف الدماء وكانت النتيجة أن حصد الثمرة فئة قليلة من المجتمع وهي التي سيطرت على إدارته وقادته فالحربي والأوافق بالصالح العامة أن يتفرغ الشعب العراقي لبناء قيادة سياسية واجتماعية عن قناعة وإرادة و اختيار ويقوم بترميم جراحه وبناء مؤسساته الثقافية والخيرية والعلمية فإذا ملك كياناً قوياً شامخاً استطاع بعد ذلك أن يخرج المحتل بأساليب مختلفة ومتنوعة.

فقد تم الأهم على المهم وإن كان أمراً وصعباً ومصادماً لغليان العواطف والمشاعر إلا أنه هو المنجم مع رشد القيادة وواقعيتها وإخلاصها ومضافاً لذلك كله فإنه لم يحرم المقاومة المسلحة ولم يمنعها ولم يستقبل أي طرف يتعاون مع الاحتلال أو يكون ممثلاً له ولم يعبر عن الوجود الأمريكي والبريطاني في العراق إلا بالإحتلال إلى يومنا هذا وأصرَ على إجراء الانتخابات مع أن المخطط الأمريكي هو نصبٌ حكوميٌ موالية له بأساليب معينة كما أصرَ على عدم عقد إتفاقية استراتيجية مع الجانب الأمريكي إلا إذا تضمنت عنصرين: المحافظة على سيادة العراق واستقلاله وتوفّر الإجماع الوطني على قبولها والتفاعل معها.

المعلم ج: الروح الأبوية

إن القيادة الرشيدة هي التي تتعالى على الصراعات الفئوية والإختلافات الإجتماعية وتكون مرجعاً لأبنائها مهما اختلفت مشاربهم واتجاهاتهم، وهذا ما تمثل في قيادته الحكيمه فهو الذي عاش خمسين سنة أو أكثر في العراق ورأى كثيراً من الإختلافات الفكرية والسياسية والإجتماعية وأدرك بنظره الثاقب أن تلك الإختلافات أحدثت شرخاً خطيراً

في جسم الأمة وكانت عاملًا مهمًا في تشتت قوتها وبعثرة جهودها بحيث انشغلت بأجواء الإختلافات عن القضايا الأساسية والمصيرية مع ان نقاط الاتفاق والإشتراك فيما بينها تبلغ ثمانين بالمائة بينما نقاط الإختلاف لا تزيد على عشرة بالمائة ورأى أن الخيط الرابط بين هذه الإتجاهات المتباينة والكلمة الجامعة لشاتتها هو الإستظلال بظل آل محمد – عليهم السلام – فلذلك كله أتخذ مبدأ جمع الكلمة وتوحيد الصف، فلم يتحيز لجهة أو حزب ولم يفت لصالح أحدٍ كما لم يفت ضد شخص أو جهة أو خطٍ ما دام الجميع مستظلًا بظل آل محمد بل أفضح حنانه الأبوى وتواضعه وعنياته على الجميع واستوعب معارضيه والمختلفين معه بالكلمة الطيبة والنصيحة الصادقة.

وكان وما زال يكرر أن من سوءات التاريخ أن يُكتب عن أي زعامة أو قيادة أن قلمها كان مصدرًا لإحداث شرخ أو فتنة أو كان عاملًا لحدوث ظلم أو اعتداء من طرف على آخر من أبناء أمته ومجتمعه.

المعلم د: انصهاره بعظمة الإسلام

ان القيادة الوعية هي التي لا تشغله القضايا الثانوية والهامشية على حساب القضايا الأساسية والأولية وهذا ما أفاده السيد – دام ظله – فعلاً وحركة وديتناً فهو الذي يرى أن أهم قضية يعني بها مرجع الأمة والقائد المسلم هي الدفاع عن حرمة الإسلام والمحافظة على نقاء صورته وصفاء سمعته في نظر المجتمع العقلاني العام وأن حرمة الإسلام والإيمان أشد من حرمة المؤمن وأي حرمة أخرى فلذلك لم تصدر منه فتوى يبابحة أموال غير المسلمين في البلاد الإسلامية أو غيرها بذرية الإستقاذة ممن ليست له حرمة بل أفتى بأنه لا يجوز للمسلم الإستيلاء على أموال غير المسلمين في البلاد الإسلامية وغيرها إلا بطريق قانوني عقلائي بمقتضى عقد

الأمان الجاري بين أبناء الشعوب المختلفة حفاظاً منه على سمعة الإسلام وقيادته بأن لا تكون الفتوى ذريعة لاستغلال أعداء الإسلام في تشويه صورته ومبادئه.

كما أنه وبعدة بيانات حرم دماء الملل الأخرى في المجتمع العراقي والمجتمع العربي والإسلامي كله كالمسيحية واليهودية والصابئة والأزدية ومن لم يتصد لمحاربة الكيان الإسلامي أو الإعتداء على حرمات المسلمين، كما حرم أموالهم ونادي بتوفير جميع حقوقهم الاجتماعية والوطنية مثلهم مثل سائر المسلمين كل ذلك من أجل إعطاء صورة ندية عن الإسلام وأنه غني بالمبادئ الإنسانية التي تحترم جميع أبناء المجتمع البشري وأن القيادة الإسلامية هي التي تقipض حنانها الأبوى حتى على غير المسلمين من أبناء مجتمعها لينهلوا من سماحة الإسلام ورأفته وعانته.

ومن أبرز مواقفه التي تُظهر مدى اهتمامه بحرمة الإسلام وعظمتها وقوفه الصارم أمام الفتن الطائفية التي حاولت العبث بالمجتمع العراقي الواحد فقد حرم على كل عراقي دماء المسلمين من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى وأكَّد على أنهم إخوة في الإسلام وأن لهم جميع حقوق الأخوة لا لضعف أو جلب مودة أو حيازة سمعة أو لقب بل لأجل أن حرمة الإسلام وأهمية امتداده وقوته وبيان مدى سماحته وشموليته الأبوية لأنبائه قضية أساسية لا يُستخف بها.

كما أن مواقفه في أحداث سامراء وبياناته العديدة في نصرة الشعب الفلسطيني المضطهد من أوضح الشواهد على اهتمامه العميق بحرمة الإسلام وعظمتها.

المعلم هـ: يا دنيا غرئي غيري

ربما يحاول بعض من يصل لمنصب قيادي استغلال منصبه في جمع ثروة له ولأبنائه أو اغتنام فرصة المنصب لتوريث أملاكه وعقارات وأموال إلا أن الصورة المرجعية السيد المفدى - دام ظله - مغايرة لذلك تماماً فهو الذي يتمثل في سيرته منذ أيام شبابه كلمات جده أمير المؤمنين - عليه السلام - "إلا وإن لكل مأمور إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه إلا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعامه بقرصيه"، فهو منذ عشرات السنين يسكن كوخاً من أكواخ النجف القديمة بأجرة يدفعها في موردها كل شهرٍ ويعيش عيشة الزاهد في المظاهر الدنيوية من دون أن يعبأ بلذة أو إغراء.

وحاله في لباسه وأثاثه ومائدة طعامه بعد المرجعية هو حاله عندما كان طالب علم في الثلاثين من عمره يعيش على راتب قليل يستلمه من بعض أساتذته.

وهو الذي منع نفسه وأبنائه أن يتملك داراً أو سيارة أو أي جهاز مهم كما منع نفسه وأبناءه قبول أي هدية توجب انحيازاً نفسياً لأحد على حساب آخرين، ولم يقبل أن تخصه الحكومة العراقية بطاقة من الكهرباء أو إقامة معينة دون غيره من أبناء شعبه مستشهاداً بكلمات مثله الأعلى أمير المؤمنين - عليه السلام - "أن الله فرض على أئمة العدل أن يساواوا أنفسهم بضعف الناس كي لا يتبع بالفقير فقره".

وإن البيئة التي عاشها في مشهد المقدسة منذ نعومة أظفاره حيث كانت بيئه زهد وانصراف عن زخارف الدنيا ومظاهرها جعلته يأبى أن يشغل بأي مظهر يشعر أن فيه زهواً وبروزاً دنيوياً فلذلك نأى بنفسه عن

الظهور في الوسائل الإعلامية المختلفة إلا بمقدار الضرورة القصوى حفظاً لنفسه السامية برصيد التقوى والورع عن التلذذ بأي مظهر دنيوي أو مادي.

كما أبى على وكلائه ومقلديه رفع صوره أو إبرازه دون غيره من مراجع التقليد في أي مكان كان أو إنشاء قناة فضائية أو موقع على الانترنت يتحدث عنه أو يُشَنِّي على مرجعيته أو قيادته حرصاً منه على أن لا توسم القيادة العلوية الإمامية باسمة الانشغال بالدعابة والإعلام المادح. فإن رأيته وجلست بين يديه وجدت أن المثل العلوي "يا دنيا غرّي غيري" هو مظهره العام والخاص.

العلم وـ: صدق اليقين

ترى كثيراً يظهر نهمه بالعبادة وبروزه في ساحة العرفاء والمعتقلين بعلم الملائكة ولكن سيدنا الكبير - دام ظله - يتمثل في حركته وسلوكه بالمقالة المشهورة للعارف المقدس السيد القاضي "من وصل لو يقل ومن قال لم يصل".

فهو الذي يقضي الكثير من وقته في الخلوة مع نفسه وفوق سطح بيته ناظراً لقبة جده أمير المؤمنين - عليه السلام - متذكراً سيرته متأملاً في حياته ومنهجه فهو مصدق لما ورد في مدح جده أمير المؤمنين - عليه السلام - "يحاسب نفسه إذا خلا ويقلب كفيه على ما مضى" وهو الذي يعيش لذة خاصة بالذكر والنافلة ومع ذلك كله فإنه لم يظهر يوماً من الأيام انتساعه لعالم العرفاء ولم يتشقق بكونه من أهل العبادة والذكر بل كان أيام قدرته على الخروج من بيته يواكب على زيارة قبر جده أمير المؤمنين - عليه السلام - زياراة مسجد الكوفة بالذات والسهلة في أوقات لا يراه فيها إلا القليل من الناس كما أن علاقاته بالعرفاء الصادقين في

النجم الأشرف لم يطلع عليها حتى بعض خواصه المقربين لديه قال عبرة
عنه بصدق اليقين بينه وبين ربه لا بالصورة السائدة بين الناس.

وأكمن خير شاهد يدلّك على تجذر نفسيه العبادي وروحه العرفانية
أنك إذا جلست عنده وجدته مصداقاً للحديث عن النبي - صلى الله عليه
وآله - "العالم من إذا رأيته ذكرك الله".

المحور الثالث:- معالم الشخصية العلمية:

والحديث هنا عن المنهج العلمي الذي تبناه السيد الأستاذ في
محاضراته في الحقول الحوزوية الثلاثة الأصول والفقه والرجال.

الحقل الأصولي:

إن للسيد الأستاذ في علم الأصول منهاجاً متميزاً ومساراً يختلف
عن مسار كثير من أرباب علم الأصول وأساتذته ويتبين ذلك باستعراض
معالم مدرسته الأصولية.

أ- الرؤية الشمولية :

إن الأستاذ قبل أن يشرع في بحث أي مسألة أصولية وعرض
تفاصيلها فإنه يقرأ المسألة قراءة شاملة من أجل اقتناص النكات العامة
المؤثرة في بناء المسألة قبولاً أو رفضاً وفرزها عن النكات الثانوية والجزئية
مما يعطي بصيرة لكل باحث يتناول المسألة، وهذا يختلف عن منهج كثيرٍ
من الأساتذة الذين يتناولون كل مسألة بمنهج تجزئي والانتقال من فقرة
إلى أخرى بنحو تختلط فيه النكات العامة بالنكات الخاصة.

بـ- تنوع الثقافات:

إن السيد الأستاذ كما هو فقيه متضلع وأصولي بارعٌ ورجالي ماهر فإنه متعدد الثقافات، فقد دأب على قراءة بعض العلوم الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم القانون، ودقق النظر في القانون المصري والعربي والفرنسي كما أن له إطلاعاً وافراً بالتاريخ، وخصوصاً التاريخ السياسي للدول العربية والإسلامية وهذا التنوع الثقافي تجلّ أثره حتى في بحوثه الأصولية فقد استفاد من علم الأنسنیات في تقسيم الدلالة في باب المفاهيم وتقسيم الحكومة وتنوع ألسنة التنزيل في النصوص كما استعرض ذلك في بحثه في قاعدة لا ضرر، واستفاد من دليل حساب الاحتمالات الرياضي في تحليل حجية الإجماع والخبر المتواتر، كما استفاد من علم القانون في نظرية الاستبطان التي طرحها في تفسير حقيقة الحكم الوضعي وعلاقته بالحكم التكليفي، كما استفاد أيضاً من علم النفس في تحليل المحركية العقلية من خلال موازنة النفس بين حجم الاحتمال وأهمية المحتمل.

وما زالت روحه الوئابة نحو معرفة كل جديد مع تجاوزه للثمانين من عمره فهو لا يفتئ أن يقرأ أي كتاب يصل بيده في أي مجال.

جـ- روح التجديد:

ليس بحث السيد الأستاد تقريراً لكلمات الآخرين ولا عرضاً تقليدياً لما قيل في شروح الكفاية وحواشيها وإنما تجده يتميز في كل بحثٍ بتتجديدهِ إما في صياغة البحث أو إضافة بعض النكات له أو اختيار مبنيٍ لم يسبق إليه.

وفي قراءة عاجلة لأبحاثه الأصولية نجد كثيراً من المباني والنكات تميّز بها اما لابتكاره لها أو لقيامه بتعويقها وبلورتها بأسلوب جديد.

فمن ذلك نظرية الهوهوية التصويرية في تفسيره للعلاقة الوضعية بين اللفظ والمعنى.

ومن ذلك ما طرحته من نظرية متمم الجعل التطبيقي في بحث الحقيقة الشرعية.

ومن ذلك ما أفاده في مراتب ظهور المشتق في الفعلية تبعاً لتنوع المبادئ من مبدأ جلي ومبدأ خفي وتحليله لبساطة المشتق على مستوى المعقول الأولى الذي لا يتناهى مع تركيبه بحسب المعقول الثانوي.

ومما تميّز به تحليله لحقيقة الحكم التكليفي والأمر المولوي ببنائه على عنصرين: عنصر البعث والعنصر الجزائي من وعدٍ أو وعيٍ، وما اختاره من نظرية الوجوب الاندماجي في باب مقدمة الواجب و قوله باختلاف مراتب القدرة من حيث الدخل في الحكم التكليفي حيث ذهب إلى أن أصل القدرة دخيلٌ في مرحلة الجعل، والقدرة التامة دخيلة في المرحلة الفعلية.

كما ذهب لعدم عقلانية الترتيب بين المتزاحمين المتساوين وأن متعلق التكليف في مثل هذا المورد هو الجامع الانتزاعي المعبّر عنه بعنوان الأحد.

كما استقاد من نظرية آقا علي مدرس القائلة بأن العَرَض ليس وجوداً وراء وجود الجوهر بل هو نحوٌ ولوّنٌ من ألوان الوجود الجوهرى في

تمييز التركيب الانضمامي عن التركيب الإتحادي في بحث اجتماع الأمر والنهي.

كما بلور في بحث المطلق والمقيّد الفرق بين الإطلاق الوارد في مقام التعليم والوارد في مقام الإفتاء فإن القدر المتيقن في مقام التخاطب ضائر بالإطلاق الوارد في مقام الإفتاء دون الوارد في مقام التعليم مضافاً إلى أن الجمع بين المطلق والمقيّد بتمام صوره جمْعٌ عرَفٌ في الخطاب الوارد في مقام التعليم، بينما الإطلاق الوارد في مقام الإفتاء إذا كان ترخيصياً وكان المقيّد المنفصل وارداً بعد حضور وقت العمل فإن الجمع بينهما بالقييد - كما هو المتداول في علم - مستهجن عرفاً.

ومن نظرياته ما سلكه في بحث حجية القطع من أن حجيته بمعنى المنجزية والمعدارية ليست ذاتية بل هي عقلانية فإن موضوعها القطع الناشئ عن منشئ عقلاً، وما سلكه في بحث التجربة من أن مِلَكَ المحرَّكِية واستحقاق العقوبة لدى المخالف هو إدراك العقل النظري استبطان الحكم المولوي لعنصر الوعيد، لا حُكْمُ العقل العملي بحق الطاعة وقبع التمرد على المولى والإستخفاف به.

كما اختار في بحث منجزية العلم الإجمالي أن منجزيَّته للجامع عقلية بينما منجزيَّته للواقع في كل طرفٍ عقلانية.

واختار في مسألة البراءة العقلية أن موضوعها ليس مطلق الشك في التكليف وإنما الشك المجرد عن قوة الإحتمال أو إحراز أهمية المحتمل.

كما ذهب لجريان الإستصحاب في الشبهات الحكمية بملك عدم المعارضه وإن استصحاب عدم سعة الجعل أصلٌ مثبت لأنَّه لا ينقَح ما هو المجعل نفياً أو إثباتاً.

وأبدع باباً جديداً في بحث التعارض وهو باب مناشئ اختلاف الحديث وهو بحث مؤثر في علاج تعارض النصوص.

كما اختار في تحليل الروايات المترضة لعلاج التعارض بين الأدلة أنها ليست في مقام الترجيح التعبدي وإنما هي في مقام الإرشاد للمائز بين الحجة واللاحجة.

وما ذكرناه غيض من فيض من مكاته الكثيرة التي بلورها في ميدان علم الأصول.

د- استيعاب المدارس الأصولية :

إن مسيرة بحثه ترتكز على عرض المدارس الأصولية الست مدرسة الشيخ الأعظم ومدرسة صاحب الكفاية ومدرسة المحقق الطهراني ومدرسة المحقق النائيني والعرافي والأصفهاني، والمحاكمة بينها ومقدار ما اضافته كل مدرسة من نكبات جوهرية في المسألة.

هـ- الرؤية العقلانية :

إن من السمات البارزة في بحثه الأصولي فصل المبني الفلسفية المبنية على البراهين العقلية المجردة عن تحقيق المسألة الأصولية، وإصرار على ربطها بالمرتكزات العقلائية القانونية.

وهذا ما استفاد منه في بحث الواجب المشروط وببحث الترتيب وغيرها من الموارد.

الحقل الفقهي:-

إن بحوثه الفقهية تتميز بسماتٍ تُشعّبَ نَهَمَ الباحث وتروي غليله باستيعاب نكبات المسائل والوصول لأفضل الآراء دقةً ومتانةً وهي عديدة.

السمة "أ": تاريخ المسألة

إن السيد الأستاذ يستعرض المسألة منذ بداية طرحها في أول كتاب فقهي وصل إلينا من كتب الخاصة أو العامة وقراءة سير المسألة ونحوها، فإن ذلك دخيل في تحقيق الأقوال ومعرفة مدى ارتباطها أو بعدها عن لب المسألة وكُنهَا.

السمة "ب": كتب القدماء:

إن التركيز في بحثه على مراجعة كتب القدماء في المسألة والتدقيق في عباراتهم عند تناول المسألة حيث أن ذلك دخيل في استكشاف القرائن الإرتكازية المعاشرة عندهم والتي لم تصل إلينا بلحاظة أنهم أول من تلقى النصوص وهم أقرب لزمان صدورها وأكثر إحاطة بقرائتها الحالية والإرتكازية.

كما أن ذلك دخيل في معرفة حجم الحكم وأنه بدرجة الشهرة أو الإجماع أو التسال أو الضرورة.

السمة "ج": أجواء النصوص:

إن من الركائز الأساسية في بحثه قراءة الكتب الفقهية والحديثة للعامة في كل مسألة بلحاظ أن كثيراً من الروايات ما هي إلا تعليق على رأي الجمهور لخطئه أو إضافة. فقراءة كلمات العامة في المسألة كاشف عن الأجواء المعاصرة للرواية الصادرة عن المعصوم وقرينة من قرائن مفادها كما تعرّض لذلك جمع من الأعلام في وجوب الخمس في الأرض المشتراء من الذمي.

السمة "د": وفرة القرائن:

حيث إن مسلك السيد الأستاذ هو أن موضوع الحجية الوثيق لا خبر الثقة فإنه يبدأ على جمع القرائن المختلفة الموجبة للوثيق بالرواية. ومن تلك القرائن شهرة العمل بالرواية وموافقة مضمونها للمبادئ والملالِكات العامة المستفادة من الكتاب والسنة الشريفة حيث إن مبناه على المقصود بالمرجح المعبر عنه في روايات الترجيح بموافقة الكتاب هو المواجهة الروحية وهو ما عبرت عنه بعض النصوص بقوله عليه السلام "فقسه على كتاب الله وأخبارنا". ومنها شهرة مضمون الرواية في كتب الحديث وكتب اللغة والأدب.

السمة "ه": الخبرة بكتب الحديث:

إن بحثه الفقهي يشتمل على مخزون وافر من الخبرة بالنسخ الخطية للكتب الأربع وغيرها من كتب الحديث والدقة في التتبع والمقارنة بين موارد الإختلاف فيها والقدرة البارعة على ترجيح بعض النسخ على الأخرى وهذا ما لا تجده في كثير من البحوث الحوزوية.

السمة "و": الظهور الإستنباطي:

لقد تبنى في بحث حجية الظهور في علم الأصول أن موضوع الحجية الظهور الموضوعي العربي لا الظهور الذاتي.

ومن مصاديق الظهور الموضوعي الظهور الخاص، حيث إن لكل مفنن لغة خاصة ومصطلحات يتميز بها فلا يصح لدى المرتكز العربي أن يُقتضي المراد الجدي من أي قانون بعرضه على الفهم العربي العام مع الإلتفات إلى أن مؤسس هذا القانون لغة خاصة في صياغة قوانينه.

ومن أمثلة ذلك الأحاديث الواردة عن أهل البيت - عليهم السلام - فإن الخبير بها يجد أن لها لغةً واحناً خاصاً ومعاريض متداولة في الأسنة الأئمة - عليهم السلام - وهذا ما ركّزت عليه كثير من النصوص حيث صرّح في بعضها "لا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف لحن كلامنا فإن لكلامنا وجوهاً لنا من جميعها المخرج" وورد في بعضها "إن لكلامنا ظهراً وبطناً" وهذا ما يقتضي أن يكون للفقيه خبرة طيبة الأمد بمزاولة روایاتهم - عليهم السلام - لتحقيق موضوع الحجية فيها وهو الظهور الإستباطي أي المقتضى من الجمع بين موارد她的 المختلفة.

السمة "ز": الحسُّ اللغوي:

إن فهم كثيرٍ من النصوص خصوصاً القرآن والسنة النبوية يتوقف على الإلمام بفقه اللغة العربية ولا يمكن تحديد المراد منها بمجرد مراجعة كتاب من كتب اللغة ككتاب المنجد أو الرائد بل لا بد من الإطلاع على امهات كتب اللغة كاصحاح القمي وقاموس ولسان العرب وتمييز ما هو سابق واللاحق منها لمعرفة الكتب القريبة من زمان صدور النص كما يقتضي ذلك التأمل في كتب فقه اللغة كمفہدات الراغب وأساس البلاغة وفقه اللغة وغيرها من مراجعة كتب الأدب لتابع النصوص الصادرة من العرب المعاصرين لزمان النص القرآني أو النبوي أو العلوي.

الحقل الرجالـي:

إن من سمات الشخصية العلمية للسيد الأستاذ أنه فارسٌ في الميدان علم الرجال لوضوح مهارته وبراعته الفائقة في عدة جهات من جهات هذا العلم.

- ١- خبرته بمختلف الكتب الرجالية لدى الخاصة وال العامة و تحديده للغرض من تدوين كل كتاب منها لدخلة ذلك في قيمة التوثيق والتضعيف فيها.
- ٢- تمييز السابق من اللاحق لتحديد كون الجرح أو التعديل تأسيساً أو موثوقاً.
- ٣- التركيز على ألسنة التوثيق المتوعة من المدح أو الترضي أو التوثيق الصريح أو النعت بأنه صحيح الحديث أو صالح الرواية أو أن حديثه لا يُنكر، فإن اختلاف العبارات ليس مجرد تفتن وإنما هو دخيل في تقويم درجة الوثوق بالراوي وقيمة الإعتماد على الرواية في إثبات حكم مخالف للقواعد.
- ٤- جمع القرائن. إن مسلكه هو أن قول الرجالي توثيقاً أو تضعيفاً ليس شهادة وإنما هو رأيٌ حدسيٌ فكلمات الرجالين إحدى قرائن الوثوق ومقتضى ذلك جمعُ القرائن المختلفة المُتصيَّدة من كتب الحديث وكتب الأدب كشهرة الراوي أو كونه من مشائخ الإجازة أو استحسان العامة له أو رفضهم له فإن ذلك دخيل في تحديد وثاقته لدى الخاصة.
- ٥- فن الترجيح. إن تقديم كلمات النجاشي على الشيخ أو تقديم كلمات الكشي عليهم يتقوّم بالخبرة الإستقرائية للكتب الثلاثة ومعرفة مدى الدقة والمهارة لكل منها في مقام الجرح والتعديل.
- ٦- ثقافة الراوي. إن من جملة قرائن الوثوق بالراوي استقراء روایاته المختلفة لشهادة مضمونها بثقافته و تحديد أن المتعارف في روایاته

رواية ما هو مخالف للقواعد أو ما هو منكرٌ في علم الكلام أو
أن سخن أحاديثه موافقٌ للمضامين العامة.

-٧ - صفة الراوي. إن تحديد صفة الراوي وتمييز كونه من المجتهدين
أو من الرواة دخيل أيضاً في قيمة الوثوق بالمتناول المروي من قبله عن
المقصوم - عليه السلام.

وأخيراً فإن ما ذكرناه في عرض معالم شخصية السيد الأستاذ -
دام ظله - ما هو إلا نزرٌ قليل قدمنا بذكره التعرف على عظمة مقام
المرجعية وأن عنانة الباري تبارك وتعالى وعنانة صاحب الأمر - عجل الله
فرجه - بهذا المقام الخطير هو المؤثر في اختيار نماذج معينة بعدد الأصابع
من عشرات الآلاف من أبناء الحوزة العلمية بلحاظ أهليتهم وكفاءتهم ونقائص
سيرتهم منذ نعومة أظفارهم ولزياتهم بهذا المنصب الكبير وإن معرفة
عظمة مراجعنا أadam اللہ ظلالهم الوارفة طريق معرفة عظمة أئمتنا وبابٌ من
أبواب معرفة محال معرفة الله ومساكن برکة الله ومعادن حكمة الله.
والحمد لله رب العالمين.

المرجعية ماض وحاضر

• العلامة السيد مهدي الامين

مفتى قضاء بنت جبيل - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى:

"وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَتَفَرَّوْا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ" (التوبه/١٢٢)

وعن الامام الحسن أبي محمد العسكري (ع) انه قال: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدینه، مخالفًا لهواه، مطيناً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه»

ان لهذين النصين الشريفين كلمة الفصل في وضع الحجر الاساس لما عرف فيما بعد:

مراجع، مرجعية، مجتهد، مقلد، حوزة، مؤسسة دينية، وغيرها وما انبثق عنها من تفرعات.

بيد اننا لسنا بصدد البحث فيها جميماً، ولكن سنأتي بالحديث عنها وتوضيح بعض جنباتها في السياق العام، فتتضخ بشكل او باخر.

المرجعية والمرجع هما محور البحث، وللانارة على الموضوع لا بد من سرد بعض المقدمات والاستهلال بها.

الكلام في المرجع يستدعي التكلم عن المرجعية بحد ذاتها، كيف بدأت، واستمرت، وعن الظروف التي عاصرتها طوال حركتها وتقلباتها عبر الزمن.

يمتاز الشيعة عن جميع مذاهب أهل الارض في طريقة انتخاب زعمائهم الدينية. فهم غير تقليدين في هذه المسألة ولم يفرادوا فيها. ان مجرى العادات لدى أهل الملل والنحل، ومذهب الأديان في الأرض قاطبة، ان تقوم مجموعة منهم لها الصلاحيات بالمجتمع واختيار من يكون رأساً لهمها الدينى التراتبى، إما انتخاباً او تعيناً من قبل السلطة السياسية. ان شغور هذه المناصب بمكاسبها يؤدي الى ان يسعى لها مجموعة من الاشخاص كفوئين كانوا ام غير مؤهلين، مما يجعلها سلعة يتنازعها الطامعون فيقدم فرد على آخر، وينتج هذا في كثير من الاحيان ان يتبعها من ليس أهلاً لها، فيكون ذلك سبباً لضعفها و الحؤول دون ان تقوم بدورها المنشود. هذا حال جل المؤسسات الدينية و الدينوية قدماً وحديثاً، وهنا تتجلى الحالة الشيعية الفريدة بمؤسساتها و مرجعيتها الغراء. ان ما يصار اليه لدى الشيعة الامامية الاثنى عشرية يختلف عن ذلك اختلافاً جوهرياً، فلا مرشحين بالمعنى الحرفي - بل مؤهلين - ولا لجان فاحصة او ناخبة بالدقة، بل ان من لديه الاهلية يشرق كالشمس الساطعة في رابعة النهار ويشار اليه بالبنان، وهو من ينتخب نفسه بنفسه، ان جاز التعبير. وهاكم الشرح.

فلا شئ غير ما يمتلكه العالم من ملكات وقدرات وطاقة ومخزون علمي وقيادي، يقدمه على من سواه، ويؤهله ليكون في موقع

الصدارة. وهذا يتطلب لعمري سلوك درب شاق و طويل يمر به طالب الحوزة الى ان يصير مرجعا. وليس بالضرورة ان تكون ذلك نهاية المطاف لكل طالب بل انها تحتاج الى مؤهلات شخصية، لا يملكونها الجميع. فرادة الشخص، عمله وجهده الفردي يدفع به ليكون من اولئك الشموس الطالعة.

جهد فرد ومسيرة عمر منذ نعومة الاظافر الى يوم يلقى ربه، تربية على البذل والعطاء، من ساعة النفر في سبيل التفقه في الدين، والاستغراق في هدفه الواضح الا وهو العلم والمعرفة والتفقه ولا شيء عداها، . والذهاب فيها الى منتهي الكمال. يؤثر العلم على نفسه قالي الدنيا وزينتها تاركا لها وزاهدا فيها، متفرغا ومنقطعا عما يشغله عن الهدف الاسمي، مكتفيا بالقليل لنفسه.

العلم والمعرفة همه لا يشبع منها ابدا، نهما يلهث ورائهما ليل نهار، فيصقلان شخصه، فتصان من خلالهما نفسه. يحتاط لدینه غاية الاحتياط، ورعا، مخالفها الهوى اطاعة للمولى عز وجل، واتباعا لسنة نبيه، وهدي امامه الاعظم علي بن ابي طالب، وأبنائه الموصومين سلام الله عليهم اجمعين.

قلة اذا من فيهم هذه الخصائص المؤهلة، اذ انها حالة جهاد مستمر، فمن كانت هذه حاله تدين له الدنيا وتؤتيم طائعة منقادة تجثو تحت نعليه.

الاجتهد مبذول للعاملين وجم كثير من العلماء يبلغ هذه المرتبة بل ويتحطونها، فمن يبلغ فيها الذروة يطرح كمرجع تقليد، انما قلة هم من

تصير لهم زعامة الدينية المطلقة، وكأن هناك عرفاً غير منصوص على أن يتأخر الكبار من المراجع خطوة لواحد منهم لتكون له الصدارة.

وكان هناك من بلغ غاية في الكمال في هذا المضمار فتأخروا لقناعتهم أن هناك من يسد المسد ويملأ الفراغ، وهي منقبة أخرى تضاف إليهم، إذ ليس هدفهم من العلم والتفقه الوصول إلى زعامة المؤمنين ورياسة الحوزة، والتربع في سدتها.

ملامح شخصية المرجع

ان اختيار المرجع بحاجة إلى توفر عدد من الصفات المحددة في شخصيته وسلوكه تميزه عن اترابه من العلماء وتسمو به ليصير مرجعاً أعلى. هذه الصفات أكثر تفصيلاً من تلك التي ذكرناها سابقاً و التي اعتبرناها اطراً عامة لكل مرجع، انها الصفات التي تجذب الانظار إلى شخصيته وتبزز فرادته و اهليته وقد اختصرتها باربعة شروط:

الاول: الشهرة المستفيضة، فمن اشتهرت عدالته من بين اهل العلم وغيرهم، بحكاية اثاره عن نفسه، علمًا ومسلكاً.

الامر الثاني: شياع الشاء عليه من الخاصة وال العامة، بما لديه ويمتلكه ويختزنه.

الامر الثالث: الشهرة والثقة بضبطه وورعه من القرائن الكثيرة المتعاضدة الموجبة للتميز.

الامر الرابع: من صيغته مرجعاً للعلماء والفقهاء ليأخذوا عنه قبل العامة.

هذه الامور والاسباب وغيرها مجتمعة كانت ولا تزال العامل الاول في بلورة الشخص المؤمل ان يكون في موقع الزعامة للحوزة الدينية وتنتهي اليه الرئاسة، وهي كافية في عدالته ولا يحتاج معها الى معدل.

هذا ديدن المراجع والزعماء الدينيين منذ الشيخ محمد بن يعقوب الكليني الى يومنا هذا.

وقاعدة اخرى تحكم وبقوه ان لا تعطى الزعامة لطالبهما.

المؤسسة الحوزية

تعتبر المؤسسة الدينية الشيعية الجعفرية وعلى رأسها المراجع العظام الذين يشغلون حيزا زمنيا في مسيرتها ويشكلون لها قادة طبيعين لمدة زمنية معينة وهي مدة مرجعيتهم وزعامتهم الدينية، هي المنبع الحقيقي والأساسي الذي ينهل منه أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وقد استمرارهم.

والمرجعية الدينية الشيعية وبشكلها الحالى، التي ابتدأت منذ الشيخ الكليني تقريرا بعيد الفيبة الصغرى، لم يفرغه في نوعها، وهي اقرب الى ما كان عليه الحال في زمن النبي صلوات الله عليه وسلم من الآئمة عليهم السلام.

ان طلاب بحث الخارج ما يصطلح تسميته على الدروس والمحاضرات العليا التي يلقاها المجتهد المطلق على تلامذته المؤهلين لتلقي هذه الدروس، غالبا هم نواة ادارة شؤون المرجعية والمساعدين الخلص للمرجع، كبار الموظفين في إدارات الدول، فيما بعد، منهم من يصبح وكيلا عنه في بلدانهم وامصارهم التي يذهبون إليها في نهاية مطاف العلم ليكونوا أذرعا للمرجعية، ومنهم من يستمر معه والى جانبه وتصير لهم

الشهرة في العلم والتدريس ليكون مشروع مرجع في يوم من الأيام، وهكذا.

البداية والانطلاق

قد لا يكون من الصعب تحديد البداية لانطلاق مؤسسة المرجعية بل قد يستغرب بعض الشئ، حيث ترجع جذورها و بداياتها جغرافياً الى المدينة المنورة وزمنياً الى صاحب الدعوة النبي الاعظم صلوات الله عليه اذ انه كان يلقي علومه وكان هناك من يتلقاها ويعيها ومن ثم يحدث بها. ويعرف هؤلاء من بعد بالصحابة او المحدثين والتابعين وغيرها من التسميات، ومن هؤلاء التلامذة النجباء على سبيل المثال سلمان الفارسي، وابي ذر الغفارى، وعبد الله بن عباس حبر الامة، وغيرهم من كبار الصحابة. واستمرت في علي بن ابي طالب عليه السلام وكان من اهم تلامذته كميل بن زياد ومالك الاشتري وغيرهما. ومن ثم تواصلت في ولده الى ان صار لها من الشأن والمكانة وسعة الانتشار والتطور والاقبال عليها.

أخذت شكل الجامعة العلمية الحديثة في زمن الامامين محمد بن علي الباير، وجعفر بن محمد الصادق، عليهما السلام. فأمّها طلاب العلم والمعرفة من أرجاء العالم الاسلامي آنذاك، حتى رأى عدد طلابها على الاربعة الاف طالب. تتلمذوا فيها على يدي ائمتها مباشرة او تلامذتهم بعض ائمة واصحاب ما يعرف بالمذاهب الاسلامية الاربعة.

كان المسجد النبوي الشريف هو المقر الاول لتلك الجامعة في زمن الامامين الباير والصادق عليهما السلام مع بيتهما، فما من قاصد لمسجد رسول الله في تلك الآونة الا وعرج ليتزود من علمهما.

وصارت سنة ان تغدو المساجد هي الاماكن المثلى للدرس والتدريس.

الفرار بالدين

غير ان القادة السياسيين آنذاك كانوا السبب في هجران المدينة، والتنقل بين الاescاع، وصولا الى الغري في النجف الاشرف، وقم المقدسة ومشهد في ايران، مرورا ببغداد والحلة والمكوفة وغيرها من الاماكن التي تقلبت فيها الحوزة العلمية.

حيث سعى الظلام عبر التاريخ لمحاربة هذه الحركة العلمية السلمية بشتى الوسائل والسبيل، لشعور بالخوف لدى هذه الطغمة من ان الاقبال الشديد على العلم سحب البساط من تحت ارجلهم، لأن العلم نور والنور يزيف الظلام.

و ايضا من اسباب الحرب على ما يعرف اليوم بالحوزة -مدرسة اهل البيت عليهم السلام- ما لها من موقع مرموق في قلوب العامة، والشأن الذي يصير اليه علمائها، وما يتمتعون به من نفوذ وتأثير في اوسط العامة.

ان دور من هم في سدة زعامة المؤسسة الدينية له عظيم الاثر والخطر، فعلى مر العقود وتقادم الايام، تعرضت حركة التشيع للتكميل والاتهام والمضائقات، التي اتخذت اشكالا وابعادا مختلفة، وصلت الى حد المجازر والابادة، وقتلها لعلمائها، نفيا وسجنا، مع كل الوان الاضطهاد والقهر.

الا انه كان هناك دائما من يقود السفينة المحمدية في اصعب الانواء، وينأى بها الى بر الامان، متحملا الظروف الصعبة والصروف القاهرة، متأسين بالائمه عليهم السلام حيث كابدوا ما كابدوه، وصبروا

واستقاموا كما امرؤا، وعملوا لرضاة الله وتبصرة الانام، فاستشهدوا
وجعلوا من ارواحهم ومهجهم مدادا لابقاء نور الله وهاجا، في سبيل ان تبقى
كلمة لا اله الا الله هي العليا.

وما أشبه اليوم بالأمس، يوم دهم الامة الاسلامية وال المسلمين خطب
جلل وخطير، كاد ان يقضي على البقية الباقيه، انداك يوم اجتاح العالم
الاسلامي المغول بقيادة هولاكو، ذئب ضار ووحش كاسر، يقضى ما يليه
قضما فلا يبقى ولا يذر، يسيح في البلاد زارعا فيها الخراب والبياب.

ففيض الله سبحانه وتعالى له مروضا قمة من قمم الرجال الا وهو
الخوجة نصیر الدین الطوسی.

نموذج كالذين نتكلم عنهم، واحد من خامتهم الرفيعة، كان
له فضلا كبيرا على الاسلام بما صنع. فناهيك عن ترويض جموح المغول،
استطاع ان يدخل المغول في الاسلام، ليصبحوا جزء منه وينذوبوا فيه،
ويرفدوه بدم جديد، وهذا خلافا لمجرى سنن التاريخ ووقائعه المشهودة، فان
مجرى العادة ان يتاثر الضعيف بالقوى، والمحتلة ارضه المغلوب على امره
بالغزا الفاتحين المنتصرين، وتحت تاثير الغلبة والقهقر يفرضون عليهم ما
يشاؤا، من ثقافة ودين وقيم، وبذلك تكون نهاية قيم وموتها، وقيامة
لآخر بديلة، وخاصة مع اختلاف الدين وتضاد القيم، مع قلة من القواسم
المشتركة، وقد حدث بالفعل في ظروف لا تتوفّر لها نفس الشروط وهو ما
جرى في العالم الاسلامي قديما، مصر والمغرب العربي كنموذج فاطميين
وأيوبيين، وغيرها من نماذج لا حصر لها، وليس محل بحثنا.

آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله واحد من أولئك العمالقة الافذاذ الذين طويت لهم الوسادة وتسنموا ذرى مدرسة اهل البيت في ظرف سياسي بالغ التعقيد، ومفصلٍ في مرحلة من ادق واخطر المراحل التي تمر بها الامة الاسلامية عموماً، ويمر بها التشيع خصوصاً، في منطقة قلقة ومضطربة، وتشبه من حيث الدقة والحساسية الى حد بعيد تلك الظروف والمراحل السابقة التي خاضها اعمدة واساطين مدرسة اهل البيت عليهم السلام، بحكمتهم المستمدّة والمستمرة لنهج البلاغة، نهج الحق، واستطاعوا من خلال ما حملوه من فكر نير وضوابط ارسالها لهم سلف عظيم صالح ان يعبروا الى شطآن الامان.

ويشغل اليوم آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله الشريف سدة الزعامة الدينية يعمل بهدوء نبي، وتسديد امام، وحكمة العارف المستبصر، وينأى بطائفته وعموم المسلمين وغيرهم، الى واحة الامن والسلام ليكملوا مسيرة حياتهم بطمأنينة وهدوء، عاصماً ايامهم من محاذير واقدار كثيرة وخطيرة، واحدة منها تكفي لتمزيقهم شر ممزق، وهو المطلوب، بالرغم من خطورة وعظم التحدي، وخطورة المرحلة، وظرفها الصعب الشديد.

فإن شخصاً واحداً يواجه تحطيط أمم بكمال أجهزتها وأذرعها وإمكاناتها الفزيرة، ومعها من يعتصدها من المؤسسات الرديفة والبديلة، ولها مطامعها وأهدافها، تتكرر فيه مشاهد ونماذج من الماضي السحيق.

بحر لجي متلاطم يمخر عبابه اليوم بسفينة أهل البيت عليهم السلام من هو أهل لذلك، بكل تؤدة وانتباه لكل شاردة ووارد، كي لا

تضييع المعالم وتذوب الشخصية الاسلامية المتميزة، فلا ذوبان في التيار الحالي الجارف، ولا اندفاع بعكسه يقصم الظهر ويفقد الدليل، فدونه حينئذ خسارة للدنيا والدين.

وتستمر مؤسسة المرجعية وعلى هذا المنوال تمضي السفينة، مسيرة عمرها اكثر من الف عام، على نفس الخطى الثابتة بالولاء لاهل بيته اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، كما لو كانوا بيننا وهم كذلك، لدليل على صدقتهم، وان النجاح الدائم لا بد له من اسباب صحيحة سليمة، فصحة العامل من صحة العمل.

سبب آخر يضاف الى كم الأسباب الهائل التي تدلل على صحة العمل وصوابيته، وسلامة الطريق وصدق المعتقد.

ما كان لنا أمثال هؤلاء وأولئك الأوابد من الرجال الذين يقل نظيرهم، ويفتخر بهم وتطمئن النفس بوجود امثالهم، فهم المعتمد بعد الله سبحانه وتعالى، وعليهم المعمول لسلامة الدين، وحفظ الاسلام والمسلمين، فلا خوف ولا غرابة فامنهل العذب والمورد الخصب قد اهتدوا اليه وعرفونا طريقه.

١٤٢٩ شوال

● العلامة السيد مهدي الامين

مفتی قضاء بنت جبيل - لبنان

الامام السيستاني والدولة المدنية في العراق الحديث

• العلامة السيد نبيل عباس

مونتريال - كندا

وسط زحمة من المشاغل والمسؤوليات الرتيبة والماجئة في آن، تلقيت دعوةً كريمة من أخ صديق عزيز يُنمى لبحار ومحيطات العلوم، وذلك لكتابة بحثٍ يتعلق بموضوع سامي وعزيز على قلبي حول جانب من حياة آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله الوارف. وهدف الأخ السيد صادق بحر العلوم حفظه الله أن نورد شهادةً ما تدرج ضمن شهادات لأعزاء آخرين لكي توضع في المجلد الأخير من موسوعة كبيرة يزمع كتابتها تحت عنوان "السيد السيستاني شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف".

ولا أنكر أنني تهيبت الخوض في غمارٍ كهذا للوهلة الأولى، فمن يعرف هذا النمط النادر من الناس يعرف صعوبة التعبير من دون إجحاف عن حجم المشاعر في مقام بيان ما تفرضه تلك الشخصية من احترام وخشوعٍ كبيرين يقتضيان وجدان المرء عند سماع ذكره. وأعترف أن المتصدي لكتابة بحثٍ كهذا يقع في حصارٍ بين خشية التقصير، بل اليقين الواي في بالقصور عن أداء الحق وإعطاء الصورة حظها من البيان والحكاية، وبين هاجس الدقة والواقعية التي تعتبر من أبرز ما تحكيمه وتدعوا إليه سيرة أمثال السيد السيستاني دام ظله.

لكن الوله والحب للصالحين من أمثاله، والاستئناس بذكرهم والحديث عنهم يمنعني بعض الأمان ويفربني بالمجازفة والتعرض لذلك خاصة أنني عندما أتحدث عن شخصية فذة كشخصية سماحة السيد دام ظله فأني أتجاوز التعبير عن التقديس والمحبة والإحترام إلى عملية تبشير ودعوة للوقوف على ما تمثله تلك الشخصية من فضائل، وما تعبّر عنه من قيم الدين والحقيقة والإنسانية جماء.

إذ يمتزج الكلام عن الصالحين من أمثاله بين الحديث عن الصلاح والدعوة إليه في آن معاً، ويصبح التعريف بواقع حياتهم ممراً طبيعياً إلى التعرف إلى الدين والفضائل والقيم والمثل الدينية والإنسانية في آن، وذلك نظراً لتجسدتها الطبيعي في أقوالهم وأفعالهم، وبذلك يصبح الرجوع إليهم والإقتداء بهم تمسكاً طبيعياً برسالة الأنبياء (ع) في حمل رسالة التوحيد والحق، وكل معاني الخير والصلاح والإستقامة، ولا سيما شريعة سيد المرسلين وخاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله (ص) الشريعة الخاتمة والمتممة لأطروحة السماء في الأرض ولأهل الأرض أجمعين.

إن المرجعية الدينية لدى المسلمين الشيعة أعزهم الله تعالى هي من المفاهيم الشائكة التي عَسَرَ فهمها لدى عامة الناس من المسلمين وسواهم، كما لدى بعض الشيعة في آن معاً، وذلك نظراً لازدحام الطروحات حولها، وتباطئ النظريات حتى سُجَّ حولها الكثير من ضلال الشك والتشكيك... وأغفل دورها المشرف والمشرق في خدمة المؤمنين على مر العصور وعقبات الزمن، وبات المثقف المؤمن معبداً ببعض الإشكالات الفكرية والثقافية؟

أمام هذا الواقع المريض كان لا بد لكل المخلصين الواعدين من اماطة اللثام عن هذه الحقيقة الساطعة والقول بأن المرجعية الدينية وفتح باب الإجتهاد مما تميز به مذهب أهل البيت (ع)، وعلى هذا نسج علماؤهم الأبرار، والإجتهاد لديهم هو كنایة عن ربط الشريعة المقدسة من خلال أدلتها بالحاضر وما يحفل به من مستجدات وتطور وذلك ليس لإرضاء عامة الناس، أو بعض الحكام بل بهدف الوصول إلى الحكم الشرعي من منابعه الأصيلة، والحفاظ عليه كأمانة لأن الله تعالى سوف يسأل المجتهدین الأعلام عن حجية آرائهم عند الوقوف بين يديه عز وجل.

وإذا كان لهذه الطائفة من راية بقيت خفافة رغم تحديات الزمن وفتنه المتعددة، فذلك بفضل العلماء المخلصين الواعدين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم وعلى رأسهم المراجع الكرام قدس الله أرواح المرتحلين منهم وحفظ الباقيين ذخراً للأمة والدين الحنيف، والشريعة المقدسة الغراء. ويأتي في مقدمة هؤلاء المراجع الأعلام سيدنا السيستاني دام ظله والذى هو مصدقٌ بينَ واضح للآيات الكريمات والأحاديث الشريفة والتي تكفلت بشرح مظان الأمور موضع الكلام سيمما قوله عز وجل: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنْهَيَنَّهُمْ سُبُّلَتَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" (سورة العنكبوت، الآية ٦٩)

()

وقول أمير المؤمنين وسيد البلقاء والفصحاء علي بن أبي طالب (ع): " هجم جهنم على حقيقة البصيرة وبashروا روح اليقين، واستللانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بال محل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاء إلى دينه، آه.. آه.. شوقاً إلى رؤيتهم ".

لقد كنا نقرأ في النصوص الدينية، أو في ما يحكى في التاريخ لنا عن صفات الأنبياء والأوصياء والأولياء والصالحين ومقاماتهم، مما لا نكاد نتعقل الكثير منه، وتستبعده ثقافتنا والتي ارتكزت في بنيتها على الكثير من الأوهام والتي حسبناها بديهيّات، وعلى غرور وخيانة بهذه الطبيعة المادية والتي حسبناها عقلاً وفكراً.

لكن عند التعرف إلى بعض النماذج المعاصرة وفي مقدمتها سيدنا ومرجعنا السيد السيستاني دام ظله، والتي تجسد فيها العلم والعمل، والإخلاص والتقوى، والوعي والألمعية عندها تحل شبّهات كثيرة غرتنا في لحظة قحطٍ ثقافيٍ أخلاقيٍ نحن مصابون بها، ونجد أنفسنا نملك أجوبة واضحة وصريحة لأسئلة لطالما عجزنا عن إسكاتها.

إن شخصية فذة كالسيد السيستاني حفظه الله تعالى ذخراً للأمة تختصر الطريق، وتتوفر الكثير من المسافة لإدراك الإيمان واليقين، وللتبصر بما كنا نقرأه من فضائل وصفات للأولياء والصالحين... إن سيرة حافظة بالعلم والعمل الصالح والدعوة للحق والعدل خلال عقود حياته، مليئة بالعبر والمفاهيم الخلاقية لتحل لنا لغز الإعجاز الذي تحكى عقائدها الدينية حول شخصيات الأنبياء والأئمة المعصومين (ع).

لقد جمع السيد المرجع الأعلى بين الجدية التامة في التحصيل والتدريس العلميين يساعد في ذلك ذهن وقد وذكاء متميز، وبين الإهتمام الكامل بالجانب الأخلاقي وتربية النفس وتنمية الفضائل والملكات الحسنة، مؤكداً على ضرورة التلازم بين الجانبين في إنتاج العالم الفاضل القادر على خدمة الدين وإرشاد العباد.

وقد أعلنته المجاميع العلمية في الحوزات الشريفة المنتشرة من لبنان إلى الباكستان مروراً بالنجف الشرييف وقم المقدسة وذلك بعد وفاة المقدس السيد الخوئي (قدس سره) أعلنته مرجعاً أعلى يرجع إليه في أمر التقليد وأخذ الفتوى، خاصة أن ذلك تزامن مع غياب عددٍ من المراجع الأعلام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كالسيدين الجليلين الكلبيين والسبزواري قدس سرهما، ولعل النسبة المئوية لأهل الخبرة من علماء الطائفة والذين اجتمعوا عليه ذلك الحين وقالوا بأعلميته تقارب الـ ٦٠٪ من مجمل العلماء من أهل الخبرة في عالمنا الإسلامي الشيعي برمتها.

ولسنا الان في صدد سرد مناقبه وفضائله وقدراته وكراماته دام ظله بقدر ما نحن نود التركيز على مسألة مهمة وبارزة في حياته لا سيما مؤخراً وبعد سقوط نظامبعث في العراق والتي تعتبر مفصلاً مهماً ومعلماً بارزاً ينسب إليه دون سواه من بقية المراجع والعلماء والأعلام ألا وهي اهتمامه بالحالة الدستورية للعراق، ومواكبة أوضاع البلاد الأمنية وال عمرانية والسياسية والقانونية من موقع تفهم التنوع الطائفي والمذهبي والعرقي والقومي الذي يحفل به العراق، وهذه السمة التي انطوت على فهم عميق لمجريات الأحداث بتسلسلها وظروفها وملابساتها، وإحاطة وإلمام شاملين بخلفيات محركات الأحداث وأهدافها. كل ذلك تزامن مع قدرة هائلة على الحفاظ على الثوابت برباطة جأش، وافتتاح على دراسة الأحداث والمستجدات بدون انغلاق وتقوّع.

ولقد كان لتلك المواقف الحكيمة الأثر الكبير في الحفاظ على العراق موحداً لجميع بنيه، ومراقبة حركة الأحداث عن كثب بانفتاح ملتزم كبير بعيداً عن التزمت والجمود الذي اتصف به آخرون؟، وعن التهريج وتأليب الشارع انفعالياً وعاطفياً دون دراية ببواطن الأمور وانطباق

الأحكام الشرعية على المراحل والذي اتصف به كثيرون! إن المثابرة على متابعة ومواكبة مسلسل الأحداث في العراق وذلك منذ حالة الفوضى التي عمت البلاد عند سقوط بغداد بيد قوات التحالف وما رافقها من انتهاكات صارخة لحقوق ونفوس المواطنين وحرماتهم وانهيار المؤسسات والإدارات في الدولة مروراً بالأحداث الجسام والتي أخذت أو كادت أن تأخذ أو أريد لها أن تأخذ الطابع المذهبي "استشهاد الحجة السيد محمد باقر الحكيم على باب أمير المؤمنين (ع)" في الأول من رجب يوم الجمعة... تفجير جسر الأئمة واستهداف زوار العتبات المقدسة بالمئات وقبل ذلك وبعده بشكل شبه يومي عبر استهداف المواطنين الشيعة... تفجير المقام المقدس للإمامين العسكريين (ع) في سامراء وتكرره... الخ" والتي لم يجعل سماحة السيد دام ظله يصدر أي بيان أو استنكار أو موقف يمكن أن يُشتم منه رائحة التعصب المذهبي برغم عظم المصاب وفتح الخطوط!!! وكان سماحة السيد دام ظله يستذكر استهداف العراقيين بغض النظر عن طوائفهم ومذاهبهم "وكان أول من بادر إلى رفع الصوت مستكراً استهداف المسيحيين في الموصل وتهجيرهم من بيوتهم" كما كان يستذكر استهداف العرب والكرد والتركمان والصبية واليزيدية لأنه كان ينطلق من ثابت إنساني يلتزم به.

ومتابع لحركة سماحة السيد دام ظله في مواجهة الأحداث في العراق الجديد "بعد سقوط نظام البعث" يرى جملة من الأمور والثوابت والتي تعبّر عن التزام مبدئي بهدف الحفاظ على السيادة والاستقلال والمواطنين في آن معاً. كما كان يسعى جاهداً للحفاظ على ثروات ومقدرات العراق وعدم التفريط بها ومنذ البداية كان صريحاً وجازماً في رفض الاحتلال، ومصرأً على عدم إعطاء أي فرصة له لكي يأخذ شرعية

وجودية في بلاد الراافدين حتى ولو تلبس بعباءة اسقاط الطاغوت المقيور وفي هذا المجال كان صريحاً في رفض كل ما انبثق عن الاحتلال من لجان ومجالس وهيئات مطالباً بأن يأتي ذلك ممثلاً للشعب العراقي عبر انتخابات نزيهة تجري لذلك الهدف كما أنه دام ظله لم يتمور في هذا المجال كما فعلت بعض المجاميع التي كانت تتطلق من منطلقات عاطفية أو وصولية استغلالية للمواطنين في خطابها في مواجهة الاحتلال فأساءات التصرف في ذلك وتسبيب بقتل الآلاف وجرح عشرات الآلاف من المواطنين وتدمير وتخريب عشرات الآلاف من بيوت ومحلات ومؤسسات المواطنين المساكين والذين لا حول لهم ولا طول ووقعوا ضحايا بين أيدي هؤلاء، باختصار لقد فروا من " دلفة " النظام السابق المستهدَف لهم إلى مزراب هؤلاء الذين لم يراعوا الله تعالى والحكم الشرعي في قراراتهم وتصرفاتهم فأهلكوا الحرج والنسل دون قائدة ترجى!.

ولبيان مساهمات سماحة السيد دام ظله في هذه المجالات كافة لا بد لنا من أن نورد بعض النصوص التي تصب في هذه الخانة وتأكدها بما لا يدع للشك مجالاً، ففي سؤال وجهه لسماحة السيد دام ظله من قبل صحيفة نيويورك تايمز وهو.

س: هل لكم اتصال بقيادة قوات التحالف في العراق؟ كان الجواب من قبل مكتب سماحة السيد دام ظله.

ج: كلا.

وفي سؤال وجهته الصحيفة نفسها تقول.

س: قوات التحالف ت يريد البقاء في العراق مدة غير قصيرة وربما لعدة سنوات فهل المرجعية الدينية توافق على ذلك؟ كان الجواب من قبل المكتب أيضاً.

ج: كلا.

وفي سؤال وجهته وكالة الأسوشييتد برس تقول.

س: هل تريدون من أبناء الطائفة الشيعية الكريمة أن يتعاونوا مع الإدارة المدنية في العراق؟ كان الجواب من قبل مكتب سماحة السيد دام ظله.

ج: الذي نريده هو أن يفسح المجال لتشكيل حكومة منبعثة من إرادة الشعب العراقي بجميع طوائفه وأعراقه.

وفي سؤال لصحيفة واشنطن بوست قال.

س: ما هو موقفكم ورأيكم تجاه التواجد الأميركي؟ كان الجواب.

ج: نشعر بقلق شديد تجاه أهدافهم ونرى ضرورة أن يفسحوا المجال لل伊拉克يين بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم من دون تدخل أجنبي.

وفي استفتاء حول آلية تشكيل المجلس الدستوري وجهه جمع من المؤمنين بتاريخ ٢٠ ربيع الثاني ١٤٢٤ هجرية وهذا نصه:

سماحة سيدنا ومرجعنا المفدى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيسistani دام ظله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،
أعلنت سلطات الإحتلال في العراق أنها قررت تشكيل مجلس لكتابة الدستور العراقي، وأنها ستعين أعضاء هذا المجلس بالمشاورة مع الجهات السياسية والإجتماعية في البلد، ثم تطرح الدستور الذي يقره المجلس للتتصويت عليه في استفتاء شعبي عام. نرجو التفضل ببيان الموقف

الشرعى من هذا المشروع وما يجب على المؤمنين أن يقوموا به في قضية
إعداد الدستور العراقي.

جمع من المؤمنين

وكان الجواب من سماحة السيد بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٤ هجرية.

بسمه تعالى

إن تلك السلطات لا تتمتع بأية صلاحية في تعين أعضاء مجلس كتابة الدستور، كما لا ضمان أن يضع هذا المجلس دستوراً يطابق المصالح العليا للشعب العراقي ويعبر عن هويته الوطنية التي من ركائزها الأساس الدين الإسلامي الحنيف والقيم الإجتماعية النبيلة، فالمشروع المذكور غير مقبول من أساسه، ولا بد أولاً من إجراء انتخابات عامة لكي يختار كل عراقي مؤهل للانتخابات من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور، ثم يجري التصويت العام على الدستور الذي يقره هذا المجلس، وعلى المؤمنين كافة المطالبة بتحقيق هذا الأمر المهم والمساهمة في إنجازه على أحسن وجه، أخذ الله تبارك وتعالى بأيدي الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي سؤال وجهته صحيفة لوس أنجلوس تايمز قالت.

س: ما هو أقصى حد يمكن لقوى التحالف البقاء بالعراق؟

كان الجواب.

ج: المهم أن تفسح المجال للعراقيين في أن يحكموا بلدتهم بأنفسهم من دون تسوييف ومماطلة..... ٢ جمادى الأول ١٤٢٤ هجرية، مكتب السيد السيستانى دام ظله، النجف الأشرف.

وفي سؤالٍ من صحيفة فرنسية وجه للسيد محمد رضا السيساني نجل سماحة السيد دام ظله.

حضره السيد محمد رضا المحترم. تحية طيبة.

س: هل دُعى آية الله السيساني للمشاركة في مجلس الحكم المنوي تشكيله وفي المباحثات مع السلطات الاميركية حول هذا التشكيل؟

كان الجواب من مكتب سماحة السيد دام ظله (النجف الأشرف).

ج: ليس من شأن سماحة المرجع المشاركة فيما يسمى ب (مجلس الحكم) المزعوم تشكيله من قبل سلطات الإحتلال، ولم يجرأ أي اتصال بين سماحته وبين المسؤولين في سلطة الإحتلال بشأن تشكيل هذا المجلس أو أي أمر آخر يتعلق بمستقبل العراق.

وفي سؤالٍ وجهته صحيفة أساهي اليابانية قالت.

س: ما هو تعريفكم لقوات التحالف المتواجدة على أرض العراق؟
كان الجواب.

ج: إنها قوات إحتلال كما أقرب بذلك مجلس الأمن.

وفي سؤالٍ آخر وجهته الصحيفة ذاتها المتقدم ذكرها قالت.

س: سوف يقوم الجيش الياباني بمهام في العراق لربما ابتداءً من الخريف، مع أنها المهمة الأولى للجيش الياباني منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ما هو رأي سماحتكم في قدوم الجيش الياباني إلى العراق؟
كان الجواب.

ج: ممكن أن ينظر الشعب العراقي بابيجابية إلى قدمهم إذا تم تحت
مظلة الأمم المتحدة ولغرض توفير الظروف الملائمة لإجراء الانتخابات
العامة لتشكيل المجلس التأسيسي لكتابة الدستور.

وفي سؤال آخر وجهته نفس الصحيفة اليابانية المذكورة قالت.

س: لماذا لم يلتقي سماحتكم بالسفير بريمر الحاكم المدني للعراق
عند زيارته لمدينة النجف الأشرف؟

كان الجواب من مكتب السيد السيستاني دام ظله في النجف
الأشرف بتاريخ ١٩ جمادي الأول ١٤٢٤ هجرية.

ج: لقد طلب مقابلة سماحة المرجع، كما طلب مثل ذلك من قبل
الجنرال غارنر وطلبتها أيضاً مؤخراً نائب وزير الدفاع الموجود حالياً في
العراق ولكن سماحته لم يجد ما يستدعي مثل هذه اللقاءات.

و ضمن أسئلة لصحيفة نيويورك تايمز جاء السؤال التالي.

س: في الفترة الأخيرة ومن خلال خطبة الجمعة، هناك دعوات مقاومة
الاحتلال الأميركي بصورة مباشرة ودعوات أخرى تدعوا إلى الحوار
والاشتراك معهم لبناء العراق وترى أن هذا الطريق الأحسن فمن من
الفريقين تدعم سماحتكم؟

ج: إن المرجعية الدينية تدعو إلى اتباع الأساليب السلمية باتجاه
الإسراع في إعادة السيادة على العراق إلى العراقيين وتمكينهم من حكم
بلدهم من دون أي تدخل أجنبي.

و ضمن أسئلة لصحيفة بايونير الهندية جاء السؤال التالي.

س: كم ينبغي باعتقادكم بقاء الاحتلال الأميركي للعراق؟ وقد صرخ السيد بول بريرمر بأن الجنود الأميركيان سيبقون في العراق حتى بعد قيام حكومة منتخبة من قبل الشعب، فهل تؤيدون أمراً من هذا القبيل وقد كان الجواب من مكتب السيد السيستاني دام ظله النجف الأشرف بتاريخ ١٦ جمادي الثاني ١٤٢٤ هجرية على الشكل التالي:

ج: كيف يمكن أن تؤيد بقاء قوات الاحتلال في العراق؟

وفي السؤال الأخير لنفس الصحيفة الهندية قالت.

س: الشعب العراقي غاضب من معاملة قوات الاحتلال للعراقيين مثل قتل واعتقال المواطنين الأبرياء والحوادث التي جرت يوم أمس في مدينة الثورة، نرجو توضيح رأيكم بكل ذلك ودمتم؟

وكان الجواب وبينما التاريخ على الشكل التالي.

ج: سبق أن أبدينا تذمرنا واعتراضنا على سوء معاملتهم للمواطنين.

وفي سؤال ضمن سلسلة من الأسئلة لصحيفة كزاتا ثبورتشا البولونية جاء فيه.

س: هل هناك حسب ما يراه سماحتكم اختلاف حول القوات البولونية الموجودة في المنطقة والقوات الأميركية؟

وكان الجواب من مكتب السيد السيستاني دام ظله النجف الأشرف بتاريخ ٢٧ جمادي الثاني ١٤٢٤ هجرية هو التالي.

ج: لم نقف على فرق بينهما.

وفي سؤال لصحيفة نوفيل أوبررفاتر الفرنسية جاء فيه،

س: ما هو الوقت المناسب لمغادرة الأميركيين من العراق؟

وكان الجواب من المكتب بتاريخ ١٤٢٤ رجب هجرية على
الشكل التالي.

ج: لا مبرر لتواجدهم من الأساس، وإذا كانت هناك حاجة إلى قوات
أجنبية لحفظ الأمن والاستقرار في العراق في المرحلة الانتقالية فلتكن
تحت مظلة الأمم المتحدة.

وفي استفتاء حول الاضطرابات الأمنية في العراق وجهه جمع من
المؤمنين على الشكل التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة آية الله العظمى المرجع الدينى الأعلى السيد على
السيستاني (دام ظله)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنكم على علم بالأساليب القاسية التي تستخدمها قوات الاحتلال في
المصادمات المستمرة منذ عدة أيام في مناطق من بغداد وفي عدد من
المحافظات في الغرب والوسط والجنوب والتي أسفرت لحد الآن عن وقوع
أعداد كبيرة من الضحايا في صفوف المدنيين، وقد حدثت أيضاً
ممارسات مؤسفة حيث تعرض عدد من المراكز والمؤسسات الحكومية
للسلب والنهب واستولى على عدد آخر منها بعض المجموعات المسلحة
مما خلق حالة من الفوضى والإنفلات الأمني في عدد من المدن ولا زال
الوضع يسير من سيء إلى أسوأ، فما هو الموقف بأذاء كل ما يجري؟

جمع من المؤمنين

الجواب:

بسمه تعالى

إننا نشجب أساليب قوات الإحتلال في التعامل مع الحوادث الواقعة، كما ندين التعدي على الممتلكات العامة والخاصة وكل ما يؤدي إلى الإخلال بالنظام ويمنع المسؤولين العراقيين من أداء مهامهم في خدمة الشعب، وندعوا إلى معالجة الأمور بالحكمة وعبر الطرق السلمية والإمتناع عن أي خطوة تصعيدية تؤدي إلى المزيد من الفوضى وإراقة الدماء وعلى القوى السياسية والإجتماعية أن تساهم بصورة فعالة في وضع حد لهذه المأساة والله ولي التوفيق.

١٦ صفر ١٤٢٥ هجرية، مكتب السيد السيستاني (دام ظله) النجف الأشرف.

وبعد هذه الجولة من الأسئلة والإستفتاءات الموجهة لسماحته والتي أجاب عليها بكل وضوح والتي تمحورت حول قضية الإحتلال وممارساته حيث أكد سماحته دام ظله عدم قبوله أو موافقته على أصل فكرة إحتلال العراق، كما عبر بكل وضوح عن استيائه وألمه لما يجري على المواطنين من أسى وضيم وانتهاك للحرمات، كل المواطنين دونما تمييز بين مواطن وآخر، لكنه أكد في نفس الوقت أنه يفضل الأسلوب السلمي في حل المشكلة بعيداً عن العنف وما يسببه من إراقة دماء وهتك حرمات وتدمير مؤسسات ومنازل وإتلاف أموال، وهذا ما يجعل المراقب المنصف يقف مشدوهاً أمام هذه الشخصية الفذة والمرجعية التي تحنو على أبنائهما فتعتهد بهم بالرعاية والإشراف حتى ولو تحملت الأذى والمضايقة الكبيرة بسبب الإلتزام الإنساني ومن هنا يتبين لنا مدى هشاشة الموقف الذي يحاول أن يزيد على سماحة السيد دام ظله وموقفه من الإحتلال، حيث

يطالب هؤلاء جهاراً بعكس ما يفعلونه سراً وهم يحاولون أن يخطبوا ود المحتل بشرط أن ينعم عليهم ببعض الامتيازات علّهم يعيدون عجلة الزمن إلى الوراء قليلاً ولكن هيئات هيئات!! كما يتبيّن لنا بكل وضوح مدى غرائزية وعشوائية بعض القوى التي تدعى العمل السياسي، وقد تسببت من خلال تهريجها وعدم تركيزها في بواطن الأمور بمقتل مئات المواطنين وجرح الآلاف وتدمير البيوت والسيارات والمحال التجارية في أكثر من مدينة ومحافظة دون أية نتيجة تذكر؟ ولعمري فإن شاهد حال سماحة السيد دام ظله مع هؤلاء هو كقول الشاعر في فمي ما وهل ينطق من في فيه ما.

باختصار أنتا نستطيع القول وبكل وضوح في هذا المجال أن سماحة السيد (دام ظله) وفي الوقت الذي لم يهادن الاحتلال ولا بكلمة فضلاً عن موقف يستفيد المحتل منه شرعية لاحتلاله، إلا أنه في الوقت نفسه مثل العاقل الورع الذي يخاف الله تعالى في دماء وأعراض وأموال العباد فلا يتسبب بانتهاكها من خلال مواقف متسرعة غير محسوبة فهو يؤكد على الأسلوب السلمي في التعاطي مع المحتل، وبانتهاج الوسائل القانونية التي تكفلها شرعة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة وسائر المنظمات الدولية.

وأما بخصوص الأديان الأخرى غير الإسلام، والمذاهب الأخرى غير التشيع فقد كان السيد دام ظله مثال الأب العطوف الحاني على جميع أبناء العراق دونما تمييز، وحسبنا في ذلك أن نذكر بيان أصدره حول الإعتداءات التي طالت عدداً من الكنائس والأديرة في بغداد والموصل وذلك بتاريخ ١٥ جمادي الثانية ١٤٢٥ هجرية الموافق للثاني من شهر آب سنة ٢٠٠٤ ميلادية وجاء فيه:

في مسلسل الأعمال الإجرامية التي يشهدها العراق العزيز وتستهدف وحده واستقراره واستقلاله تعرّض عدد من الكنائس المسيحية في بغداد والموصى إلى اعتداءات آئمّة اسفرت عن سقوط عشرات الضحايا الأبرياء بين قتيل وجريح كما تضرّر من جرائها الكثير من الممتلكات العامة والخاصة.

وإننا إذ نشجب وندين هذه الجرائم الفظيعة ونرى ضرورة تضافر الجهود وتعاون الجميع حكومة وشعباً في سبيل وضع حدّ للإعتداء على العراقيين وقطع دابر المعذبين نؤكّد على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الأقليات الدينية ومنها حقّهم في العيش في وطنهم العراق في أمنٍ وسلام.

نسأل الله العلي القدير أن يجنب العراقيين جميعاً كلّ سوءٍ ومكرهٍ وينعم على هذا البلد العزيز بالأمن والإستقرار إنه سميعٌ مجيبٌ.
مكتب السيد السيستاني (دام ظله) النجف الأشرف

وفي سؤالٍ وجهته مجلة دير شبيغل الألمانية بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٤٢٤ هجرية قالت:

س: هناك من يتخوف من إقامة حكم ديني يحرم الأقليات من بعض حقوقها في ضوء تصريحات متطرفة من قبل البعض، والإعتداء على حياة وممتلكات عراقيين من طوائف مختلفة من دون مبرر، فهل هناك ما يبرر تلك المخاوف أم سيبقى كل شيء كما هو الآن بالنسبة للمسيحيين والطوائف الأخرى؟

ج: إن القوى السياسية والإجتماعية الرئيسية في العراق لا تدعوا إلى قيام حكومة دينية، بل إلى نظام يحترم الثوابت الدينية لل العراقيين ويعتمد مبدأ التعدديّة والعدالة والمساواة كما مرّ وقد سبق للمرجعية

الدينية أن أوضحت أنها ليست معنية بتصدي الحوزة العلمية لممارسة العمل السياسي وأنها ترتأى لعلماء الدين أن ينأوا بأنفسهم عن تسلم المناصب الحكومية. وأما ما يقع أحياناً من بعض الإعتداءات على غير المسلمين فهو أمر مرفوض تماماً وسيتم القضاء عليها بعد تمكين قوات الشرطة والمحاكم من أداء مهامها بصورة كاملة.

وعند وفاة الحبر الأعظم بابا الفاتيكان يوحنا بولس الثاني أرسل سماحة السيد دام ظله إلى غبطة الكاردينال أنجلو سودانو أمين سر حاضرة الفاتيكان ببرقية التعزية التالية:

غبطة الكاردينال المحترم...

عزيكم وسائل اتباع الكنيسة الكاثوليكية بوفاة الحبر الأعظم يوحنا بولس الثاني ببابا الفاتيكان الذي أدى دوراً متميزاً في خدمة قضايا السلام والتسامح الديني وحظى بذلك باحترام الناس من مختلف الملل والأديان. إن البشرية اليوم بأمس الحاجة إلى العمل الجاد والدؤوب ولا سيما من الزعامات الدينية والروحية لتبثت قيم المحبة والتعايش السلمي المبني على رعاية الحقوق والإحترام المتبادل بين اتباع مختلف الأديان والمناهج الفكرية. نسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدي الجميع إلى ما فيه صلاح الإنسانية وسعادتها ونتمنى لكم ووسائل المسيحيين في العالم الخير والسلام.

وفي بيان وجهه دام ظله من يتعرض بالسوء والأذى لغير المسلمين من العراقيين قائلاً لهم: أما سمعتم أمير المؤمنين علياً عليه السلام بلغه أن امرأة غير مسلمة تعرض لها بعض من يدعون الإسلام وأرادوا إنتزاع حلليها فقال عليه السلام: " لو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفأ ما كان

به ملوماً بل كان عندي جديراً" فلماذا تسيئون إلى إخوانكم في الإنسانية وشركائكم في الوطن؟

وقد كان دام ظله دائم المتابعة لكل الأحداث الأليمة التي تلم بغير الشيعة كما بالي تقع عليهم فقد أرسل معزياً لكل من رئيس الجمهورية العراقية السيد جلال الطالباني، ورئيس برلمان كردستان السيد مسعود البارازاني وذلك عند سماعه بنأ الحادث الإجرامي الذي وقع في مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني في أربيل وخلف عشرات الضحايا والمصابين من أبناء الشعب الكردي العزيز.

كما أصدر بياناً حول استشهاد الشيخ أحمد ياسين رحمه الله، واستذكر التعرض لأبناء الشعب الفلسطيني من المقيمين في العراق، وأصدر بياناً حول العدوان الإسرائيلي على لبنان في تموز ٢٠٠٦ مستكراً هذا الظلم الفادح الذي وقع على الشعب الأبي وبناه التحتية على أوسع نطاق. كما خص مجرزة قانا الثانية ببيانٍ إستكاري للفظائع التي لحقت بالطفلة في تلك البلدة العاملية الوادعة.

كما لم ينس دام ظله أن ييرق إلى الأمين العام للأمم المتحدة السابق السيد كوفي عنان معزياً بمقتل ممثله في العراق السيد سيرجيو دي ميلو وتفجير مقر ممثلية الأمم المتحدة في العراق.

وقد أرسل رسالة إلى الدكتور أكمـل الدين إحسـان أوغـلي الأمـين العام لـمنظمة المؤـتمر الإسلامي جوابـاً له على دعـوته لـسماحتـه بالـمشاركة في مؤـتمر مـكة مـعتذـراً عنـ الحـضور وـمؤـكداً فيـ نفسـ الـوقـتـ بـأنـهـ لاـ يوجدـ فيـ العـراقـ صـراعـ دـينـيـ بـيـنـ السـنةـ وـالـشـيعـةـ بـلـ هـنـاكـ أـزـمـةـ سـيـاسـيـةـ، وـأـكـدـ عـلـىـ أنـ بـعـضـ الفـرقـاءـ يـمارـسـونـ العنـفـ الطـائـفيـ وـذـلـكـ لـأـجلـ الحصولـ عـلـىـ

مكاسب سياسية وخلق واقع جديد بتوازنات جديدة تعيد الأمور إلى نصابها القديم.

وكل هذه الإهتمامات والمساهمات تؤكد بوضوح لدى القاصي والداني مدى سعة أفق وتنوع المصادر الفكرية والإهتمامات الثقافية والإجتماعية لدى سماحة السيد دام ظله وأبوته للجميع دون استثناء وبالتالي فهو ليس زعيماً للمسلمين الشيعة فحسب كما يزعم البعض؟.

أما بخصوص موضوع الدستور العراقي وهو بيت القصيد في مسألة العراق المدني الحديث فهناك جو واضح في كلام سماحة السيد دام ظله مفاده إن لا حق لأية سلطة مشكلة من قبل قوات الاحتلال أو مدفوعة منه بأن تكتب دستوراً للبلاد أو حتى تقترح بنوداً أو نواة له، بل لا بد من انتهاق أية جهة دستورية عن الشعب و اختياره عبر الانتخابات ليس إلا.

وفي استفتاء وجهه جمعٌ من المؤمنين بتاريخ العشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٤٢٤ هجرية جاء فيه: أعلنت سلطات الاحتلال في العراق أنها قررت تشكيل مجلس لكتابة الدستور العراقي القادم، وأنها ستعين أعضاء هذا المجلس بالمشاورة مع الجهات السياسية والإجتماعية في البلد، ثم تطرح الدستور الذي يقرره المجلس للتصويت عليه في استفتاء شعبي عام. نرجو التفضل ببيان الموقف الشرعي من هذا المشروع وما يجب على المؤمنين أن يقوموا به في قضية إعداد الدستور العراقي؟.

وجاء الجواب باسم سماحة السيد دام ظله بعد خمسة أيام من إرسال الاستفتاء وهو.

بسمه تعالى

إن سلطات الإحتلال لا تتمتع بأية صلاحية في تعيين أعضاء مجلس كتابة الدستور، كما لا ضمان أن يضع هذا المجلس دستوراً يطابق المصالح العليا للشعب العراقي ويعبر عن هويته الوطنية التي من ركائزها الأساس الدين الإسلامي الحنيف والقيم الاجتماعية النبيلة، فالمشروع المذكور غير مقبول من أساسه، ولا بد أولاً من إجراء انتخابات عامة لكي يختار كل عراقي مؤهل للانتخاب من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور، ثم يجري التصويت العام على الدستور الذي يقره هذا المجلس، وعلى المؤمنين كافة المطالبة بتحقيق هذا الأمر المهم والمساهمة في إنجازه على أحسن وجه، أخذ الله تبارك وتعالى بأيدي الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي سؤال وجهته صحيفة لوس أنجلوس تايمز يقول.

س: كما ورد في فتاوى سماحتكم بأن مجلس الدستور (٣٠) شخصاً يجب أن يكون منتخبًا، من الذي سينتخبهم؟ هل هم جميع العراقيين؟ ومن الذي يقرر من هو المؤهل للتصويت؟ ومن الذي يختار المرشحين؟.

وقد جاء الجواب من المكتب في النجف الأشرف باسم سماحة السيد دام ظله بتاريخ ٢ جمادي الأول ١٤٢٤ هجرية.

ج: أعضاء مجلس كتابة الدستور يجب أن يتم اختيارهم من قبل الشعب العراقي بجميع ابنائه المؤهلين للانتخاب، وأما الشروط التي يجب توفرها في المشاركون في التصويت وفي المرشحين فهي شروط عامة معروفة، وقد تم ترتيب انتخابات المجلس الدستوري في تيمور الشرقية

بإشراف الأمم المتحدة كما أخبرنا بذلك ممثل الأمين العام في زيارته لسماحة السيد، فلماذا لا يمكن ترتيب ذلك في العراق!!!.

وفي نفس الصحفة المذكورة طُرِح سؤال آخر مفاده.

س: هل بإمكان سماحتكم الترثيث حتى صدور الدستور؟

وكان الجواب من المكتب وبنفس التاريخ المقدم التالي.

ج: الدستور الذي يضعه مجلس غير منتخب من قبل الشعب لا يمكن القبول به.

وفي سؤال ورد ضمن أسئلة صحيفة نيويورك تايمز ومفاده:

س: مجلس الحكم يخطط لتكوين نوع من أنواع المجالس التي ستقوم بكتابة الدستور هل هذا دور ملائم لمجلس الحكم؟ وما هي متطلبات هكذا تشكيل دستوري؟ وهل يمكن تطبيق فكرة (ولاية الفقيه في العراق)؟

وكان الجواب من المكتب:

ج: لا صلاحية لهم في تعين أعضاء مجلس كتابة الدستور، بل لا بد من إجراء الانتخابات العامة لهذا الغرض كما ورد في الفتوى الصادرة من سماحة المرجع في وقت سابق، وأما تشكيل حكومة دينية على أساس فكرة ولاية الفقيه المطلقة فليس وارداً مطلقاً.

وضمن أسئلة لصحيفة لوس أنجلوس تايمز جاء السؤال التالي.

س: ماذا تعتقدون سماحتكم باللجنة التي ستتكلف بكتابة الدستور هل:

منتخبة من قبل العراقيين؟

يتم تعينهم من قبل مجلس محلي أو رجال دين؟

أي من الخيارين أعلاه بشرط موافقة العراقيين على أحد الخيارين؟
ج: لا صلاحية لأية جهة كانت في تعين أعضاء مجلس كتابة الدستور بل يلزم أن يكون منتخبًا من قبل الشعب العراقي عن طريق صناديق الإقتراع وهي الطريقة الوحيدة التي يمكن التوصل بها إلى معرفة رأي الشعب العراقي في هذه القضية.

وفي سؤال ورد ضمن أسئلة قدمتها جريدة الزمان العراقية ومفاده.

س: ما مواصفات الدستور الذي تدعون إلى صياغته من قبل العراقيين؟ وهل تقفون إلى جانب الشورى والتعددية واحترام الرأي الآخر والفصل بين السلطات في الدستور العراقي الجديد؟
ج: الثوابت الدينية والمبادئ الأخلاقية والقيم الاجتماعية النبيلة للشعب العراقي ينبغي أن تكون هي الركائز الأساسية للدستور العراقي القائم، إلى جانب مبدأ الشورى والتعددية واحترام الأقلية لرأي الأكثريية ونحو ذلك.

و ضمن أسئلة لوكالة اسوشيتد برس جاء السؤال التالي.

س: أصدرتم فتوى منذ عدة شهور تحثون فيها على انتخاب من يكتب دستور العراق الجديد، لا تعتقدون أن الإستفتاء على دستور كتبه أناس تم اختيارهم من كل شرائح المجتمع وفناهه يكفي من حيث شرعنته؟
ج: في وضع العراق الحالي لا توجد أية جهة يمكنها أن تقوم باختيار أعضاء مجلس كتابة الدستور بصورة مقبولة من الجميع بحيث يتمثل في المجلس المشكل جميع شرائح المجتمع تمثيلاً عادلاً. بل إن من المؤكد أن المصالح الشخصية والفئوية والعرقية والحسابات الحزبية والطائفية ستتدخل بصورة أو بأخرى في عملية الإختيار، ويكون المجلس المشكل

فأقداً للشرعية، ولا يجدي عندئذ إجراء الإستفتاء على ما يضعه من الدستور بـ(نعم) أو (لا)، فلا بديل عن إجراء انتخابات عامة لاختيار أعضاء المؤتمر الدستوري.

وبعد هذه الجولة من الإستفتاءات والإجابات عليها من قبل مكتب سماحة السيد دام ظله هل بقي هناك شك في أن السيد المرجع يتبنى دولة مدنية في العراق الحديث ترتكز على القيم والمثل التي يؤمن بها مختلف شرائح المجتمع العراقي من عرب وكرد وتركمان. شيعة وسنة ومسحيين وصابئة ويهود ويزيدية. إن هذه الإجابات الصريحة لتشكل فيصلًا بينماً وجليًا حول اعتماد سماحة السيد على الانتخابات كأسلوب وحيد لإعطاء الشرعية لأية لجنة أو مجلس في مجال كتابة الدستور العراقي الجديد.

وفي سؤالٍ ضمن سلسلة أسئلة لجريدة الاقتصاد اليابانية سُئل سماحة السيد:

س: ما هو رأيكم بالحكم الجديد في العراق؟ هل تؤيدون الحكم الإسلامي؟ هل تحبون أن تكون دولة العراق مثل دولة إيران الإسلامية؟.

وجاء الجواب بكل وضوح وبدون لبس أو مواربة.

ج: أما تشكيل حكومة دينية على أساس فكرة ولاية الفقيه المطلقة فليس وارداً، ولكن يفترض بالحكم الجديد أن يحترم الدين الإسلامي الذي هو دين أغلبية الشعب العراقي ولا يُقرّ ما يخالف تعاليم الإسلام.

وهذا الكلام يشكل حداً فاصلاً بين الحقيقة التي تمثل آراء سماحة السيد المرجع دام ظله والأوهام التي تساور أطراف عدة في العراق مت hoc من أن تحذو الأكثريّة الإسلامية الشيعيّة في العراق حذو التجربة الإيرانية. فسماحة السيد لا يؤمن بولاية الفقيه العامة على أساس قناعاته

الشرعية بل يؤمن بولاية محددة للفقيه ومنصوصة وعلى هذا الأساس فإنه وبعد أن نعلم بأن أكثريّة الشعب العراقي الكريم تتبع آراء سماحة السيد دام ظله ولو كان من باب الإحترام والتقدير لموقعه المميز بالنسبة لغير المسلمين الشيعة فإننا نتيقن بأن التجربة السياسيّة في العراق لا بد لسفينتها من أن تستقر على جودي الدولة المدنيّة التي تمثل مختلف الشرائح والعقائد والأراء للشعب العراقي الكريم.

وقد بلغت الشفافية والتواضع بسماحة السيد إلى درجة أنه أجاب بعض المؤمنين الذين استفتوه حول توزيع ونشر صوره الشريفة مجاناً وتعليقها على أبواب محلات المؤمنين بأنه دام ظله لا يرغب في وضع صورته في الأماكن العامة لا بل لا يرضى بذلك أبداً ويرجوا من المؤمنين ترك ذلك وحتى عندما سُئل عن شعوره بخطر يهدد حياته الشخصية وحياة عائلته كان جوابه بأنه لا يهتم بخطر كهذا في وقت تهدد المخاطر المختلفة كثيراً من أبناء الشعب العراقي!!!.

وعندما سُئل من السيد حلمي مروة مرؤوسة مراسل وكالة أنباء اسوشيتد برس الأميركيّة.

س: هل أبناء الطائفة الشيعية الكريمة موحدون في العراق حالياً وكيف هي العلاقة مع المراجع الأخرى؟

كان الجواب من المكتب في النجف الأشرف.

ج: العراقيون بجميع طوائفهم ومذاهبهم من الشيعة وغيرهم موحدون في المطالبة باحترام إرادتهم في تقرير مصيرهم ورفض أن يخطط الأجنبي لمستقبلهم السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي.

وفي سؤال لصحيفة أساهي اليابانية قال.

س: غالبية الشعب العراقي من الشيعة، ما هو الدور الذي تريد أن يلعبه شيعة العراق سياسياً؟ وما نوع الحكم الذي تريدونه في العراق، أي ما شكل الحكومة مستقبلاً ونوع النظام؟

ج: أما ما يريد الشيعة فهو لا يختلف عما يريد سائر أبناء الشعب العراقي من استيفاء حقوقهم بعيداً عن أي لون من ألوان الطائفية، وأما شكل نظام الحكم فيلزم أن يحدده الشعب العراقي بجميع أبنائه من مختلف الأعراق والطوائف وأالية ذلك هي الانتخابات العامة.

حقاً إن هذه الإجابة شافية وواافية ومحقة للمطلوب! وهل هناك أوضح من هذا الكلام للتدليل على شفافية مقصود سماحة السيد دام ظله وأبوته للجميع دون استثناء غير مميز بين عربي أو كردي أو تركماني، بين مسلم أو مسيحي أو يهودي، بين سني أو شيعي... الخ

وعندما شكك الرئيس المصري محمد حسني مبارك بإخلاص وولاء الشيعة العرب لمجتمعاتهم أرسل مكتب سماحة السيد دام ظله له الرسالة التالية:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

فخامة السيد محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فقد سمعنا ببالغ الاستغراب ما أدلیتم به من تصريح لقناة العربية ورد فيه أن ولاء أغلب الشيعة في العراق والمنطقة ليس لدولهم، مما يعني الطعن في وطنية عشرات الملايين من أبناء هذه المنطقة والنيل من موقفهم المشرف في

خدمة أوطانهم، إن هذه الرؤية تتجاهل حقائق التاريخ القريب والماضي في معظم هذه الدول كالعراق ولبنان والكويت والبحرين، إذ كيف ينسى جهاد ملايين العراقيين في ثورة العشرين وتصديهم للاحتلال البريطاني ودفعهم عن وطنهم كلما تعرض للإعتداء، وكذلك مقاومة اللبنانيين التي حررت معظم أراضيهم من الاحتلال الإسرائيلي، وأيضاً مقاومة رعيل كبير من أبناء الكويت عندما تعرض بلدتهم للغزو والإعتداء، والموقف الحاسم لأهل البحرين في الإستفتاء على استقلالها؟ كما أن هذه الرؤية تخدش في وطنية قيادات دينية وسياسية وفكرية وثقافية بارزة أدت أدواراً مهمة في بلدانها وساهمت بصورة فعالة في تحررها ونيل استقلالها وفي رقيها وتقدمها ولم تدخل في سبيل ذلك بشيء من النفس والأهل والمال وهي قبل ذلك رؤية بالغة الخطورة ولا سيما أنها طرحت في وقت تمر فيه المنطقة بظروف شديدة الحساسية والتعقيد حيث تجري محاولات حثيثة لتفتيت غير واحدة من دولها بتأجيج الصراع الطائفي والعرقي بين أبنائها، وتواجه جهود المخلصين الحريصين على وحدتها واستقرارها عوائق شتى.

وأخطر ما في هذه الرؤية أنها تؤسس للتعامل مع الملايين من أبناء هذه الدول بما يقتضي التنقيص من حقوق المواطن الثابتة لهم سواء في المجال السياسي أو الاجتماعي وحتى الفكري والثقافي، كما أن الجري وفتها يتسبب في خلق بيئة مناسبة للمزيد من التوتر والصراع بما يستتبع ذلك مزيداً من إراقة الدماء وعدم الإستقرار مما يعيق التنمية والتقدم في المنطقة كلها. إننا على يقين بأن المعطيات التي بنينا عليها رؤيتكم هذه غير متكاملة، ولذلك فهي لا تمثل ما تُعرف به القيادة المصرية من رؤى نافذة أهلتها لأن تؤدي دوراً مهماً في معالجة الكثير من التداعيات الخطيرة التي تشهدها المنطقة. إننا على ثقة أيضاً من

حرصكم على استقرار دول المنطقة ووحدة أبنائها وتماسكهم الاجتماعي
وسوف لن تدخلوا جهداً في سبيل إزالة أي إلتباس ينجم من الإدعاء
بالتصرير المذكور.

حفظ الله (مصر) وحفظ أهلها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لعمري إن هذه الرسالة لتصلح أن تكون وثيقة للعقد الاجتماعي
بين المواطنين متوعي الثقافة والدين داخل المجتمعات الواحدة وليس غريباً
على سماحة السيد دام ظله أن يقول هذا الكلام وباتجاه مصر بالذات،
فقلقد سبقه جده أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه
السلام في عهده مالك الأشتر عندما ولاه مصر منظماً أحوال الرعية
وعلاقاتهم بالحاكم وعلاقته بهم وختم عهده له بقوله: " وأعلم أن الناس
إثنان فإما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق ".

هذا هو شعارنا نحن شيعة أهل البيت (ع) سابقاً وحاضراً نؤمن
بالحرية والعدالة الاجتماعية والإنصاف والمساواة ونأبى الظلم والضيم، ما
معنى ذكر جهاد ونضال الشيعة العرب في أوطانهم إتجاه قضايا وطنية
عامة، هل هذا إلا كنایة عن إيمانهم بأوطانهم التي استشهدوا من أجلها
وبذلوا دمائهم رخيصة في سبيلها وبعد ذلك يخرج علينا من يشكك لغاية
في نفس أولاد يعقوب بوطنيتنا !!!

ألم يسمع الرئيس المصري بوصايا المرحوم الشيخ شمس الدين لا
سيما وصيته للشيعة اللبنانيين بأن يكونوا جزءاً من وطنهم وأن لا
يشكروا جزيرة فيه! على كلٍ إن هذا الأمر بدأ منذ زمان بعيد ولا نعرف
له نهاية حتى اليوم هدانا الله جميماً سُبُل الرشاد.

وفي سؤال لمجلة بولندا الأسبوعية جاء فيه.

س: هل أنتم مستعدون للتحاور والنقاش مع الفئات الإسلامية الأخرى؟

ج: لا توجد بيننا خلافات تذكر وإن وجدت فالحوار هو الأسلوب المتن للتقرب وحل المشاكل.

وفي سؤال آخر للمجلة نفسها جاء فيه.

س: هل تملكون قوة عسكرية خاصة أو ميليشيا شيعية؟

ج: كلا، ولسنا مع تشكل مثل هذه الميليشيات وتأكدنا على دعم القوة الوطنية العراقية.

وفي سؤال لشبكة س إن إن الأميركيّة جاء فيه.

س: ما هي رؤية السيد بشأن العلاقة بين السنة والشيعة، وهل أن حوادث العنف التي وقعت أخيراً يمكن لها أن تتكرر وتصاعد في المستقبل؟

ج: إن العلاقة الأخوية بين الشيعة والسنة في العراق لن تتأثر ببعض الحوادث المؤسفه التي وقعت مؤخراً، وقد سعى الكل في تطويقها واتخاذ ما يلزم لعدم تكررها، ومن المؤكد أن العراقيين جميعاً سنة وشيعة وغيرهم حريصون على وحدة بلدهم والدفاع عن ثوابته الدينية والوطنية، كما أنهم متفقون على ضرورة التأسيس لنظام جديد يقر مبدأ العدالة والمساواة بين جميع أبناء هذا البلد في جنب مبدأ التعددية واحترام الرأي الآخر.

إن المتبع لسياسة وتحركات ومقاربات سماحة السيد المرجع الأعلى دام ظله في قضية المذاهب الإسلامية وخاصة في العراق يلاحظ كم يبذل ويجهد نفسه في سبيل تذليل كل العقبات والفاصل التي تحول دون تقارب المسلمين فيما بينهم سنة وشيعة عرباً وأكراداً وتركياً.

ولنكن موضوعين في مقام محاكاة المسألة وتتبع حقبها وكلها مؤلمة، فبالإضافة للمعاناة الرهيبة التي عاشها عموم الشعب العراقي وبشكل خاص أتباع مذهب أهل البيت (ع)، جاءت الأحداث التي تلت دخول قوات الاحتلال بمراحلها العصيبة وأخطر ما فيها ما كان يbedo وكأنه نزاع مذهبي مع أن العارف بشؤون العراق سابقاً يعلم علم اليقين مدى التقارب لا بل العيش الواحد بين السنة والشيعة في بلاد الرافدين. ولو استقرأنا عدد العشائر العراقية لندر أن نجد عشيرة سنية صرفة أو شيعية كذلك بل أكثر العشائر موزعة بين السنة والشيعة والذين تربطهم روابط النسب وليس المصاهرة فقط!!!!

وهنا يتبعن لدينا مدى موضوعية ونزاهة وشفافية هذه المرجعية الكبيرة التي وبرغم المعاناة السابقة (على يد النظام) واللاحقة (على يد التكفيريين وشراذم البعثيين) لم تتأثر ولم تتطرق يوماً في كلمة أو موقف إنطلاقاً من عصبية مذهبية ويكتفي لدينا أن نتذكر فضائح الزرقاوي وجماعته وأشباههم من المسميات والعنوانين مما يطول ذكره وينزله القلم عن كتابته.

برغم هذا كله نجد هذا الطود الشامخ الذي لم تحركه العواصف ولا الأنواء ولا الأعاصير على اختلاف أنواعها وسمياتها وبقي مصراً على ثوابته وأعتقداته وركوبه للمخاطر في سبيل الحفاظ على العراق الدولة الواحدة الموحدة لجميع أبنائها على اختلاف شرائحهم وتلاوينهم وأعراقهم وانتماءاتهم والذي رفض حتى أن يأخذ دوراً بارزاً ولو عبر ممثليهم من جانبه في العراق الخاضع للمحتل بل أصرَ على ضرورة أن تقوم الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي وسائر المنظمات الدولية والدول الفاعلة على المسرح العالمي بدورها الذي يخدم العراق شعباً وقضية.

كما أكد على رفض تدخل دول الجوار للعراق إلا ما تقتضيه العلاقات مع الدول العربية والصديقة ضمن الشُّرُع الدولي، كما أكد بشكل صريح على رفضه لإقامة الدولة الدينية في العراق إنطلاقاً من آرائه وقناعاته الفقهية والواقعية في أن مصرًا على أن يقيم شعب العراق دولته المدنية الحديثة التي تقوم على المواطنة وعلى إعطاء الحقوق للجميع سواسية وأخذ الواجبات كذلك.

ولعل البارز في هذا أن هذه القناعة نادرة الوجود بين المراجع الدينية المتصدية للإشراف على الأمور وغير المتصدية، وهذا ما نظرَ له المرحوم المقدس الشيخ محمد مهدي شمس الدين في لبنان عندما طرح رأيه الصريح المستند إلى قناعة شرعية بضرورة إقامة الدولة المدنية في مجتمع متعدد العقائد والثقافات كالمجتمع اللبناني كما صرَح قدس سره في كتابه نظام الحكم والإدارة في الإسلام عندما أكد على قناعته الفقهية بولاية الأمة على نفسها وبأنه في الأصل لا ولاية لأحد على آخر.

وهذا التوارد في الفكر والقناعات بين المرحوم الشيخ شمس الدين والسيد المرجع الأعلى دام ظله لأن المنهل واحد ولطالما بارك السيد دام ظله آراء وخطوات كان المرحوم يقوم بها أثناء حياته في لبنان.

في الختام لا بد وأن نؤكد على تشرفنا بالتصدي لمقاربة هذا الموضوع شاكرين للأخ الكريم واضح الموسوعة ثقته بنا وجهده وعمله عسى أن يكون بين يدي الله تعالى ذخيرة حسنة ونقول من اقترح اسم سماحة السيد دام ظله لنيل جائزة نobel للسلام؟... يا حبذا لو أتيح لأفرد نobel أن يحيي في عصر السيستاني ويعاينه ويحادثه ويلتقيه لكان قد أحجم عن اختراعه الذي جرّ الويلات للبشرية ولما كان احتاج للتکفير عن فعلته بوضعه لتلك الجائزة.

ثُرِيَ هل يَكُونُ الزَّمَانُ كَرِيمًا بِأَنْ يَجُودُ بِالْكَثِيرِ مِنَ النَّمَادِجِ مِنْ
أَمْثَالِ هُؤُلَاءِ الْعَظَمَاءِ؟ اللَّهُ أَعْلَمُ.

حفظَ اللَّهُ سماحةُ السَّيِّدِ ووقاءُهُ مِنْ كُلِّ شَرٍ ذَخْرًا لِلْأَمَةِ وَالدِّينِ
الْحَنِيفِ وَلِسِيرَةِ أَئُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَدْرَنَا أَنْ نَسِيرَ عَلَى خَطَاطِهِ
وَنَهْجِهِ وَرَؤْاهُ الْقَوِيمَةِ الْوَاضِحةِ لَا سِيمَا نَحْنُ مِنْ نَحْيَا فِي عَالَمِ الْإِغْرِيَابِ
لِنَدَلِلَ عَلَى مَعَالِمِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ السَّامِيَّةِ فِي مَثَلِ مجَامِعِ الْغَرْبِ الَّتِي
رَبِّيَّا يَصُعبُ عَلَيْهَا أَنْ تَتَصَوَّرَ فَضْلًا عَنْ أَنْ تَصَدِّقَ بِوُجُودِ أَمْثَالِ فِي دُنْيَا
الْمُسْلِمِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

• السَّيِّدُ نَبِيلُ عَبَّاس

مُونْتَرِيَالُ فِي ٢٧/١١/٢٠٠٨

الْمُوَافِقُ لِآخرِ ذِي القُعْدَةِ ١٤٢٩ هـ

عالم رباني وسياسي إنساني (اسمه السيستاني)

• الدكتور محمد التيجاني السماوي

تونس – الجمهورية التونسية

بسم الله الرحمن الرحيم

"لَا يَسْتُوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الْضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضْلًا اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةٌ وَكُلُّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضْلًا اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ❖ دَرَجَاتٍ مِثْلَ وَمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (النساء، ٩٥، ٩٦)

تاريخ البشرية حافل بالأحداث الجليلة والمواقف الخطيرة التي طبعت على صفحاته أسماء شخصيات عديدة تمكّنا من تدوين بصماتهم وترك آثارهم التي كلّما مرّ بها العاقلون والمفكّرون وقفوا عندها إعجاباً وإكباراً وتمتّوا من كلّ جوارحهم لو كانوا جزءاً بسيطاً منها أو كانوا شهوداً على فصولها التي أراد الله لها الخلود ما بقيت السماوات والأرض، أو قُلْ خلود الإنسان في الآخرة وهو الخلود الأبدي ليس بعده حياة ولا موت.

ومن هذه الشخصيات الخالدة في أمّتنا الإسلامية بدءاً بمحمدٍ وعلىٍ مروراً بالأئمة الأطهار من عترة النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وصولاً إلى عصتنا الحاضر الذي لا نزال نعيشه وقد عرفت شخصياً بعض المراجع الكبار من عظماء الرجال أمثال الشهيد محمد باقر الصدر والسيد الخوئي والسيد الحكيم والسيد الطباطبائي وكثير

من علماء الإمامية الذين ساهموا في إرشادي وهدايتي إلى مدرسة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فكان من ثمار هذه الصحبة ومن نتائج تلك المحاورات العلمية كتابي ثم اهتديت ومن بعده أحدى عشر كتاباً أوصلوا إلى المفكرين من المسلمين والباحثين حقائق التاريخ المفقودة فاستبصر من وراءها الملايين المسلمين.

ومن هؤلاء العظام وأفذاذ الرجال والفقهاء والذي قصدته بالعالم الرباني والسياسي الإنساني السيد علي الحسيني السيستاني الذي عرفه القاصي والداني.

وتصديقاً وتثبيتاً لقوله سبحانه وتعالى ((وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)) (البقرة ٢١٦) فقد كرِهنا كما كرِه المسلمون جمِيعاً ما وقع في العراق من الاحتلال وقتل ودمير وكادت أن تشتعل حربًّا أهلية بين الشيعة والسنّة من جهة وبين العرب والأكراد من جهة أخرى والتي كانت ستأتي على الأخضر واليابس وتهون دونها كل المشاكل التي سببها الاحتلال وما أنتجه سقوط النظام الجائر.

ولو لا وقوف السيد السيستاني تلك المواقف العظيمة التي حولت النار الملعونة التي كان سيكتوي بها بل ستحرق كل أبناء العراق حول السيد السيستاني تلك النار إلى برداً وسلاماً بفضل فتاواه الفقهية وحنكته السياسية والتي شهد بها المواطنون في داخل العراق وخارجها على مختلف مذاهبهم وطوائفهم وانتماءاتهم.

وكل المحللين السياسيين والصحافيين وأهل الرأي حتى من الأجانب أصدقاء كانوا أو أعداء اعترفوا وقالوا: لو لا آية الله العظمى

الإمام السيستاني لأصبح العراق في خبر كان. وبالفعل فإنَّ العراق وصل إلى مرحلة جدًا حرجية عندما اثار المحتلون والإرهابيون والبعثيون والإنتهازيون أثاروا مشاكل قومية وعرقية ومذهبية وطائفية طالت حتى دول الجوار وأصبح أبناء العراق يُذبحون ويُقتلون على الهوية والأسماء وبما أن الطائفة الشيعية هي أكبر الطوائف في العراق فهي تفوق تعدادها الديمغرافي في السنتين بالمائة وبما أن السيد السيستاني هو المرجع الأعلى لشيعة العراق في الداخل والخارج فقد اجتمع عدة من علماء الشيعة وقادتهم السياسيين ودخلوا على السيد السيستاني يشتكون إليه المذابح والتغيرات التي استهدفت المساجد والحسينيات الشيعية وسببت استشهاد المئات من العلماء والآلاف من أبناء الطائفة وهم قادرون على صد العدوان والقضاء على كل الإرهابيين من السنة والسلفية، وانتظروا فتوى السيد وكانوا يتوقعون أن السيد السيستاني سيصدر لهم فتوى تبيح لهم ردة الفعل بالمثل على أقل التقدير لقوله سبحانه تعالى ((فَمَنِ اعْتَدَ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَنَّقُوا اللَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (البقرة ١٩٤) ولكن آية الله العظمى السيد السيستاني فاجأهم بفتوى أذهلتكم وما كانوا يتوقعونها إذ قال لهم بكل صراحة: "من اعتدى على سُنّي فقد اعتدى عليَّ شخصياً، فلا أسمح لكم برد الفعل بالمثل واحقنا دماء المسلمين"، فكان لهذه الفتوى الجريئة أثراً طيباً ونتائج إيجابية حَقَّنت دماء المسلمين من السنة والشيعة وأعادت للناس المودة والصفاء والمحبة والإخاء وأنقذت العراق بأسره من الهاوية التي كان سيقع فيها بسبب تخطيط الأعداء.

كما رأينا أن الشيعة أنفسهم انقسموا إلى عدة أحزاب يختلفون في وجهات النظر للقوى الأجنبية المتعددة الجنسيات وكيفية التعامل مع

الأمر الواقع، فتصدى السيد السيستاني لهذه التيارات المختلفة وجمع شملها ووحد صفوفها وانضوى زعماء تلك الأحزاب تحت لواءه وعملوا بفتواه ونصائحه وأنقذ العراق مرة أخرى من فتنة مظلمة كادت تقضي على الشيعة أنفسهم.

وشاهدنا كما شاهد كل الناس كيف أصبح مكتب آية الله العظمى السيد علي السيستاني ملادزاً أو مرجعاً يقصده كل المسؤولين من العراقيين ومن سائر الدول، فكم من زيارة لرئيس الجمهورية العراقي وهو من الأكراط ورئيس الوزراء وهو من الشيعة ورئيس البرلمان وهو من السنة وكذلك بان كيمون رئيس الأمم المتحدة ومسؤولين الجامعة العربية ورؤساء كثير من الدول الإسلامية والأجنبية.

وأصبح العراق لا يعقد عقداً ولا يبرم أمراً إلاّ بعد مراجعة السيد السيستاني وأخذ رأيه وفتواه في القبول أو الرفض، وأكبر دليل على ذلك تعرّف الإتفاقية الأمنية التي تريد الولايات المتحدة فرضها بالترهيب والترغيب ولكن الحكومة العراقية بكل أركانها وهي تعلم مسبقاً بأن لا شيء يتم في أرض العراق دون الرجوع إلى رجل العراق الأول وعالمه الأول والذي يلتف حوله ملايين العراقيين ويقلدونه أمور دينهم ودنياهم ولا يأتمنون إلا بأوامره فلا يمكن للحكومة ولا الدولة ولا لأي مؤسسة أن تتعدى تلك الحدود التي حددتها الشرع والعقل والواقع في رجل الدين الذي يفرض نفسه بعلمه ورُزْهِه وفتواه ورأيه الثاقب لمهمات الأمور. وهذا ما عليه عالِمُنَا ومرجُحُنَا السيد السيستاني الذي ملأ الدنيا بالخصوص العلم الإسلامي بالمؤسسات الخيرية والمجامع العقائدية ومراكز البحوث العلمية والحوزات الدراسية وحتى الجامعات الطلابية والسكنية أضف إلى كل ذلك الكتب والمؤلفات والمسائل الفقهية التقليدية منها المستحدثة.

فبِإِمْكَانِنَا إِذَا تَذَكَّرَنَا سَيِّدُنَا عَلِيٌّ السِّيِّسْتَانِي أَن نَقُولُ "إِنَّهُ أَمَّةٌ
فِي رَجُلٍ" وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ إِذْ يَقُولُ ((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمٍ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)) (آل
عُمَرَانَ ١٨).

• الدكتور محمد التيجاني السماوي

تونس - الجمهورية التونسية

الإمام السيستاني فخر المرجعية

• الخطيب العلامة السيد عامر الحلو

فيينا - النمسا

إن المرجعية الدينية منصب رباني لأنه المتم لخط الإمامة والتبوء، فهو محفوظ بالعناية الإلهية من أن تتلاعب به الأهواء أو تتحكم به الرغبات والمصالح الآنية الضيقة، وهذا إن حصل في يوم ما فان يدوم طويلاً إذ لا بد أن تكون المرجعية الدينية وكما هو الحال بيضاء طاهرة نقية لأن العلماء ورثة الأنبياء وورثة الأنبياء لا بد أن يكونوا في أعلى درجات الطهر والنقاء والإستقامة والصفاء.

المرجعية الدينية وهموم المسلمين

إن المرجع الديني بحكم منصبه الروحي الكبير يشعر بأبوبته لجميع المسلمين فهو يتألم لآلامهم ويفرح لأفراحهم ويشارطهم همومهم وأمالهم، وهذا شعور يوضح جسامه المسؤولية التي يتحملها المرجع الديني ويبين عظيم موقعه في صفوف المسلمين وقد عودنا المراجع العظام في عصور مختلفة على مواكبة مشاكل المسلمين والسعى والمشاركة في حلها وحمل هموم الناس والتصدي لوضع الحلول لها وهذا منهج سار عليه مراجعنا الأجلاء من سبق منهم ومن بقي.

الإمام السيستاني فخر المرجعية

عرف السيد السيستاني في الأوساط العلمية في حوزة النجف الأشرف عالماً م جداً ومدرساً موسوعياً وقد نبغ في علوم الشريعة مبكراً وحصل على شهادة الإجتهداد في مقبل عمره من شيوخ النجف وعلمائها الكبار ومنهم أستاذاه الراحلان العظيمان السيد الخوئي والشيخ حسين الحلي وشيخ الباحثين الشيخ أغاثة بزرك الطهراني صاحب الدررية وذلك سنة ١٢٨٠ هـ أي قبل ٤٩ سنة وبعد وفاة أستاذه الخوئي (قدس سره) برباعاً دينياً يشار إليه وتعاظمت مرجعيته بعد وفاة السيد الكلبايكاني والسيد السبزواري قدس سرهما الشريف وأصبح المرجع الأعلى وشيخ المرجعية الآن وذلك بعد وفاة المرحوم الميرزا جواد التبريزى حيث رجع أكثر الناس إليه عن جدارة وكفاءة.

الإمام السيستاني وهموم المسلمين وغيرهم

لإمام السيستاني موقف تدل على الأبوة والشعور بالام أبناءه من المسلمين وغيرهم في العراق وخارجها، نذكر هنا له البيان الذي أصدره سماحته في حادثة الحرم الإبراهيمي الشريف حينما قتل المستوطنون اليهود المصلين فجراً في داخل الحرم المقدس وقد نشر هذا البيان في بعض الصحف والمجلات. وينذكر له دام ظله مواقفه من العدوان على الأرخوة المسيحيين حينما أحرق البغاء كنائسهم فشجب ذلك وأوعز ببناءها على نفقته الخاصة مما دعا بعض الجمعيات المسيحية في أمريكا أن تطلق عليه رجل السلام وتطلب بإعطائه جائزة نobel للسلام. وينذكر له أيضاً حرصه على إستقلال العراق التام ووحدة شعبه وأرضه وعدم التفريط بذلك، والدعوة الى المشاركة في الانتخابات حتى تكون الحكومة التي

تقود البلاد شرعية إختارها الشعب. وهو يوصي بوحدة المسلمين وعدم السماح للفترة أن تأخذ طريقها في صفوف العراقيين وقد نجح نجاحاً باهراً في وأد الفتنة وحقن دماء المسلمين بوصاياه وموافقه فهو رجل السلم والإعتدال والمواقف المشرفة. وقد إلتقاء كل السياسيين في العراق بعد سقوط الصنم وخرجوا من عنده وهم مبهورون بسعة أفقه وعظيم إطلاعه على مختلف القضايا العامة التي تهم البلد وكان يوصي الجميع بالوحدة ورصف الصفوف وتفويت الفرصة على الأعداء. ويطلب من المسؤولين الإهتمام بقضايا الناس وتقديم الخدمات لهم. والصفة الغالبة في مقابلات المسؤولين له أنه لا يستقبل إلا العراقيين منهم ومن له صفة أممية فقط مثل ممثل الأمين العام للأمم المتحدة وممثل الجامعة العربية وما شابه ذلك.

واستقبل علماء الدين من مختلف الأديان والطوائف والقوميات وكان موضع إحترام وتقدير الجميع لحنكته وسعة إطلاعه وإخلاصه الذي لمسه الجميع منه وحرصه على البلد وأمنه وإستقراره وسيادته الكاملة والوحدة الوطنية بين أبناءه الذين يجمعهم تراب العراق. إن كل هؤلاء الذين ألتقوه يعجبون من حالة التواضع التي يعيشها في ملبيه ومسكنه وصبره على الحر الشديد لإنقطاع الكهرباء دائمًا ليواسي بذلك القراء والرؤساء إسوة منه بجده بطل الإسلام الخالد على بن أبي طالب. أسأل الله له طول البقاء وال عمر المديد لما فيه خير الإسلام والمسلمين.
والسلام عليكم.

• عامر الحلو

فيينا - النمسا

الإمام السيستاني بين المرجعية العليا وزعامة الحوزة

العلمية

• الخطيب العلامة السيد داخل السيد حسن

كلاسكو - بريطانيا

في ترجمة السيد الإمام السيستاني دام ظله وكتابة السيرة الذاتية لابد من الإشارة الى تعذر الإمام الكامل والإحاطة الشاملة بكل أبعاد هذه الشخصية المحورية في الدين والسياسة والمجتمع، بيد أننا نقتطف من رياضها زهارات ومن تاريخها شذرات لأننا أمام شخصية تختصر تاريخ قرون المرجعية العليا، وتلخص أجيالاً من جهابذة الفقهاء وأعلام المراجع، وكتابة هكذا سيرة خصبة وغنية بالتفاصيل وطاقة بالمناقب ومترعة بالمحامد والفضائل تحتاج الى المزيد من الدقة والاستيعاب والشمول والدراسة المتأنية وتسليط الأضواء على أبعادها المختلفة بموضوعية وحياد وواقعية وهذا ما لا تتسع له صفحات معدودة أسجلها استجابة لدعوة أخي الأستاذ السيد محمد صادق بحر العلوم وهو يروم اعداد كتاب عن سماحة السيد دام ظله ولم يمنعني الوقت الكافي لوضع مدامنة مناسبة لحجم هذه السيرة المظفرة وعرض هذا المئاع المشرف لذا أقتصر على اهم اللقطات البارزة وفق الفرصة القصيرة المتاحة عسى أن أوفق مستقبلاً لوضع دراسة استراتيجية مركزة لسماحة سيدنا المفدى دام ظله. وإذا كان كذلك فلنؤرخ مبدئياً على الطريقة التقليدية ابتداءً من الهوية والانتساب والشهرة ثم نتسلسل في تسجيل مراحل الحياة متدرجين من

أولياته في مباديء العلوم التي انتهلها في سن المبكر حتى أصبح عملاً في علوم آل محمد (ص) ومصدراً من مصادر الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف، مروراً بمرجعيته العالمية المطلقة ثم دوره الكبير في بناء المجتمع على الإلفة والمحبة والتعابش السلمي ونظرته الأبوية لجميع أبناء المجتمع بمختلف آرائهم ومشاربهم وأفكارهم وتجاوز الآفاق الضيقة والنعرات الطائفية من موقع المسؤولية حتى أصبح يمثل صمام الأمان في هذه الظروف العصبية الحرجة لكل أبناء الشعب العراقي الأبي.

نسبة وشهرته وولادته :

نسبٌ كأنَّ عليهِ من شمسِ الضحى نوراً ومن فلقِ الصباح عموداً.

يتصل نسبة الشريف وتتمتد أعراضه المباركة لترتبط بسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فهو غصن من أغصان هذه الروضة الطاهرة وفرع من فروع هذه الشجرة الباسقة الوارفة الظلال، فهو حسيني النسب سيسistani الشهرة ولا يخفى أن موطن الحسين عليه السلام هو الحجاز في الجزيرة العربية وهو وأبوه وأسرته سادة العرب.

كما قال رسول الله (ص) ولكن ظروف القمع والإرهاب واللاحقة لذريته من قبل السلطات الظالمة والأفكار المظلمة التي تتبعها العترة الطاهرة قتلاً وتشريداً وسجوناً هي التي جعلتهم يعيشون مشردين في أصقاع العالم خوفاً من البطش والتكميل، فروا من أوطانهم والتجأوا إلى البلاد النائية في شرق الأرض وغربها.

كانهم صنعوا ما ليس يُغترِّ

مشرّدين نفوا عن عقراهم

إذاً اشتهر سيدنا الإمام الحسيني بالسيستاني نسبة إلى سيسستان من بلاد إيران المدينة التي استقرت بها أسرته وحلّ بها أجداده من قديم

الزمن لما تعرضوا له من الظلم والتشريد، ومما يلف النظر في الشهرة والألقاب التي يعتمدها العلماء الإيرانيون انتسابهم للمدن التي يعيشون فيها، فترى الأصفهاني والشيرازي والخوئي والخميني والشاهدودي بخلاف العلماء العرب فانتسابهم إما إلى قبائلهم أو إلى بعض الصفات المتعلقة بشخصياتهم أو إلى كتبهم وتألifهم كالجواهري وكاشف الغطاء والحكيم والصدر وبحر العلوم وأل يس وأل الشيخ راضي وليس تلك قواعد عامة فقد تخترق هذه الأعراف فترى العلامة الحلي والمحقق الحلي والشيخ العاملي، وتبقى هذه الألقاب والصفات ليست هي المقياس الإسلامي لعظمة الشخصية إنما هو مقياس التقى والورع حيث جاء في محكم التنزيل: (فلا أنساب بينهم) (وان أكرمكم عند الله أتقاكم).

والخلاصة أن سيدنا الإمام المترجم هو حسيني النسب سيستاني الأسرة نجفي الموطن فهو السيد علي بن السيد محمد باقر بن السيد علي الحسيني السيستاني النجفي ولد في مقاطعة خراسان بمدينة مشهد المقدسة بجوار السلطان علي بن موسى الرضا عليه السلام عندما استقرت أسرته الحسينية في هذه المدينة المباركة.

وفي نفس السياق تجدر الإشارة إلى أن أسرته المباركة بعد أن نالت نصيبها من الظلم والتهجير استوطنت مدينة أصفهان إلا ان الجد الأعلى لسيدنا المترجم تسم منصب (شيخ الإسلام) في مدينة سيستان على عهد السلطان حسين صفوی فلما حط رحاله في هذه المدينة علماً دينياً بارزاً وهو السيد محمد الحسيني السيستاني التصدق هذا اللقب به وبأسرته وأله من بعده، وكذلك والده المقدس السيد محمد باقر من أجلاء علماء عصره، أما جده المباشر فهو من واطيء اسمه فهو أيضاً السيد علي السيستاني الذي كان من أعلام حوزة النجف الأشرف في الفقه والأصول.

ومن اساتذته المولى علي النهاوندي والسيد المجدد الشيرازي في
سامراء والسيد اسماعيل الصدر في كربلاء والكاظمية وكان من مفاحر
تلامذته الابطال العلم المقدس الشيخ محمد رضا آل ياسين.

ولما ولد سيدنا الإمام المترجم بمدينة مشهد عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م
أطلق عليه أبوه اسمًا مباركاً ميموناً فسماه علياً تفاولاً بشخصية جده
المذكور ليكون على خطاه علمًا من أعلام الحوزة وفقيهاً من فقهائها
وهكذا كان في مستقبل مسيرته فقد ألفت إليه مقاليد المرجعية زمامها
 فأسلمته قيادها بجدارة واستحقاق.

مسيرته العلمية:

في منتصف العقد الأول من طفولته المبكرة افتتح مسيرته العلمية
بتلاوة القرآن الكريم وحفظ سوره وآياته. ثم انتسب إلى مدرسة دار
التعليم الديني في مشهد المقدسة فتعلم فيها القراءة والكتابة وتلقى دروساً
في التاريخ والجغرافيا وبعض مباديء الحساب كما تعلم الخط الجميل في
كتابته على اساتذة متخصصين في الخطوط الفنية.

ثم ابتدأ في مطلع العقد الثاني من عمره الشريف بانتسابه للحوزة
العلمية وتلقى مقدمات العلوم المنهجية المتعارفة حوزوياً كعلم النحو
ومباديء الفقه والأصول فقد درس كتاب المغني لابن هشام وألفية ابن
مالك والمطول للتفتاراني واللمعة الدمشقية والقوانين والمكاسب والرسائل
والكافية على الميرزا هاشم القزويني. كما تلقى دروساً في المعارف الإلهية
عند الميرزا مهدي الأصفهاني ثم حضر الأبحاث الخارجية عند الميرزا مهدي
الأشتيني والميرزا هاشم القزويني طاب ثراهما.

كما تلقى في مسيرته العلمية على الأديب النيشابوري بعض دراسات الأدب وكتب التراث مثل مقامات الحريري وشرح النظام وغيرها.

وبعد هذه المرحلة هاجر إلى مدينة قم المقدسة لينتهي من حوزتها ويتزود من معينها فحضر أبحاث السيد البروجردي والسيد محمد الحجة الكوهكمري في الدراسات العالية في الفقه والأصول.

حتى إذا اكتسب رصيداً كبيراً وثروة هائلة من العلم والتحصيل توجه شطر النجف الأشرف عاصمة العلم ومدينة باب علم رسول الله (ص) فهاجر إليها ما يقرب من ستة عقود وكان وصوله إلى كربلاء المقدسة في ذكرى الأربعين سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) وبعد إكمال مراسم الزيارة حث ركابه نحو النجف الأشرف فهبط فيها طالباً للعلم فسكن مدرسة البخارائي العلمية وهو في أوائل عقده الثالث ولم يربح مدينة النجف طيلة هذه العقود ومدى أكثر من خمسين عاماً إلا لأداء فريضة الحج وزيارة الإمام الرضا عليه السلام وتوغل في النجف الأشرف في دروسه وأبحاثه بهمة وطموح كبير وجد ومثابرة وحضر الأبحاث العالية عن أعلام الفقاهة الكبار كالإمام السيد الحكيم والسيد الخوئي والشيخ حسين الحلي والإمام الشاهرودي ولقد اختص بملازمة دروس السيد الخوئي والشيخ الحلي ومواظبيته على الإنتها من منابعهما العلمية أكثر من عشر سنوات حتى نال منها إجازة الإجتهد وشهادة التفوق العلمي.

أبحاثه الخارجية العليا

ابتداً أبحاثه الخارجية ودراساته العليا ومحاضراته في الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف منذ أكثر ما يقرب من أربعة عقود استاداً متفوقاً ومحاضراً قديراً ومحقاً مبتكراً، فمنذ أن نال درجة

الإجتهداد ولم يبرح البحث والتنقيب والدراسة والتحقيق، وشق طريقه العلمي بكفاءة عالية محاضراً في المناهج الحوزوية والكتب الفقهية مثل كتاب المكاسب الشيخ الأنباري ثم العروة الوثقى السيد البزدي وقد تناول أبواب الفقه المختلفة والقواعد الفقهية ودراسات الرجال، ثم تصدى للدروس العليا في علم الأصول، وعلمت أن محاضراته الفقهية والأصولية كلها موثقة على أحجزة التسجيل منذ أكثر من ثلاثة عاماً^(١).

مرجعية النجف الأشرف

النجف الأشرف عاصمة العلم وحاضرة الإشعاع الديني ومركز المرجعية العليا منذ قرون طويلة تمتد إلى عصر الشيخ الطوسي، وربما مرّت على هذه المدينة الرائدة ظروف قاهرة وسلطات جائرة اقتحمت هيبة المرجعية وانتهكت حرمتها وتجرأت على تقديسها وشتت كيان الحوزة الشريفة بيد أن جذورها الراسخة وأسسها الثابتة غير قابلة للإنتصال بل أفشلت كل المحاولات اللئيمة التي حاولت النيل منها والقضاء على وجودها فسرعان ما تستعيد عافيتها وتستأنف نشاطها كلما ألمت بها الكوارث والتوازن وحلّت بها الدواهي والمكاره والخطوب، ويتصدى أفراد الرجال وزعماء الحوزة وأعلام الفقاہة لحمل مشعل النور من جديد ورفع منائر أهل البيت عليهم السلام لترسل إشعاعها حوال العالم من هذا البلد العريق وهذه المؤسسة الأصيلة.

وهكذا تتواتي أدوار المرجعية العليا وتعاقب أجيال الفقهاء حتى اتصلت بسماحة سيدنا المترجم له فحمل لواءها ورفع رايته بجدارة

١. أساطين المرجعية العليا للأستاذ الدكتور الصغير/ ٣٤٦ وكذلك موقع سماحة السيد على الانترنت.

وافتدار. لقد انبثقت مرجعية الإمام السيستاني دام ظله في عصر القرية العالمية الواحدة وفي عصر التفجر الإعلامي الهائل وزمن الشبكات العنكبوتية التي أحضرت العالم بأسره بكبسة زر، لذلك امتدت هذه المرجعية المباركة في أرجاء العالم بسرعة فائقة لاسيما وقد كان انباثها في ظل الظروف السياسية البالغة الخطورة والأهمية حتى أصبحت مرجعية النجف كعبة الإعلام والسياسة فضلاً عن الدين وقبلة القادة والسياسيين للتبرك والإستنارة والتسلية بآراء المرجعية وتوجيهاتها ونصائحها ومهدى تيجان الملوك تتحنى على تلك الأعتاب المباركة.

وقد يتسائل البعض عن هذا المنصب الريّاني كيف يصل إليه المرجع الديني؟ وكيف يتسلم مقاليد المسؤولية؟ أفشل يأتي المرجع عن طريق النص والتعيين والوصية من المرجع الذي سبقه؟ أم عن طريق الانتخاب والترشيح أم غيرها؟ يبدو لا هذا ولا ذاك وإنما هي إشارة الله وإرادته (فالله أعلم حيث يجعل رسالته) وهكذا انيطت هذه المهمة وألقيت هذه المسئولية بعائق سيدنا المترجم له وفق هذا المنطق وعبر هذا الميزان وتسللت إليه بالعفوية والتلقائية وإجماع أهل الخبرة على جدارته وكفاءاته للمرجعية بشروطها ومواصفاتها الشرعية رغم زده بالمنصب وعدم حبه للظهور وتفرغه التام للعلم والعبادة ولكنها المسئولية الشرعية والتكليف الديني.

وعلى كل حال انتهت إليه المرجعية العامة المطلقة وأننيت بشخصه رئاسة الطائفة، ورجع إليه الملايين من المسلمين في العالم في الإقتداء والتقليد مع الإعتراف والإذعان للقنوات المرجعية الأخرى حيث أن مدرسة أهل البيت عليهم السلام والساحة الإسلامية ثانية جداً بأعاظم المراجع الآخرين وجهابذة الفقهاء الذين يؤدون الدور الرسالي الرائد من

منطلق موحد عبر قنوات متعددة وهذه هي ميزة الفكر الإمامي المنفتح وفتح باب الإجتهدان تعدد المرجعيات الدينية هو ما يغنى ساحة المسلمين يتظاهر الجهود واستفراغ الوسع والطاقات العلمية والثقافية لحركة الحياة ونشاط العمل المتتنوع ليشكل باقوه ملونة عابقة بأشذاء الرسالة نافحة أريح الكنوز المعطرة والتراث الضخم والفكر المتطور لمدرسة أهل بيته النبوة عليهم السلام.

مظالم شلّخصيتها

لعل من أبرز معالم شخصية سيدنا المُفدى ما يلي:

١- الزهد والتقوى: وتلك رياضة نفسية وملكة روحية يروض الإنسان بها شخصيته ويتعامل مع الحياة بوعي ومسؤولية وانضباط، فالتقى هو الإنضباط أمام الله والإلتزام بالحقوق والواجبات والزهد والورع عن المحرمات وهذا هو المعنى الحقيقي للزهد أن لا يكون الإنسان أسيراً لمشتهياته ولا عبداً للذاته ولا مملوكاً لأهواه بل يكون سيداً على نفسه متحكماً بزمام حياته عملاً منتصراً على هواه وغرائزه مسيطراً على زمام حركاته ومسؤولياته وتلك خصلة بارزة في سلوك سيدنا المترجم وبساطته المتاهية وتعففه وترفعه عن الحطام الزائل والبريق الخادع ولو شاء أن يتعمم لأهتدى إلى ذلك السبيل ولكن أبى إلا أن يكون في داره المتواضعة في زقاق النجف الأشرف كما كان جده أمير المؤمنين عليه من قبل يسكن في بيت مستعار لا تتجاوز مساحته المائة متر مربع وهو يدير دولة الإسلام التي تشمل أكثر من خمسين دولة حسب التقسيم المعاصر.

لقد عزف السيد الإمام السيستاني عن مظاهر الحياة ولم يخدع ببهرجها وزبرتها وبريقها فكان متواضعاً في مسكنه وملبسه وموائله.

وأما عن لباسه فالكل يرى أسماله البسيطة وألبسته الطاهرة وأرданه النقية يقتصر على ما يسد هذه الحاجة ويكسو بدنـه المتعب دون ترف وبدخ فالمـراء مخبـوء تحت طـي لسانـه لا تحت طـيلسانـه فليس العظيم عظـيمـاً بلباسـه ومظهـره الخارجي إنـما هي عـظـمة العـلـم والتـقوـيـ (ولباسـ التـقوـيـ ذلكـ خـيرـ) وبالبسـاطـة والتـواضعـ يكتـسيـ الإـنـسـانـ لـبـاسـ الـشـرفـ والـعـزـ والـمـهـابـةـ.

أما عن طعامـه وـمـأـكـلهـ فهوـ يـكـفـيـ منـ طـعـامـهـ بماـ تـيسـرـ بـغـاـيةـ التـواـضـعـ دونـ تـعدـدـ الأـلـوانـ وـتـنوـعـ الـجـفـانـ فهوـ لاـ يـتـناـولـ ولاـ يـسـتلـذـ إـلـاـ بـمـأـكـلـ أـبـسـطـ طـلـبـةـ الـعـلـمـ الـدـينـيـ،ـ وقدـ أـتـيـحـ لـيـ الفـرـصـةـ أـنـ أـطـلـعـ عـلـىـ ذـلـكـ عـنـدـ زـيـارـتـهـ لـلـنـدـنـ فـيـ رـحـلـتـهـ الـعـلاـجـيـ فـيـ أـوـاـئـلـ سـقـوـطـ الـطـاغـيـةـ الـمـشـنـوـقـ فـرـأـيـتـ كـيـفـ يـعـدـ طـعـامـهـ وـكـيـفـ يـلـتـزـمـ بـعـدـ الشـبـعـ وـالـإـسـرـافـ مـعـ توـفـرـ الـمـوـائـدـ وـتـوـعـهـاـ وـلـوـ شـاءـ لـاهـتـدـيـ الـطـرـيـقـ إـلـىـ مـصـفـيـ الـعـسـلـ وـلـبـابـ الـقـمـحـ وـنـسـيـجـ الـقـزـ عـلـىـ حدـ قـوـلـ الإـمـامـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ.

٢ - مهابـتهـ وـتـواـضـعـهـ وـظـرـفـهـ: كـسـاهـ اللـهـ هـبـيـةـ رـيـانـيـةـ وـوـقـارـاـ مـتـاهـيـاـ لـكـنـ إـذـاـ جـلـسـ إـلـيـهـ وـتـبـادـلـتـ مـعـ أـطـرـافـ الـحـدـيـثـ تـلـمـسـ الـلـطـفـ وـالـمـحـبـةـ وـالـتـواـضـعـ الـجـمـ فقدـ تـشـرـفـ بـالـدـخـولـ عـلـيـهـ فـيـ غـرـفـتـهـ الـخـاصـةـ بـالـدـارـ الـتـيـ نـزـلـهـاـ فـيـ لـنـدـنـ فـيـ رـحـلـتـهـ الـعـلاـجـيـ الـمـشارـ إـلـيـهاـ وـكـنـتـ بـصـحبـةـ صـهـرـهـ الـعـلـامـ الصـدـيقـ السـيـدـ مـرـتضـىـ الـكـشـمـيرـيـ فـقـدـمـنـيـ لـسـمـاحـةـ السـيـدـ بـكـلـمـاتـ وـعـبـارـاتـ رـقـيـقـةـ وـنـبـيـلـةـ مـنـهـاـ اـنـ فـلـانـاـ مـنـ الـخـطـبـاءـ الـذـينـ يـمـلـكـونـ الـحـاءـ الـثـلـاثـةـ،ـ وـتـلـكـ الـكـلـمـةـ اـشـتـهـرـتـ عـنـ الـخـطـيـبـ الشـهـيرـ السـيـدـ صـالـحـ الـحـليـ اـنـ الـخـطـيـبـ يـحـتـاجـ إـلـىـ حـاءـتـ ثـلـاثـةـ الـحـسـ وـالـحـظـ وـالـحـفـظـ فـتـبـسـمـ السـيـدـ وـقـالـ وـمـاـ الـحـاءـتـ ثـلـاثـةـ؟ـ فـأـجـابـهـ السـيـدـ الـكـشـمـيرـيـ بـمـاـ تـقـدـمـ فـبـادـرـ السـيـدـ فـورـاـ بـإـضـافـةـ حـاءـ رـابـعـةـ قـائـلاـ وـالـحـقـوقـ فـأـضـفـتـ أـنـاـ بـدـورـيـ

حاءً خامسة قلت سيدنا والحب لسماحتكم. وقد نشرت في وقتها هذه المقابلة على صفحات مجلة الكلمة التي تصدر عن مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية بلندن تحت عنوان الحاءات الثلاثة.

والخلاصة أن سماحة السيد بغية اللطف والنيل والتواضع برغم وقاره المتاهي ومهابته الربانية.

٢- سياساته المالية: لو تصفحنا سجلات التاريخ في عودة إلى عصر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للإطلاع على سياساته المالية لوجدنا الإمام عليه السلام هو الحارس الأمين لبيت المال ويأخذ منه كل ذي حقه ويصل المال إلى مستحقه بقطع النظر عن المحسوبيات والمنسوبيات والوسائل والشفاعات وقد اشتهرت في نهج البلاغة قصة أخيه عقيل وحدidته المحماة لتذكيره بمسؤولية يوم القيمة إذا ما اعتمد الإخلال بالنظام المالي في التوزيع والمساواة بيت أبناء المجتمع من الطبقات الفقيرة المستحقة والسيد الإمام السياسي ومن ينتمي إلى هذه المدرسة المباركة تتدفق الأموال عليه عن طريق قنواته المعتمدة وكوادر مرجعيته الأمانة الثقة فيبادر بالدرجة الأولى لسد احتياجات الضعفاء والبائسين والمحرومين وتوفير ضروريات الحياة لهم كإشباع الجائع وعلاج المريض وإصلاح المسكن وسوها من الأعمال الإنسانية، ثم يلتفت إلى دعم وإعمار المؤسسات الدينية كtermim المساجد والحسينيات وتفقد المستشفيات والمستوصفات واحتياجاتها والإعتماد بمرأقد الأولياء والعلماء والصالحين، وتحصيص ميزانية مناسبة من الحقوق الشرعية لذلك بإشراف لجان أو افراد عرفوا بالتقوى والأمانة والنزاهة، ثم يلتفت إلى مستلزمات الحوزة العلمية وكرامة أهل العلم بتوفير الحياة الكريمة لهم ولأسرهم بتنظيم الرواتب الشهرية،

كل ذلك فضلاً عن المشاريع الكبرى والمؤسسات العامة المنتشرة في أرجاء العالم بأدارات قديرة وشخصيات كفؤة.

أجهزة المرجعية ومنظومة الوكلاء

تمثل المرجعية الدينية في الفكر الإمامي النيابة العامة عن الإمام المعصوم ويمنح المرجع الأعلى صفة الحاكم الشرعي وهي الكيان المستقل الذي يستهدف ربط المجتمع بالقيادة الشرعية عبادياً وعملياً، وقد تميزت هذه المؤسسة باستقلال القرار على الصعيد الفكري والثقافي والسياسي والإجتماعي والاقتصادي وغيره، ولابد أن يكون لهذه المؤسسة العملاقة كوادرها وأجهزتها وقواتها الخاصة المستقلة، وأن تشرف على إدارتها ونشاطها وسائل شؤونها شخصيات كفؤة ولجان محورية متخصصة ومنظومة معتمدة، وينبثق عن الموقع المركزي والمقر الرئيسي للمرجعية نظام الوكلاء والمندوبيين والممثلين الذين يتوزعون على الأقطار والأمصال وتتفاوت درجات ومستويات هؤلاء الوكلاء علمياً وثقافة وإدارة اجتماعية غيرها ولعل من الظلم والتجمي أن تتطاول بعض الألسنة للنيل من كرامة هؤلاء الوكلاء الأبرار والتشكيك بأماناتهم وتقواهم، ولا شك أن الوكيل يمارس عمله وفق ضوابط وموازين شرعية، وهناك من يجعل نفسه مفتشاً دينياً ومراقباً شرعاً يبحث عن السقطات والهفوات ويلاحق ويحاسب ويتهم ويشهر بلا دليل ولا وازع من دين أو ضمير أو خلق وهذا داء خطير ومرض فتاك.

فالواجب على الإنسان المترجح في دينه أن يتجنب سوء الظن بالآخرين ولا يتدخل بما لا يعنيه وألا يفتري ويختلف الأقاويل ويثير الشبهات ويستخف بحرمات الآخرين وكراماتهم ويسلك طريق الشتيمة والتشهير

بناء على قافية شخصية أو شكلة خاصة تخرجه عن كل الضوابط والحدود وليس معنى ذلك اتنا نزعم ان وكلاء المرجعية كلهم ملائكة وعالقة وعباقرة وليس فيهم من يخطأ أو يتورط في مخالفة أو ربما حتى الانزلاق في عمل محرم والعياذ بالله ولكن يبقى هذا التصرف في حجمه ودائرته وهو يتحمل مسؤولية خطأه ولا علاقة للمرجع بذلك فكم من وكلاء وأصحاب الأنبياء والأئمة ثم انحرفوا وتورطوا بالأخطاء ولا يؤخذ من هذا المخطيء تعليم للكل المنظومة العلمائية والتجريح والتسقيط فلتكن رقابة الله في ضمير الإنسان وأعمق وجданه (وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).

الكتابة والتأليف

اطلعت على قائمة تحتوي على ما يقرب من ثلاثين رسالة وكتاباً من تأليف سيدنا الإمام المرجع السيستاني دام ظله اثبت هنا أشهرها المطبوع وبعض الكتب الأخرى

- ١ . منهاج الصالحين.
- ٢ . مناسك الحج.
- ٣ . الفوائد الفقهية.
- ٤ . الفوائد الغرورية.
- ٥ . شرح العروة الوثقى.
- ٦ . البحوث الأصولية.
- ٧ . كتاب القضاء.

-٨ صيانة الكتاب العزيز من التحرير.

-٩ تاريخ التدوين الحديث في الإسلام.

وبقية الكتابات والمؤلفات هي عبارة عن رسائل في علم الفقه

أهمها:

-١ رسالة في قاعدة اليد.

-٢ رسالة في اللباس المشكوك.

-٣ رسالة في صلاة المسافر.

-٤ رسالة في قاعدة التجاوز والفراغ.

-٥ رسالة في القبلة.

-٦ رسالة في التقية.

-٧ رسالة في قاعدة الإلزام.

-٨ رسالة في الإجتهاد والتقليد.

-٩ رسالة في قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

-١٠ رسالة في الرياء.

-١١ رسالة في حجية مراسيل ابن أبي عمير.

-١٢ رسالة في اختلاف الآفاق في رؤية الملال.

وغير ذلك من المؤلفات التي نتمنى أن تتسع وتطبع لتعلم بها الفائدة
ومما يجدر ذكره ما كتبه الأستاذ التقى الدكتور السيد عبد الهادي
الحكيم من فقه المغتربين والفتاوی الميسرة وسواهما من المؤلفات الأخرى

على ضوء فتاوى الإمام السيستاني، وكذلك كتب العلامة الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير فقه الحضارة، وترجمت كثير من كتب السيد حفظه الله إلى جملة من اللغات العالمية.

وعوداً على بدأ وربط الخاتمة بالمقدمة استعيد الإشارة إلى قصر الوقت الذي كتبت فيه هذه الكلمات القاصرة التي لم تغط بشكل كامل مسيرة الإمام السيستاني بأمل أن تسنح الظروف في مستقبل الأيام بدراسة مفصلة وأبحاث شاملة ةالحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلها الطيبين الطاهرين.

● السيد داخل السيد حسن

كلاسكو - بريطانيا

• الدكتور حسن عيسى الحكيم

رئيس جامعة الكوفة / سابقاً

أستاذ التاريخ في جامعة الكوفة حالياً

الأستاذ السيد محمد صادق بحر العلوم المحترم

تحية طيبة

أبارك لكم مشروع الكتابة عن الإمام السيد علي الحسيني السيستاني، وقد حددت الأجابة على رسالتكم المؤرخة في ٢٠٠٨/٥/١٧ بما يلي:

أولاً : علومه و المعارفه

أنا لا أريد هنا التحدث عن علوم السيد السيستاني ومعارفه وآرائه وإنما أتحدث عن معرفته بعلم التاريخ والرجال، وفق محاوراته معه في جلسات عديدة، وكان (حفظه الله ورعاه) يتحدث وفق تخصصي الدقيق للتاريخ الإسلامي وفلسفه أحدهاته، فقد تلمستُ في سماحته رؤية واضحة في تفسير بعض الأحداث التاريخية، وبخاصة الأحداث المختلف عليها في التاريخ الإسلامي، ففي ليلة رمضانية دخل معي في نقاش حول المسؤولية التاريخية لسقوط الدولة العباسية في بغداد عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م، وقد قام بتحليل دقيق ومحايد لشخصية ابن العلقمي والخواجة نصير الدين الطوسي، وقد هند آراء بعض المؤرخين المعاصرین

لقضية إحتلال المغول لبغداد، وكان يتحدث ببرؤية واضحة وتحليل دقيق، ولم أعهد لمرجع ديني أعلى قد يستوعب التاريخ بهذه الدقة وكانت كلما أجالسه (على قلة جلساتي معه وتبااعد أزمانها) أجد فيه رؤية المؤرخ الوعي، والمجتهد الدقيق لتفصيل الأحداث.

أما في علم الرجال فإنه كان ضليعاً به إلى أبعد الحدود، وقد أشار العلامة الكبير الشيخ أغاثة برزك الطهراني عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م إلى علميته في علم الحديث والرجال، وكانت له محاضرات في حجية مراسيل ابن أبي عمير. ولقد وقفت بدقة على هذا الجانب لما أكملت كتابي (الشيخ النجاشي) وقدمته مخطوطاً بين يديه، وقد حاورني بمحتوى رجال النجاشي، قبيل أن يقرأ كتابي، وكان محاوراً نادراً ومحللاً دقيقاً للرجال، وبعد مرور شهر أرمح كتابي ومعه نسخة من رجال النجاشي التي عليها حواشى وتعليقات كتابها السيد السيستاني بخطه، وقد استفدت منها كثيراً وأضفت بعضها لكتابي قبيل طبعه، فقد أزال كثيراً من الإلتباسات الحاصلة في بعض الرجال. ولم تكن المعرفة الرجالية عند الإمام السيد السيستاني تقل عن معرفته التاريخية، ويدل هذا التحصيل العلمي إلى عمق زمني قد يصل إلى بدايات التحصيل العلمي للسيد السيستاني، قبيل تدرسياته المعمقة في البحث الخارج في مادتي الفقه والأصول، وبخاصة بعد إنحراف صحة الإمام السيد أبي القاسم الخوئي (قدس الله نفسه الرزكية) ولا شك أن علمي الحديث والرجال من العلوم المجاورة لعلم التاريخ وتشكل المدرسة النجفية من متخصصين بهما على أهميتها في الدراسات الحوزوية.

ثانياً: ذاكرته القوية

تشرفت بمقابلة الإمام الراحل السيد الخوئي عام ١٩٧٥م بعد صدور كتابي الشيخ الطوسي، الذي هو رسالتي الجامعية التي حصلت عليها وهي شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٧٤م وقد طبعت بتعضيد من الجامعة، وبعد أيام إستدعاني الإمام الخوئي وقال لي: أنا أقدم لك ضعف تعضيد جامعة بغداد إذا كتبت عن شخصية أخرى تشبه شخصية الشيخ الطوسي، وقد وعدته خيراً ولكن بعد إنجاز إطروحتي للدكتوراه، ولما أنجزتها عام ١٩٨٢م عصيبة وال الحرب مع أيران مستمرة وأعقبتها أحداث ومن ثم وفاة الإمام السيد الخوئي، وبعد إستقرار الوضع نسبياً شرعت بتأليف كتابي عن الشيخ النجاشي إستجابة لأوامر الإمام الراحل السيد الخوئي، وبعد مرور أكثر من ربع قرن إجتمعت بالإمام السيد السيستاني وطلبت منه تنفيذ مشروع السيد الخوئي، وقد أجبته أنا الآن في دور الكتابة عن الشيخ النجاشي، وقد أخذ بيدي، وهذا الحدث لم ينساه حفظه الله ولم تكن مشاغله العلمية وقيادته الجماهيرية ومواكبته للأحداث حائلاً من تذكيري بمطلب الإمام السيد الخوئي.

ثالثاً: موقفه من الأحداث

بدأت مضائقات السلطة للسيد السيستاني بعد وفاة السيد الخوئي مباشرة فأغلق مسجد الخضراء الذي كان يلقي فيه محاضراته في الفقه والأصول، وأعتكف في داره، فتوارد عليه الطلاب مما أغاظ السلطة، فأقتحمت داره بتاريخ ١١ رجب ١٤١٧هـ، الموافق ٢٢/١١/١٩٩٦م، فاستشهد أحد حراسه وجراح آخر، وكانت المحاولة تستهدفه مع ولده

العلامة السيد محمد رضا فأشير على السيد مغادرة النجف، لكنه أصر على البقاء حتى سقوط النظام الصدامي، ولكن العهد الجديد قد سبب له مضائقات أيضاً ومنها أحداث الثالث عشر من محرم ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م، وتحرسات قضائية الجزيرة بتاريخ ٢١/٥/٢٠٠٥م، ولعل أعظمها أحداث النجف الدامية التي كان فيها السيد السيستاني (حمامة السلام)، وكانت قضية الدستور والانتخابات قد استغلتها الأحزاب والتكتلات السياسية، وقد أراد السيد السيستاني الوقوف إزاءهما بما يتحقق ومصالح الأمة، فقد شهدت النجف وفوداً سياسية وإجتماعية، فمرة تطالب به للوقوف إلى جانب كتلة أو فئة معينة، ومرة تطالب به للتوسط في حل قضايا الناس الإجتماعية والإقتصادية والأمنية. وكانت توفيقية السيد السيستاني مرضية لجميع الأطراف، ولكن هذه التوفيقية لم تمنعه أحياناً من أن يكون صارماً عنيناً تجاه الحاكمين في حالة عدم تلبية مطاليب الأمة والمجتمع، وقد لاحظنا ذلك بوضوح عند مقابلته لبعض المسؤولين.

رابعاً: إجتهاداتِه

وضع الإمام السيستاني أمام عينيه معاناة الشعب العراقي وأوضاعه الأمنية وعالجها بحكمة وروية، فبادر إلى رأي إجتماعي إنساني كبير، وهو السماح لأصحاب الحقوق الشرعية توزيعها على المعوزين من الناس من قبلهم مباشرة. وهذا مما خفف العناء عن كثير من العوائل والأسر. وذهب إلى أبعد من ذلك هذا أنه جاز الصرف على الكتابيين (من غير المسلمين) في حالة الإضطرار وإن هذا الإجراء الإنساني كان موضع إحترام وتقدير، وعند تعرض الكنائس المسيحية إلى الاعتداء من قبل الإرهابيين استذكر بشدة هذه الأعمال وأعتبر الكنائس أماكن للعبادة يجب الحفاظ عليها. ولا بد لنا من الإشارة إلى أن السيد السيستاني قد عالج الأمور بحكمة

وسمة صدر على الرغم من خطورة الأوضاع القائمة في العراق سياسياً ومذهبياً وإجتماعياً، فإنه كان فوق ذلك وكان بنظر الإمام إلى الناس بمنظور المساواة.

إن الذي ذكرته عن الإمام السيد السيستاني يدور وفق إطلاعاتي ولعل المقربين يحملون صوراً أخرى وربما بعضها خفية وسرية، فإن الباحث السيد محمد صادق آل بحر العلوم لابد له من الرجوع إلى القائمين على مكتب السيد السيستاني في النجف الأشرف وفروعه في العالم. مع تقديرى وإحترامى.

• الدكتور حسن عيسى الحكيم

النجف الأشرف

المرجعية والواقف الصريحة للسيد السيستاني نموذجأ^(١)

• الدكتور صالح الظالمي

النجف الأشرف - جمهورية العراق

المقدمة

سيدي يا أبا الرضا إنك تبتعد عن الأضواء مهما كلف الأمر، لا تدخل حجرتك المتواضعة آلة تصوير، و تستذكر رفع صورتك في أي مكان، وإذا قرأ خطيب في بيتك لمناسبة تتعلق بأبي البيت عليهم السلام فلا يحق له أن يدعوك، بل يكون الدعاء لجميع الحاضرين من دون أن يذكر اسمك، وأتعرف تماماً أنك منعت توزيع ما كتب عنك (نبذة مختصرة عن سماحة السيد علي السيستاني)، كل ذلك قد تراه (ترويجاً) للمرجعية والرجوعية لا تحتاج له حسب ما يراه.

مابين يدي هذه الصفحات المعدودة لو قرأتها لرفضت ما فيها من مدح، على أنه الواقع الذي لمسناه وبلا مبالغة فيه، ولعلني سأتركه إلى الوقت المناسب حيث تباغتنا الأقلام المشبوهة لكتابة التاريخ، أيدك الله تعالى وسدد خطواتك انه سميع مجيب.

أخي القارئ:

١. بحث مستل من مجلة (آفاق نجفية)، العدد الثاني من السنة الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

تعال معي لتقف بخشووع أمام بيت متواضع، ليس فيه ما يثير إنتباهاك غير الإلتواء المعرف في مدخله، وغير جدرانه المتراكمة التي تقاد تساقط لو لا الغناية المتأخرة بتريقيها، وإخفاء أضالعها المهمشة بطلاء كان له الفضل بإخفاء كل عيب مسته أصابع القدم.

في الجانب الأيمن غرفة لم تعرف مساحتها، وما فيها، وما هي قطع الأثاث التي تحتويها؟ ثم سرعان ما تغيب عن عينيك، أو قل ستتسى كل ما رأيته في البيت حين يقع بصرك على رجل وقور يتکئ في إحدى زواياها، وأنت تقترب منه تحس بأن شيئاً ما يقيد خطواتك، وحين تتماسك لتقول ما تريده، أو لتسمع منه فستشعر بأنك أسير هيبة لم يكن بمقدورك الإفلات منها، فمن سبقه من المراجع كنت تتحنى أمامه لما يتمتع به من قدرة هائلة بكل ما تتطلبه منه المرجعية في حياته من علم ومعرفة،.... أما هذه الشخصية، فمن اللحظة الأولى ستملاً كل جوانبك بشيء يقال له (الروحانية) وقد تفصلك عن حياتك، وربما تصنع حاجزاً ثقيلاً أمام كل تصوراتك، وما تحمله أنت من كثافة المادة التي تشق حرركتك حين تعزم المسير، وأنت أمامه كذلك تحس بأنك في عالم آخر، أو أنك تعبر إلى مرفاً آخر لم تمرَ به من قبل، إنك الآن تتخبط مسلكاً يأخذك نحو العالم العلوى، ثم تطرق خجلاً وأنت بين الانتشار والذهول.

السيد السيستانى بكل ما فيه معجب، ويزداد عجبك منه ~~كلما~~ التصقت به، ففي كل يوم يطلع عليك بما يبهر، ولنبدأ بما يدور حواليه.

مقام المرجعية

هذا المنزل الخطير الذي يتهيبه كل من يريد الولوج فيه، فقد يبتعد عنه من لا قدرة له على ثقل الأمانة، وقد يتقبله من بفرضه عليه

الواقع المريء، لكي لا تخلو الساحة من القائد الذي يحمل بين كفيه مل
بيدد تحشد الظلام، ليقف بعدها مرشدًا أمام الجماهير المؤمنة بثقة عالية
أزاء الشعور بالمسؤولية.

أعادوه انه متزلق خطير، فالقائد هنا لا شك بأنه يدرك تماماً ان
جميع تصرفاته ستوقفه للحساب أمام من بيده الحساب، اذاً لا بد له من
ان يكون (مخالفاً لهواه مطيناً لأمر مولاه) كما نطقت بذلك أقوال آل
آلبيت عليهم السلام، فهو سيقول وسيتبع اقواله من يهتمي برأيه، ولا بد له
بذلك من ان يتخطى مرحلة الاجتهاد ليصل إلى اختيار الرأي بإطمئنان،
كما عليه ان يتابع اثناء مسيرته الحياتية شتى العلوم التي تقوم عليها
حياتنا المعاصرة، ومن خلالها يستطيع التعامل مع العالم الذي يرتبط بنا في
مجال الاقتصاد وتبادل الثروات والخيرات، ثم التطورات السريعة في العلوم
الطبية التي تكون لها صلة بالشريعة، وحتى الافكار والمبادئ المستوردة
التي يتلقفها الشباب المسلم في هذه المرحلة الراهنة، كل ذلك يدركه
بوعي وبصيرة ثاقبة، ولا فرق عنده في الموضوعات التي يعرضها اثناء
الدرس بين موضوع العبادات وبين مقاومة المحتل الذي يحاول تدنيس البلد
المسلم في موضوع (الجهاد) كل ذلك يكون من بعض اهتماماته.

السيد السيستاني بعد ان واصل مسيرته العلمية منذ البداية وحتى
الآن كان على ما اعلم محل اعجاب من استمع اليه ودون آراءه المشبعة
بالدقة والاستيعاب، فهو يعني بعلم الفلك كما يعني بالفقه والاصول وعلم
الرجال، ويتبع التاريخ ليتعرف على ما يصدر من أئمة أهل البيت عليهم
السلام وما تحيط بهم من ظروف آنذاك، فكل قول يصدر منهم يكون
رهين لحظة معينة لا يمكن تحديدها إلا بمتابعة الفاحصة لتلك

اللحظة،... وهو يقرأ التاريخ كذلك ويتلقي منه الدروس ثم يقارنها بالحاضر.

وقد تعجب حين تسمع منه أنه قرأ أكثر من مائة كتاب عن الماركسية المادية، ويزداد عجبك حين يباغت (الأخضر الإبراهيمي) بما كتب عنه (هيكل) في بعض اللقاءات معه، فتحتول نظره الإبراهيمي إلى الاستجابة الفورية لما يعرضه عليه، وقد يشترك مع رجل السياسة، واستاذ القانون وكأنه رجل سياسة واستاذ قانون.

عرفنا عنه منذ البداية انه رجل أجمل ما يرتديه هو(لباس التقوى) وقد تأثر بآباءه أهل البيت عليهم السلام في نظرتهم للحياة، وانها الطريق الموصلة إلى العالم الآخر (وان الدار الآخرة لمي الحيوان).

في بيته الصغيرالمتواضع (المستأجر) كان فيه رغد العيش، تقدم له الكثير ليستبدوا هذا البيت باخر يتاسب ومقام المرجعية ولكنه رفض وأغلق الابواب، وسمعت منه الكثير قوله (أنا واولادي لا نضع حبراً على حجر في هذه الدنيا ، وسوف (نعاها ولا نملك فيها شيئاً!)^(١).

هذا الموقف الذي اتخذه سماحة السيد قد لا ينسجم مع واقعنا الذي نعيش فيه، ولكنه لا يعبأ بكل مغريات العصر، ما دام يسترجع الماضي البعيد لدى جده الإمام علي عليه السلام بعد ان اضطر إلى قيادة الامة حين أتعبها المسير في دروب تضيع فيها موقع الاقدام،... في الكوفة عاصمة الدولة الاسلامية الجديدة، كان بيته الذي يقترب من بوابة المسجد عائداً لإبن أخيه، وهو لا يختلف عن بيوت الفقراء بقليل أو كثير،

١. عقب سماحة السيد علي الباعج: بأنه ترك لهم العلم ميراثاً وكفى

أهم ما يعتمد عليه غطاوه الطيني المتماسك، لا أشك بأنه كان يحاذر من قطرات المطر المتساقطة عليه في أول فصل الشتاء، أو قل ان تلك قطرات هي التي كانت تحاذر منه لهيّة من يقع فيها.

لوقدر لك ان ترى بيت سيدنا السيستاني قبل عام، وكيف تزدحم في داخله مناكب الوفدين لما أمكنك البقاء فيه أكثر من دقائق معدودة، ثم تتطلق إلى خارجه لتعيد أنفاسك، وتحمده تعالى على عودة العافية، كان خلف هذا البيت بيتان صغيران تحولا إلى قاعتين تلتصقان به، تم إعمارهما بطريقة (المساطحة) على أن يعودا بعد عشر سنوات إلى أصحابهما، لقد باركت هذا الحدث الجديد، وبارك غيري أمام (أبي حسن) ولكنه لم يظهر عليه دلائل الرضا، قلت له وماذا حدث؟ أجاب: إن السيد الوالد بعد أن ألقى عليه نظرة قال لي: (هذا من يريد البقاء في هذه الدنيا) وسكت.

كان على علم بسلوك الشيخ الانصاري - رحمه الله تعالى - مؤسس مدرسة النجف الحديثة: حيث تقدم إليه من يحمل المال الكثير ليبدل بيته المتداعي باخر يكون صالحًا لمقام المرجعية: وعاد صاحب المال بعد حين، وبأخذته شيخنا الانصاري لمسجده المعروف، قال له: هذا خير لي ولك عند الله، ويموت الشيخ ويعقبه صاحب المال، ويبقى المسجد عامراً بكل ما فيه وما زالت حلقات الدرس تعمره حتى يومنا هذا.

ويذكر سيدنا السيستاني - حفظه الله - ما قام به آية الله الشيخ محمد رضا آل ياسين تحت وسادته ألف وأربعين دينار، وبالسرعة يطلب إحضار السيد محمد تقى بحر العلوم وال حاج حميد منى، ليحملوا المبلغ إلى طيبة السيد الخوئي، ويسأله السيد بحر العلوم عن سبب العجلة، ويجيبه الشيخ: أريد ان أموت وما في حقبتي درهم يعود لغيري، والأعجب

ان القدر لم يمهله أكثر من يوم واحد أو يومين ويموت وليس في بيته بريق لدرهم.

كل ذلك كان يستوعبه سيدنا السيستاني، ويتعامل معه معاناة وتطبيقاً... مرّ على العراق حصار مقيت، كانت نضراته لا تفارق الضعفاء من الناس، فهو يأكل كما يأكلون، ويلبس ما لا تقع عليه العين.

كان يقرأ : (كُلُوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)، وربما أعاد قراءتها مراراً ولكن سلوكه الخاص نظراته لآباءه أهل البيت عليهم السلام، كاد أن يبعده طواعية عن كل ما تحفل به مائدة الأثرياء.

لک ان تدخل ولو فضولاً لترى الطعام بين يديه على غرار ما قام به جماعة من تجار بغداد في إحدى ليالي شهر رمضان، وأكلوا معه، وكان على بساطته أشهى طعام يجتمع عليه أرباب النعمة وأصحاب السلوك.

قال ولديه، وكرر القول: لا يتجاوز مأكلكما ما في (الوجبة)، الوجبة التي تعدها وزارة التجارة للمواطنين لتخفف بعض معاناتهم من قسوة الحصار، وقد التزم الولدان - على ما أعلم - بما يريده منها الأب السالك العطوف.

في إحدى ليالي القدر أصر صديقي على دعوة ولده فضيلة السيد محمد رضا، وقد أجاب على مضض شريطة ان تقترب الدعوة من السرية لئلا تتكرر من قبل الآخرين.

وكانت الدعوة، وكانت على مقربة منه، فلم يأكل إلا ما اعتاد عليه، وترك ما يستطاب، ولم تنته الورطة، جاء صاحبنا بعد يومين واقترب من سماحة السيد، وعلى غير المعتاد أجلسه إلى جنبه يامتعاض، وسألته: هل قرأت ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام لعامله عثمان بن حنيف حين

دعى إلى مأدبة؟ أجابه صاحبنا – وقد عرف مراده – الم تكن فسحة للعنوان الثانوي؟ ورد عليه بشيء من الانفعال، لا مجال للعنوان الثاني، فكل الذي حواليك ليس لديهم غير (الوجبة) وسكت، وسكت صاحبنا على أن لا يعود ملثلاً، وتبيّن له أن ولده عليه أن يخبره بكل ما يمر به.

دخلت عليه وكان معه من يهتم كثيراً بالفقراء، وعنده الوداع طلب منه صاحبنا أن يدعو له، قال له بصراحة المعروفة: أدعوك لك مادمت تساعد الفقراء، وكان على صاحبنا أن لا يترك مهمته، وإن فلن تكون له حصة من الدعاء.

قلت له مرة: سيدى ما كنا نتصوره حلماً فمن الصعوبة ان يتحقق إلا بأحلام اليقظة، ما تقوم به يذكرنا بالبيت عليهم السلام، فيبيت المال بجانبك شبيه لما كان بيده جدك أمير المؤمنين عليه السلام لولا فقدان (الشمعة)... الحقوق كلها بيده أصحابها ولا يحق لها أن تمر ببابك، وسائلت الله تعالى أن يمد بعمره وسكت، ثم نظر إلي وقال، وسمع صاحبنا معي قوله: (لقد شتمنا من قبل حتى أبناؤنا، فلا ندعهم يواصلون شتائهم، أبعدنا الله تعالى عما لا يرضيه) وكان يشر بكلمة (أبناؤنا) إلى قصيدة الجواهري (الرجعيون).

ونعود إلى الفقراء، فهم أول من يشغل باله، وأكاد أجزم أن إنشغاله بهم كان هماً لا يبارحه حتى في لحظات النوم،.... طلب منا أن نعد قائمة بأسماء المتقاعدين، ومثلها لكل الموظفين الصغار في البلدية والبريد والصحة وغيرها، وكان له ما أراد على أن لا يعلم من هو صاحب القرار.

من يدرى بأن أكثر من ألف بيت تم بناؤه بشكل تام، أو إضافة جديدة له، أو ترميمه ليكون صالحًا للسكن، كل ذلك كان على يد أبي بان^(١) ومعها متابعة المرضى داخل النجف وفي جميع المستشفيات، أما في خارجها، ولاسيما ما يتعلق بزرع (الكلى) فلها المرتبة الأولى عنده، فقد قال لي يوماً هذا الأمين^(٢) الذي يقع عليه هذا العبء، بأن عدد الذين لديه هم ثمانية، ولم اعرف عدد الذين تمت لهم هذه العملية المعقدة.

بدأ المرحوم الحجة الشيخ محمد أمين زين الدين بدفع رواتب قد تكون مجذبة إلى العوائل المتعففة حسب تعداد أفرادها، وكانت البداية هذه مبعث إطمئنان لأولئك الذين كان جل تفكيرهم أن يبيعوا من الأثاث ما هو ضروري، ليسدوا بعض حاجاتهم، وجاء دور سيدنا السيسistani، وكان ما كان ولحد الآن،... وما يقوم به (السيد حسين الصدر) في بغداد وضواحيها من رواتب للمتعففين وما يحتاجه المرضى من عمليات ومراجعة الأطباء فقد تزايد وتزايد حتى بلغ الآلاف، وسنجد مثل هذا في أكثر مدن العراق.

لك ان ترصده من قرب أو بعيد حين يمر بجانبه شبح لدرهم فستري كيف يتم اعراضه عنه، فلا يغدر إطلاقاً بما يأتي، بل يؤكّد على إزاحته إلى مستحقيه بأقصى سرعة ممكنة.. المستحقون أولئك الذين يعيشون معه في كل لحظاته المتعاقبة.

سمعته وسمعه مثلي مراراً في تلك الفترة الخانقة يقول: أنا مستعد أن أدفع الأموال على ان توزع على الفقراء باسم رئيس الدولة شريطة أن

١. الحاج شاكر شكر

٢. الشيخ محمد الخاقاني

تصل لأصحابها، ولكن ذلك لا يمكن تحقيقه أبداً في ذلك الوقت. ولم يقف عند هذا الحد، فهو يطلب صرف الحقوق الشرعية على النازحين في أفغانستان إلى إيران، ولا فرق بين هذه الطائفة أو تلك، وربما أجاز - كما سمعت صرف تلك الحقوق لمقاومة المحتل الظالم للبلد المسلم.

لقد قدم الكثير من الأموال لترميم المدارس والمستشفيات وإعادة هيكلتها، وكذلك كانت يده الشريفة تمتد للجامعات والمعاهد بعد أن تعرضت للنهب والتدمير لتعيد لها ما فقدته من أجهزة وأثاث.

وإذا كان سماحة الحجة الشيخ محمد رضا آل ياسين قد أجاز صرف حق الإمام لشراء كتب الأدب واقتئانها عند رجل الدين، فقد أضاف سيدنا السيستاني صرف هذا الحق على طلبة الدراسات العليا في الجامعات شريطة أن يقوم الطالب بخدمة البلد فيما بعد.

وقد تريلك مرونته في فهم الإسلام وتعاليمه ما يبعث على تسامي الخلق الإسلامي حين يجيز لك الصرف على (الكتابي) المضطر إلى المال - المسيحي واليهودي - .

وقد إنفرد في هذه الفترة الأخيرة لزاء صرف الحقوق من قبل أصحابها ومن دون الرجوع إليه، وقد رأيت أحد الأطباء وهو يعود بحقيبه المقللة على أن تصرف من قبيله على المرضى، وما زاد على الحق فسماحته - حفظه الله - هو الكفيل بدفعه له مهما كان مقداره، وهكذا الأمر مع بقية الأطباء.

هذا هو سماحة السيد السيستاني، ولو سمح لي ان أذكر للآخرين ما قد نسيه وهو فتى يدخل عش الزوجية، وكل ما في ذلك العش لا تلاحمه النظارات لبساطته، ومن أظهر ما فيه تلك السجادة

الوحيدة التي أكملت بقية الأثاث، وبعد أسبوع أو أكثر تركها لصديق كان الأحوج إليها في يوم زفافه، وتحولت السجادة لبيت العريس الجديد، وعياله تارك له هذه الخطوة.

سيدي دعني اودعك وما يحيط بك، وأناأشكره تعالى شكرأ لأحد له لعناته تعالى بهذه الطائفة الحقة ونحن بحاجة في هذه الفترة إلى من ينهض بثقل الأمانة، ويقف بعدها شامخاً تعلوه كلمة (لا إله إلا الله)، فلك الحمد يارب ولک المنة.

مع النظام البائد

تجمعت حوله المصاعب بكل ما تحمله من عنـت، عاش في تلك الأيام الشاقة ولكنه لم يعبأ بها، بل كان أشد صلابة كلما تأزمت المواقف،... فقد إنـتـقل من فندق (السلام) في النجف الأشرف إلى معـسـكـرـ (الـرـازـاـزـ) وـمـنـهـ إـلـىـ مـعـتـقـلـ (الـرـضـوـيـةـ)ـ الـمـرـعـبـ،ـ وـكـانـ شـبـحـ الـمـوـتـ يـلـاحـقـهـ فيـ جـمـيـعـ هـذـهـ الـمـراـحـلـ،ـ ثـمـ عـادـ إـلـىـ النـجـفـ مـحـاطـاـ بـالـعـنـاءـ الـإـلـهـيـةـ،ـ كـانـ رـهـينـ بـيـتـهـ وـلـمـ تـبـارـحـ نـظـرـاتـ الـمـجـرـمـينـ إـزـاءـ كـلـ حـرـكـةـ يـقـومـ بـهـ هـوـ أـوـ مـنـ لـهـ صـلـةـ بـهـ،ـ وـكـادـتـ تـقـعـ الـكـارـثـةـ بـعـدـ أـغـتـيـلـ كـلـ مـنـ الشـيـخـ (الـبـرـوجـرـدـيـ)ـ وـالـشـيـخـ (الـفـروـيـ)ـ رـحـمـهـمـاـ اللـهــ.

دخل بيت السيد من يحمل الشر كل الشر لهذه الأمة ، ونجا السيد، وأطلقت النار على ولده (أبي حسن) ولو لا سقوطه على السلم، ولو لا انفجار المسدس بيـدـ صـاحـبـهـ لـكـانـ ماـ كـانـ،ـ وـبـعـنـاءـ رـبـانـيـةـ سـلـمـ السـيـدـ وإنحرف الخطـرـ عنـ ولـدـهـ وأـسـتـشـهـدـ أحدـ العـاـمـلـيـنـ،ـ وـفيـ لـقـاءـ تـمـ بـيـنـ الـمـحـافظـ (الـعـوـادـيـ)ـ وـالـسـيـدـ عـدـنـانـ الـبـكـاءـ،ـ قـالـ لـهـ:ـ إـنـ الـمـسـتـهـدـفـ الـأـوـلـ هوـ السـيـدـ السـيـسـتـانـيـ.

ولم تقف ملاحقة المجرمين له أبداً، فالمخابرات أخذت مقرأً لها
قبالة داره، ودفع النظام وجهاً جديدة إلى وسط الساحة لتأخذ مكانها
بين أوساط الحوزة المشبوهة، ودعمها بمال والإعلام، وكل من في النجف
يتذكر ما قام به المحافظ (كريم حسن رضا والسيد ع، ن، ح) الذي
كان يتصل يومياً بـ(روكان) المسؤول عن رجال الدين وزعماء العشائر
آنذاك في الساعة الثانية عشرة، هكذا أخبر المحافظ (علي عبد الكريم
السعدون) الشيخ أحمد البهادلي، وطلب منه أن يحذر من (ع) وكان (ع)
يجمع يومياً في بيت (الشيخ ج، لك) وتتوالى عليه الطلبة الجدد ويأخذهم
لكي يدخلوا في صفوف الطلبة (الحوزة) وحين تسأل الشيخ (لك)
فسيجيبك ان هؤلاء من حصة المخابرات.

ولا يفوتنى أن أذكر ان المحافظ (السعدون) وقف وقفة شريفة
حين أرادوا دمج (جامعة النجف الدينية) بالمدارس الأخرى لتكون تحت
تصرف مرجعية واحدة، وكان السبب على ما علمت - هو (ع، ح)، جاءت
اللجنة وكانت تنهي العملية، وبعد لقاء تم بين (علي السعدون) والسيد
(كلنتر) ذهب السعدون إلى بغداد وعاد بأمر يتضمن استقلاليتها على
حالها.

وكلنا يتذكر ما قام به المحافظ (كريم حسن رضا) من
اللقاءات المتعاقبة لمشايخ النجف ووجهائها كان أكثرهم يحضر عملية
الأعدام للهاربين من العسكرية ولو ليوم واحد، وكان السيد (ع، لك) يقرأ
التلقين لهؤلاء الشباب وتنصاعد الزغاريد من (الماجدات) وتنتم عمليه
الإعدام بأمر عضو القيادة (عبد الحسن راهي)، وكانت إحدى هذه
العمليات ليلة عيد الفطر، ويتم التجمع من قبل هؤلاء الوجوه حول
(المراجع) المزيفة لإحتواء المرجعية الواقعية وإذابتها، ففي كل يوم ينتصب

في كل منعطف مرجع ديني جديد، وكأن المرجعية تتوقف على (حقنة) واحدة مشحونة بسائل لا لون له ولا طعم من (صيدلية الشريعة)!! وما عليه بعد ذلك إلا أن يأخذ شريطاً من القماش يعتصب به فوق ججمنته الفارغة.

وهنا بدأت المشكلة، المراجع كثُر، وابناء الطائفة على جميع المستويات لاتكاد تفهم أرتياطها بالمرجعية، فالواحد منهم حين يمرض يتحرى الطبيب المختص ليطمئن اليه في العلاج، وفي احتياجه لأمور دينه كان عليه ان يأخذها كذلك من ذوي المعرفة أو قل من العالم المختص، بالطرق الموصولة لتلك الأمور، ولكنه - وبلا ترث - قد يرتبط بوحد من أولئك الجهلة، أما لأمر مادي، أو لموقف يعجبه منه، أو لغاية في نفسه، أو لرأي يستهويه فيه، وما يريده منه خالقه فلا يشغل باله أبداً.

الكثير الكثير منهم لا يفهم من المرجعية إلا ذلك الرمز الذي يشار إليه من بعيد ولا علاقة له بعد ذلك به، والكثير والكثير منهم من يقع حاجزاً حيالها، وتبقى علاقته بأشياء لا صلة بها بواجباته الدينية، وهؤلاء جميعهم تحكم فيهم العاطفة ولا مجال للعقل في تصرفاتهم.

طلبنا من المرجعية بعد سقوط النظام القيادي بإعداد من يأخذ على عاتقه مسؤولية التبليغ، وكانت الفرصة متاحة في حينها لتشمل المناطق التي هي بحاجة الى من يأخذ بيدها نحو الأمان، وتتوقف الطلب، ولعل هناك ما يبرر ذلك اما لتزاحم الأحداث، أو كانت النظرة الى ان الأهم يحق له إزاحة المهم لا أدرى!!، وربما سيتحقق ذلك بعد أن تمر العاصفة بسلام.

إمتلات الساحة بالمرجع المزيفة، ولو قدر لك أن تطمئن بوحد من هؤلاء حين تراه يحمل كتاباً وهو في طريقه إلى الدرس، ولكنه - وبعد

أيام – تراه يتأطر بالمرجعية من دور حذر، ويصيّبك الإحباط حين تعرّى كتاب صادر من (الأمن) العام – يذكر فيه تخصيص مبلغ لترويج مرجعيته.

جاء أحد المؤمنين وهو يحمل مبلغاً للسيد السيستاني، ولكنّه أخذ عن طريق الزبانية (آخر) وأكتشف أخيراً اللعبة، وأخذ، من يرفع شکواه إلى المخابرات الجاثمة أمام منزل السيد، وكان الجواب منها (لا يحق لنا التدخل بين المراجع)^(١).

وفي وسط هذا المُتراك المادي الساخن يقف السيد السيستاني صامداً، تطا قدماه الأرض، وعيناه مشدودتان بالسماء، يتآلم لهؤلاء لأنهم يسلكون طريقةً تأخذهم نحو الهاوية، وربما دعا لهم كي يعودوا إلى جادة الصواب.

طلب منه الكثير أن يغادر مدينة النجف بعد الإعتداء الذي وقع في بيته، ولكنه لم يجب، ولم يسمح بتكرار الطلب، وربما كان واجبه الشرعي يحتم عليه البقاء في هذه المدينة المقدسة، وأن مكان المرجعية في هذه الظروف إلاّ هي، وفعلاً فقد بقي وبقي معه إصراره ونظرته المستقبلية الآتية، ولعل صفاء نفسه، وما ارتأض عليه من سلوك جعله يستشرف الآتي، وجاء الآتي وتها النّظام، ولأمريكا سطوطها وسيطرتها على جميع المدن العراقية كاملاً، وإذا كان هناك أثر للمقاومة في مناطق الجنوب، ومنها النجف فقد بلغ عدد القتلى فيها أكثر من خمسمائة قتيل، وكانت

١. من هؤلاء عاج والسيد نـهـ والسيد عـكـ وغيرهم.

مدن الشمال وغربي بغداد تهب مفاتيح تلك المدن للقادة الأميركيكان كي تتخلص من الدمار والويلات لو أنها وقفت بوجه تلك القوات^(١).

القوات الأمريكية إرتكبت خطأ فاضحاً – وإعترفت به أخيراً – حين أطاحت بالجيش العراقي والشرطة وقوات الأمن، وتركت الحدود العراقية مشرعة الأبواب مما سبب تجمع قلول النظام من جهة، ومن الداخلين الغربياء من جهة أخرى، ومن المتضررين، فكان للمقاومة أو العصابات الخطيرة نشاطها المنفلت أحياناً والمنتظم أحياناً أخرى.

الأميريكان إذا دخلوا العراق، وهم يصطحبون معهم (المعارضة) التي عاشت في المنفى لتأخذ دورها الذي وضع لها على خارطة العراق. وجاء هنا دور المرجعية.

تجمع حول سيدنا السيستاني كل هذه المتاقضات، فماذا سيفعل؟ هذا الرجل ينحدر من أصل عربي لا، بل من مفخرة العرب من آل رسول الله (ص) وتنتقلت أسرته حسب الظروف وكان مقرها الأخير إيران، لذلك قيل عنه أنه إيراني، ولم يعلموا أن المرجعية لا تتحدد بهذه المساحة الضيقية، فإذا كان (البابا) من أصل بولوني فلا مجال لإستبعاده، أو عدم الإعتراف به من قبل الإيطاليين وهو معهم، أو الأميركيين وهو بعيد عنهم.

السيستاني عراقي بل أشد عراقياً ممن تحدى من (أكدر) أو من بطون (آشور) يحمل على رأسه عمامة جده رسول الله(ص)، وفي داخله كل هموم العراق وسوف يتضح ذلك حين يتبدد الضباب.

١. قال الدكتور احمد الكبيسي في جريدة السفير اللبنانيّة: إن السنة تقاوم والشيعة تفاوض.

الأميريكان على شواطئ دجلة والفرات (المعارضة معهم يداً بيد)
خاضعة ومستسلمة أمامهم ما دام (الفيتو) سلحاً قاطعاً بيد السيد (بريم)
بقي ان نتعرف على ما يدور بين أبناء العراق، المهم عندهم ان النظام
الجائـر أخذ طريـقاً على أن لا يعود، وما خلفه من إحباط قاتل قد لا ترى
من خـلالـه بقـاياـ أـمـلـ لإـعادـةـ بنـاءـ هـذـاـ الإـنـسـانـ العـراـقـيـ، وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ لاـ
يفـكـرـ بـأـيـ حـزـبـ يـذـكـرـ أـمـامـهـ، أـمـاـ مـاـ يـشـغـلـهـ، فـوـ لـقـمـةـ العـيشـ، وـنـعـمـةـ
الـآـمـانـ، يـرـيدـ انـ يـضـعـ رـأـسـهـ عـلـىـ وـسـادـتـهـ مـنـ دونـ أـنـ يـمـرـ بـخـاطـرـهـ شـبـحـ
مـخـيـفـ يـصـبـهـ طـوـالـ لـيلـتـهـ التـيـ لاـ تـقـضـيـ.

المعارضة جلها لها طابع حزبي، فقد ضجـتـ السـاحـاتـ فيـ كـلـ
أنـحـاءـ العـرـاقـ بـالـلاـفـتـاتـ التـيـ تـشـيدـ بـمـنـ وـرـاءـهـ وـلـلـشـارـعـ المـضـطـرـبـ وجـهـاتـ
نـظـرـ مـتـبـاـيـنـةـ تـمـاماـ أـزـاءـ (المعارضة).

١) فيـ هـذـاـ المنـعـطـفـ منـ يـرـحبـ بـهـمـ جـمـيعـاـ وـانـ شـملـتـهـمـ عـنـيـةـ
الـأـمـيرـيـكـانـ وـلـاسـيـماـ منـ قـتـلـ مـنـهـ أـهـلـهـ أوـ أـقـارـبـهـ أوـ مـنـ يـمـتـونـ بـهـمـ بـصـلـةـ.
٢) فيـ هـذـاـ المنـعـطـفـ الآـخـرـ منـ يـكـيـلـ لـهـمـ الشـتـائـمـ وـبـلـ حـسـابـ، أـمـاـ
مـنـ كـانـ لـهـ قـتـيلـ، فـمـنـ وـجـهـ نـظـرـهـمـ أـنـ هـؤـلـاءـ القـتـلـىـ لمـ يـقـفـواـ ثـائـرـينـ
بـوـجـهـ الطـاغـيـةـ آـنـذـاكـ، وـقـدـ شـملـتـهـمـ التـصـفـيـةـ المـقرـرـةـ لـكـلـ أـبـنـاءـ الطـائـفـةـ،
فـهـمـ وـالـقـاـبـرـ التـيـ مـلـأـتـ الـأـرـضـ سـوـاءـ بـسـوـاءـ، وـمـثـلـهـمـ مـنـ تـابـعـهـمـ السـلـطـاتـ
وـقـتـلـواـ أـشـاءـ صـلـاـةـ الـجـمـعـةـ وـبـعـدـهـاـ تـلـكـ التـيـ تـقـامـ مـنـ قـبـلـ السـيـدـ مـحـمـدـ
الـصـدـرـ.

فـأـصـحـابـ هـذـاـ الرـأـيـ يـرـيدـونـ مـنـ الـمـعـارـضـةـ أـوـلـئـكـ الـذـينـ يـحـمـلـونـ
الـسـلـاحـ بـوـجـهـ النـظـامـ دـاخـلـ الـعـرـاقـ، فـقـدـ يـسـلـمـ وـبـقـىـ عـمـلـهـ فـيـ الـخـفـاءـ، وـقـدـ
يـحـظـىـ بـالـشـهـادـةـ بـعـدـ اـنـ قـامـ بـمـاـ يـلـزـمـ، وـقـفـ المـرـحـومـ (عبدـ الصـاحـبـ دـخـيلـ)

بجانب (ناظم كزار) وهو لا يهاب ما سيلاقيه، وأسمعه الكلمات الجارحة
ثم كان مصيره الموت، وبقي ذكره في طليعة الشهداء الحالدين.

وما تكلم به (عباس عجينة) أمام المحافظ (جاسم الركابي)
ومدير الأمن (إبراهيم السيد خلف) صرخ بوجهيهما: (انتا ذاهبون غداً إلى
كريلاء مشياً على الأقدام وما شئتم فافعلوا) وخرج في اليوم الثاني وقتل،
وقتل من معه.

وما يثير الدهشة تضحيات أبناء النجف الغيارى في ثورة (١٩٩١)
واعنى بأهل النجف الشباب المؤمن وحتى الأطفال ومن بيوتات قد لا تعرف
عنها شيئاً.

عملوا ما هو مدهش حتى قال عنهم (مزيان خضر هادي): ان
ضحايانا - ويقصد الجيش والحزب - في مقبرة النجف تعادل ما خسرناه
في (المحمرة)، اولئك الشباب ثاروا واستشهدوا، ولدينا لوحات بأسمائهم،
كنا نأمل ان نضع كل واحدة منها على بداية شارع ومنهم الصبي المعجزة
(....)^(١) ولكن الشوارع والطرقات لم تترك لهم مكاناً خالياً من الشعارات
والصور.

اذاً كانت نظرة هذه الجماعة للمعارضة القادمة مع الأمريكان
نظرة لا تم عن الرضا والترحاب، فالمعارضة في نظر هؤلاء كانت تعيش
في المنفى كما يعيش أبناء الملوك، من حيث البيت والسيارة، والتقلبات

١. قتل هذا الصبي أحد الضباط وكثير من الجنود، وحين نفذ عتاده، ألقى القبض عليه، وسأله القائد لماذا
تقاتلنا هل نحن كفار؟

اجابه الصبي انكم ظلمة.

قال له: فلو اعطيتك ما تحتاجه من عتاد؟
قال: أقاتلكم.

الترفيهية بين أوروبا وأمريكا ولا تسأل عن الحسابات الجارية في البنوك، وعلى هذا الأساس لا يحق لها تسلم مقايد السلطة سواء أكانت مرتبطة بالأمريكان أو كانت مستقلة؟ ومن جانب آخر فقد دخلت المعارضة وفي حقائبها ما يعجزك إحصائه من تخمة للدولار، ومع ذلك فقد عدّت على دوائر الدولة، والمقررات الحزبية، والمساحات التي تتضرر ما يقوم عليها من بناء، وكان من بين الأماكن التي تم الاستيلاء عليها، عليه ألف علامة للإغتصاب، أو الوقف، وبعضها قابل لأن يكون مدرسة أو مستشفى أو دائرة حكومية، والغريب أن من الأحزاب الإسلامية من بادر بعملية الإستيلاء هذه، بينما كان الحزب الشيوعي في النجف وهو الذي لا يؤمن بالدين ولا علاقة له بالحلال والحرام يرکن إلى البيت الذي كان ملكاً له أيام (الجبهة).

ولنا ان نسأل هؤلاء عنمن هو جدير بهذه المهمة، مهمة تسلم مناصب الدولة، فالجواب الذي يجمعون عليه هو لغير المعارضة القادمة من المنفى، المناصب لمن في العراق وقد عانى في عهد النظام مرارة العيش بكل صورتها، السياسيون الذين تلاحقهم نظرات المخابرات أينما اتجهوا، فلا يتكلمون عبر لقاءاتهم في بيوتهم الا بموضع يبتعد كثيراً عن دهاليز السياسة.

المثقفون الذين لم يخضعوا لإدارة النظام، ولم يلوثوا أقلامهم على ما تريد وسائل الإعلام، مع ان الأجر كان مغرياً لمقالة تنشر، أو قصيدة تأخذ حيزاً على صفحات الجريدة، وهناك من فصل من وظيفته ولم يظفر بما يكفل له مقاومة الجوع.

كان الرغيف الذي تصدق به وزارة التجارة لا تكاد تعرفه لكثرة الخليط المتأثر الذي يعتمد عليه، حتى مات الكثير ولم يتمكن

من الحصول على الدواء المطلوب. هكذا كان هؤلاء، وقد دعوهم الحاجة إلى بيع قطع الأثاث، أو قل: الشبابيك والابواب والبسط، بل والله باعوا كل ما هو ضروري لسد حاجتهم إلاّ ضمائرهم الطاهرة، فقد وقفوا معها شامخين أمام سطوة الجبار والى النهاية.

٣) وهنالك فريق ثالث لا ينظر لهؤلاء إلاّ نظرة موضوعية تحدد بموجبها كفاءة الفرد العراقي من دون فرق بين من كان خارج الوطن لأمر دعاه للغربة، وبين من كان داخل العراق مشدوداً الى تربة الوطن مع قسوة المعاناة فيه، المهم ان يكون انساناً ذا سمعة حسنة، ولا يشغل باله إلاّ خدمة العراق ومراعاة أبنائه، بعيداً عن مصلحته الذاتية، العراق عنده هو الأول والأخير، والإنسان العراقي هو الذي يستحق التضحية عليه يعيد بعض عافيته، هذا العراقي هو الذي يستحق ان يعتلي منصة الحكم.

بهذه الأجواء المتلبدة بالغيوم يطل علينا سماحة سيدنا السيستاني بوجهه الطلق وعينيه الفاحضتين، يتأمل ما يدور في الساحة الآن وما سيأتي في القريب، ولكن مع ذلك سيتعرض لمضايقات ربما لا يمكن إحتواها ألاّ بمقدرة السياسي المحترف، السياسي الذي يعتمد اللف والدوران، ويُخضع للمرحلة التي قد تضطره تغيير موقفه وما يتباوه سرعان ما يبدله بأخر غيره، وقد يضم إلى جبهة لا يلتقي معها بأية صلة، فمصلحةه فوق كل شيء.

وسماحته لم يكن سياسياً بهذا المفهوم، فهو يقف أمام كل حدث بما يفرضه عليه واجبه الديني،... العراق بلد ممزق منذ عهد، والعراق بلد مسلم، وفي جميع أدواره كان دين الدولة له هو الإسلام مع حرية الأديان للآخرين، فالعراق اذاً هو الذي يهمه الآن ليمسح عن جبينه تراكمات الماضي الحزين مهما أمكن، وهو الذي يريد إبقاء هويته الدينية، والعراق

الذى يهمه هو وحدته وتآلfe مع جميع أبنائه من دون تمييز، ثم إستقلاليته وتقدمه في كل المجالات ليتحقق بالركب الذى يسير نحو التقدم والإرتقاء.

المجتمع العراقي بعد معاناته هذه الأعوام الطوال كان متهرئاً لعدم إرتباطه بضوابط تجعله خاضعاً لما يفرضه عليه القانون،.. حاجته للمال جعلته يسلك طريقاً معوجة ليصل اليه،... الرشوة لم تترك دائرة إلا دخلتها من دون حذر،... النهب والسلب والسرقة لم تتوقف حتى في الأيام الأخيرة من عهد النظام، كل هذه جعلت من المجتمع العراقي مجتمعاً يميل إلى السقوط... وتهاوت أعمدة النظام وعاد الفرد العراقي يمارس ما كان عليه، وبصورة أشد عنفاً ما دامت الفرصة مؤاتية الآن.

إذاً سيواجه سيدنا السيستاني سللاً من التساؤلات حول تصرفات المجتمع، بما فيها من كان مرتبطاً بالأمن، وظهر إسمه ضمن لوائح عشرت عليها أيدي الآخرين، وعن المخبرين الذين كانوا سبباً في إعدام من تم إعدامهم على يد السلطة، وعن الحزبيين وكيفية الإطاحة بهم أينما وجدوا، وعن التجاوزات على الأراضي وبنيات الدولة وسرقة السيارات والأثاث من بنيات الدولة، وعن قطع الأثاث وغيرها، وفي جميعها كانت إجاباته صريحة لا غموض فيها على وفق ما توجبه عليه الشريعة الإسلامية. كما ستجدها في آخر البحث.

السيد السيستاني والاحتلال

كانت نظرته لما يجري الآن نظرة مليئة بالتشاؤم، الجيوش الأمريكية دخلت فما هو الهدف؟ فهو الخلاص والنظام والسيطرة على أسلحة الدمار الشامل، أم. هناك مصالح تلتقي مع إسرائيل وما بينهما ما يبعث على الريبة؟ إن سماحة السيد قد تعرّف على بعض ما تقوم به القوات

الأمريكية في (أفغانستان) حين شملت التغييرات المجتمع الأفغاني حتى وصلت إلى المرأة المسلمة، وهناك ما هو أشد خطورة حيال ما تصبو إليه القوات الغازية في المجتمعات الإسلامية.

طلب السيد (بريم) اللقاء به أربع مرات، أؤكد أربع مرات، ولم يحصل على الموافقة بل كان يؤكّد على الرفض بقوة حتى اليأس. وجاء ممثّله (.....) ووقف أمام الدار، وكانت لحظة محرجـة، ناشدهم السماح بدخول البيت على أنه ضيف، وبيت المرجعية لا يرفض أحداً، وكانت النتيجة مع صعوبة الموقف هي الرفض أيضاً خوفاً من أن تكرر اللقاءات بهذه الذريعة.

أراد مجموعة من الشباب العمل مع القوات الأمريكية في بحر النجف وسُئل سماحته وكان أكثر إصراراً على الرفض ما دام البناء لمصلحة الأمريكيـان، وهو ما يؤكـد بقاءهما طويلاً، والشباب هؤلاء تعوزهم الحاجة إلى المال، ولكن قضية المال هنا لم تعد مشكلة، فلهم ما هو مقرر في فترة عملهم ومن السيد نفسه، أما العمل معها فيما يخص عـمران البـلاد كالمدارس والمستشفيـات فهو يختلف هنا عن العمل الذي يحقق مصلحتـها، فالعمل هنا لا شـبهـة في جواـره.

إن مرجعـية السيد السيستـاني لا تختلف تماماً عـما إلتزمـ به الآخرون فالموقف لدى الجميع واحد،.... الإحتلال أمر مرفوض ولا مجال للسكوت عنه مهما تعدد الأسباب، بل لابد من أن تقـفـ أمامـهـ بكل قسوة من دون إـكتـراتـ.

وما ذكر عن السيد (البيزدي)^(١) ففيه ألف علامة للتاريخ،....
كلمة واحدة قالها أمم (الميجر....) حين طلب منه أن يغادر النجف لفرض
الحصار هو وعائلته، وكان الجواب: إن عائلته كبيرة ولا يمكنها المغادرة
بهذه البساطة؛ وكان إستغراب (الميجر) فيه شيء من الدهشة، وسأل عن
أفراد العائلة فأجابه: بأن النجف جميعها هي عائلتي، أما المواقف الأخرى
فقد تعهد بإظهارها سماحة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في
مذكراته مع السيد البيزدي، والحق أنها كانت علامات مضيئة، لم تطرق
أبواب من كتبوا عن تلك الفترة، وما ذكرته السيدة (مس بل) من أن
السيد البيزدي كان صديقاً لنا، فربما أرادت أن تمسه أصابع الشك نحو
زعامته الدينية وتأثيرها في المجتمع المسلم، علىها تسبب الإعراض عنه
وإبعاده عن منصبه وتأثيره، وفعلاً فقد ترددت أصوات المشبوهين وما تزال
لحد الآن حول هذه التهمة. ولو لا موقف السيد السيستاني الديني الذي
يفرض عليه ما يراه واجباً لقلنا: بأن ما دار حول السيد البيزدي هو السبب
المحتم أزاء وقوته الحازمة أمام القوات المحتلة، ونحن لا ندري بعد هذا،
هل تتناوله أقلام المغرضين فيما بعد وتعده صديقاً مخلصاً للقوات الغازية
وفي الطليعة السيد (بريم).

كان السيد السيستاني لا يطمئن تماماً بمن يقدم عليه وهو ما
يزال تحت خيمة الأميركيان، فصلتهم أما أنها قائمة على منح الثقة من
قبل السيد أمام المجتمع العراقي وأما أن تكون مخططاً تحركه الأيدي
وراء ستار للنيل من سماحته - لا سمح الله - كان موقفه مع الجميع

١. راجع: النجف الأشرف وحركة الجهاد / كامل سلمان الجبوري ص ١٢، ٢١، ٢٧، مؤسسة العارف - بيروت.

صريحاً لا يلامسه غموض، ولم يحد، ولا يمكن أن يحيد عن مبدئية ثابتة من خلال رؤيته الدينية له.

السيد السيستاني لم يكن سياسياً على وفق ما يريده السياسيون، ولكن موقفه الديني هو الذي يتحكم. فيما يراه اذًا، فماذا سيكون موقفه إزاء هذا المترنح السياسي الآن؟

الحق أن ما تبناه سماحته في المرحلة الأولى هو نفسه الذي ثبتت المرحلة الثانية، قالها بكل ما عرفته الصراحة والوضوح، العراق... العراق... فما يهمه هو وحدة العراق وأستقلاله، وإن جميع الطوائف هم عراقيون لا تفرقهم المذهبية الدينية، ويستذكر بشدة حين تردد كلمة (سني) أو (شيعي) ومسلم وغير مسلم، الكل عراقيون، ولا بد أن يقوم على أكتافهم شموخ العراق وكبرياته، وما يصدر من قوانين وأنظمة فكلها باطلة ما دامت الإنتخابات العامة لم يمارسها أبناء الشعب العراقي... الإنتخابات التي تتم من خلالها صياغة الدستور الدائم يجب أن تكون بأيد عراقية، ومن ثم تتطلق جميع التشريعات، أما ما يسمى بـ(قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية أو بقية التشريعات الأخرى) لم تدخل في إطار الشرعية لدى سماحته.

السيد السيستاني طلب من (الأخضر الإبراهيمي) تقديم الإنتخابات العامة، وقد تحقق له ما أراد، وطلب منه كذلك أن ما تم تشريعه في ظل الإحتلال، وما يسمى بـ(قانون الدولة أن يسقط نهائياً من القرار الجديد لمجلس الأمن حول العراق، كي لا تكون له صفة شرعية ويكون قراراً ملزماً فيما بعد، وقد تحقق له ذلك، حين وصلت (البرقية) المستعجلة إلى رئيس مجلس الأمن قبيل إصدار القرار بقليل، وكان وزير الخارجية العراقي قد أبلغ السيد (كوفي عنان) والأخضر الإبراهيمي بأن المرجعية لا

مانع لها من إدخال (قانون الدولة) ضمن قرار مجلس الأمن وإن السيد السيستاني على حد زعمه قد أيد الحكومة العراقية الحالية في بيان أصدره مكتبه في النجف وما صدر من هذه الحكومة ومن قبلها يأخذ صفة الشرعية، ولكن السيد السيستاني لم يؤيد هذه الحكومة لأنها لم تكن تحظى بالشرعية عن طريق الانتخابات، ثم أضاف سماحته في آخر بيته: إن على الحكومة هذه أن تثبت قدرتها وعزمها على المهام، وذكر بعدها تلك المهام، فالسيد الوزير أخذ الفقرات الأخيرة، وأعرض عمما جاء في البداية من رفض الشرعية لهذه الحكومة، ولكنه سياسي وله الحق في تلاعيبه بالقول ليصل إلى ما يريد.

فالانتخابات اذاً وما يتبعها من تشريعات هو الموضوع الذي لا يمكن عرقلته والإلتلاف عليه.

وقد يعجب سماحته، ويعجب غيره من أولئك الذين جاؤا وعلى أكتافهم ما يعجزهم تحمله من شعارات، الديمقراطية التي تعني حرية الشعب، فلماذا يخافون من هذا الشعب الذي جاؤا من أجله ومن أجل حريته، وكان عليهم جميعاً أن يكون همهم الوحيد هوالانتخابات التي تضمن له حريته، فأصدار ما تم من تشريعات في المرحلة الانتقالية لم يكن للشعب أية إرادة حيالها، بل هو مغيب عنها تماماً، كان على هؤلاء أن يتحققوا مبدأ الديمقراطية بما يحمله من واقعية ليطمئن هذا الشعب المسكين بهم ولو لفترة الانتخابات التي ما زالت هي الحكم.

إذا تحقق ذلك، فماذا سيكون موقف السيد السيستاني؟...
الانتخابات قد تحققت... المجلس التشريعي جاء بعدها عراقياً لا لبس فيه،
عندما سيبارك سيدنا السيستاني ما تحقق، وسيؤيد بكل إطمئنان أي
عربي يأخذ مكانته من القمة وحتى السفح، العراقي هذا من أي طائفة

كان، ومن أي قومية، المهم ان يكون عراقياً منتخباً إنتخاباً شرعياً ولا يدنو إليه قليل من الشك.

● الدكتور صالح الظالمي

النجف الأشرف - جمهورية العراق

السيد السيستاني وهموم المرجعية

• الدكتور يحيى شامي

أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية

بيروت - لبنان

المخاض

كانت الصورة الملونة التي جمعت سبعة وجوه لسبعة علماء، لفت على رؤوسهم عمامات سود، باستثناء واحدٍ منهم عِمته بيضاء، هي التي تصدرت غلاف مجلة "الوسط" اللندنية، أما العنوان فهو: "المرجعية الشيعية: صراع بين قُمَّ والنجف... وتلامذة الخوئي" ...

كان ذلك منتصف صيف عام ١٩٩٣ م موعد حلول الذكرى السنوية الأولى لوفاة المرجع الشيعي الأعلى أبو القاسم الخوئي، فيما أمر خلافته لم يُحسم نهائياً على الرغم من شبه الإجماع على مرجعية السيد محمد رضا الكلبايكاني، وأخرين غيره، ومرد هذا الوضع إلى عدة عوامل أبرزها اعتلال صحة السيد الكلبايكاني البالغ من العمر ستة وتسعين عاماً، وثانيها التناقض بين تلامذة الخوئي، وهم كُثُر، وثالثها التطورات السياسية في كلٍّ من إيران والعراق، حيق أن لكلٍّ من هذين البلدين التأثير الفاعل في أمر المرجعية، هذا فضلاً عن التأثير النسبي الآخر لـكلٍّ من لبنان وأفغانستان وباكستان....

إلتقت إلى صاحبي الذي كان بجانبي، قلت له: أنظر وتأمل في ستة الوجوه هذه، لأن السابع منها، وكان أكبرها حجماً، هو وجه زعيم

الحوza الدينية، ومرجع الأمة الراحل السيد أبو القاسم الخوئي، ثم اخترَّ للمرجعية واحداً منها ترثاح إليه نفسُك، وأنا بدورِي اختار واحداً ترثاح إليه النفس، فكان إن اختار صاحبِي الوجه الذي اخترتُ، وارتاح إلى الوجه الذي أنا إليه ارتحت، وجهٌ ما عرفنا اسم صاحبه إلاً من بعد توفُّرنا على صفحات المقالة التي هي طبِّيَّةَ المجلة، ودلَّ عليها عنوان الغلاف،^(١) وإن تعجب فاعجب لهذا الاتفاق في الرأي، ماداًً أهُو الحدس، أم هي الفراسة، أم هو شيء غير ذلك، لستُ أدرِّي، وإن هي إلا شهور معدودات وإذا بصاحب هذا الوجه الذي ارتحت النفس إليه، هو نفسه من ألقى المرجعية الدينية بزمامها إليه، ليكون صاحبها، وحامل همومها الذي لا يُشُق له غبار....

استمر الجدل قائماً سنةً كاملةً، أو ما يزيد، حول من يكون المرجع الأعلى للطائفة الشيعية إثر وفاة السيد الخوئي المنقول إلى جوار ربه في النجف الأشرف صيف عام ١٩٩٢م، ما جعل الأنظار تتوجه إلى العديد من الأسماء في كل من إيران والعراق، أما في إيران فطرحت بقوة مرجعية السيد جمال الدين محمد رضا الكلبايكاني المقيم في مدينة قم المقدسة، بتأييد من حكومة الولي الفقيه، وأما في العراق فطرحت مرجعية السيد عبد الأعلى السبزواري، لكن سرعان ما احترمت المنية ذينك المرجعين، فاتجهت الأنظار إلى تلميذ نابِيٍّ من تلاميذ السيد الخوئي، وتلاميذ الخوئي كثُرٌ في العالم يقارب عددهم ستمائة مجتهدٍ كلٌّ منهم يقول علمني الخوئي، وتلهمذت على يد الخوئي...

١. انظر المقالة كاملة في: الوسط، عدد ٨١، تاريخ ١٦/٨/١٩٩٣، من ص ١٠ إلى ص ٢١.

اتجهت الأنظار وبلطف إلهي، وتسديد غبي إلى هذا التلميذ امتداداً طبيعياً لمرجعيتين لامعتين سابقتين، أولاهما مرجعية السيد محسن الحكيم، والثانية مرجعية السيد الخوئي، فمن هو هذا التلميذ الذي ما خاب حدسٍ ولا حدسٍ صاحبٍ فيه، فوق عليه الإختيار، وما كان إلا محط الأنظار، ومن عليه المدار، وإليه يُشدّ الرحال من سائر الأقطار؟ إنه، وباختصار آية الله السيد علي الحسيني السيستاني، لكن قبل تفصيل التعريف به، لا بد من الإشارة إلى نقطتين اثنتين هامتين هما: تعدد المرجعية والتناقض أو التنااغم بين قم والنجف..

تعدد المرجعية

لأن المرجعية الدينية، وبحسب العرف الشائع في الموروث الشيعي، منصب ديني لا ينحصر في شخص يُعين بمرسوم تتخذه السلطة الحاكمة، سواء أكانت هذه السلطة عادلة أم جائرة، بل هو منصب قيادي يتولاه المجتهد الذي توافر فيه شروط التقليد، ومن أهمها حيازته الفضل والورع والتقوى والعدالة والأعلمية في العلوم المختصة بالشريعة، يدل عليها رسالته العلمية المتضمنة لآرائه الفقهية التي يُرجع إليها من قبل مقلديه في العبادات والمعاملات...

ولأن المرجعية بهذه الصفات المختلف في تقديرها تباعاً لاختلاف مستويات الفهم لدى عامة الناس، بل تباعاً لاختلاف مشارب وآراء العلماء أنفسهم من هم أجدُرُ بتوصيف مثل تلك المؤهلات أو الصفات الواجب توافرها في المجتهد...

ولأن للدعائية، أحياناً، وللعصبية السياسية أو القومية التأثير الفاعل في الترويج لهذا المرجع أو ذاك... فلا غرو إذ من أن تعدد المرجعية

بتعدد المراجع، ومن أن تجد أكثر من مرجع واحد في الزمن الواحد، كان هذا فيما نجد من التاريخ، ونجد ما يماثله في تاريخنا المعاصر، وليس أدلّ على ذلك، في الثلث الأخير من القرن الفائت من معاصرة مرجعية زعيم الحوزة الدينية في النجف السيد الخوئي (ت ١٩٩٢م) لمرجعية كلّ من السيد الحكيم (ت ١٩٧٠م) في العراق، والسيد محمد هادي الميلاني (ت ١٩٧٥م)، والسيد كاظم شريعت مداري (ت ١٩٨٤م)، والسيد أحمد الخناساري (ت ١٩٨٦م)، والسيد روح الله الخميني (ت ١٩٨٩م)، والسيد مرعشي النجفي (ت ١٩٩٠م) في إيران...

نعم، قد تتعدد المرجعية، فيكون هناك أكثر من مرجع واحد، في الزمن الواحد، لكن المرجعية العليا، وهذا مصطلح وضع حديثاً، وإن شئت فقل المرجعية التي هي بمثابة الزعامة الدينية الفعلية التي تشخيص إليها الأ بصار، والتي تسقطب أكبر عدد من المقلدين المنتشرين في أكثر من بلد أو ناحية، لقلاًما أسلمت قيادها، في تاريخنا المعاصر، إلا للقلة من المراجع من أمثال كلّ من السيد الحكيم، فالسيد الخوئي، في العراق، والسيد الخميني، ومن بعده السيد الخامنئي، في إيران...

التنافس أو التنااغم بين قمّ والنّجف

لكان الإقامة المتقدمة في حوزة النجف التي تُعتبر شرطاً من الشروط الضمنية التي يصعب من دونها بلوغ درجة المرجع الأعلى للطائفة، وهذا هو الحال منذ تأسيس جامعة النجف في القرن الخامس الهجري على

يد الشيخ الطوسي(ت٤٦٠هـ)، حتى أنه بات يقال إن المرجع نجفي إما بالدراسة، وإما بالإقامة، والثانية أكثر ثباتاً...^(١)

مثل هذه المقوله التي ألقى بظلالها على الساحة الشيعية طوال قرون عديدة لم تصحّ البتة إثر انتقال الخوئي زعيم الحوزة الدينية، وأحد كبار مراجع الشيعة الإمامية في العالم، إلى رحمة ربه في آب من سنة ١٩٩٢م، إذ انتقلت هذه المرة بقوة إلى السيد محمد رضا الكلبايكاني المقيم في قم، لا في النجف، مدعوماً من قبل حكومة الولي الفقيه انطلاقاً من تأييد السيد ومبركته العلنية للثورة الإسلامية، وإن كان أحجم، حسبما قيل في حينه، عن قبول عرض قدّم إليه بعد وفاة السيد الخميني ليكون هو القائد والمرشد في آنٍ للثورة ولحكومة الولي الفقيه...^(٢)

هذا، في إيران، أما في العراق، النجف تحديداً، حيث أن النجف وجنوب العراق قاطبةً كان ما يزال يعاني من شدة وطأة فشل انتفاضة شعبان المباركة في آذار سنة ١٩٩١م، وحيث أن محاولات الطاغية ببغداد لفرض المرجعية التي يريد، باعت بالفشل، ولو تم ذلك، لا سمح الله، لأغلقت الحوزة طوعياً، وانتهى دور النجف في العالم الشيعي في العراق، هذا، اتجهت الأنظار، وبصورة تلقائية، إلى مرجعيتين اثنتين بكلٍّ من السيد عبد الأعلى السبزواري، والسيد على الحسيني السيستاني، وكان حظ الأخير هو الأوفر، إذ وقبل الانتهاء من مراسم تشيع ودفن السيد الكلبايكاني بقم، سارع إلى إعلان التأييد لمرجعية السيستاني علماءً عرّفوا بتأييدهم للثورة الإسلامية في إيران، يأتي في طليعتهم اثنان

١. الوسط، عدد ٩٩، ص ١٠. مقالة عبد الحسن الأمين، وعنوانها (مراجع الشيعة ينتصرون للنجف)

٢. المصدر نفسه، ص ١١. الوسط عدد ٩٩، ص ١١.

كانا يقيمان بقَمَّ هما السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة في العراق، والشيخ محمد مهدي آصفي أحد كبار المنظرين لحزب الدعوة العراقي، وثالث كان وما يزال يقيم في بيروت هو السيد محمد حسين فضل الله، والثلاثة تجمعهم رؤية شبه واحدة إلى الأمور تمثل بولائهم للثورة الإسلامية الإيرانية، إضافة إلى كونهم وكلاء عن المرجع الديني الراحل السيد أبو القاسم الخوئي، ورابعٌ مقيم أيضاً في بيروت، هو الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الذي لم يُخفِ تأييده للسيد السيستاني ولمرجع آخر مقيم في قم، وذلك انسجاماً مع موقف مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية بلندن، وهو السيد محمد الروحاني، هذا ما اتضح في حينه من خلال الرسالة التي بعث بها شمس الدين إلى كل من السيد الروحاني، والسيد السيستاني، معزياً بوفاة الكلبايكاني بالعودة إلى إيران، فإن القيادة ممثلة بمرشد الثورة السيد علي الخامنئي، ومعه رابطة مدرسي الحوزة العلمية في قم، لم تنتظر طويلاً قبل إعلان تأييدها لمرجعية الشيخ محمد الأراكي، كمقدمة لمرجعية الخامنئي، واسم الأراكي كان طرحاً من قبل، كرديفٍ للسيد الكلبايكاني، لكن القدر كان بالمرصاد إذ سرعان ما لحق الأراكي بسلفه الكلبايكاني، ما فتح الباب واسعاً أمام التمكين لمرجعية قائد الثورة السيد علي الخامنئي، وتالياً أمام صراع خفيٌّ حيناً، ظاهرٌ حيناً آخر، قطباً ثالثاً، الأول يتمثل بالمنادين بأن تكون قُم هي مركز القرار، وحاضرة المرجعية، مستفيدين من تدهور الأوضاع السياسية والإجتماعية في العراق، والثاني يتمثل بالمنادين بأن تظل النجف حاضرة العلم والثقافة، وحاضنة المرجعية أيّاً تكون الأوضاع السائدة في العراق.. هذا، مع الإشارة إلى أن التناقض، وقل التناضم، على الإحتفاظ بالمرجعية العليا في قم أو النجف لم يكن بدعاً في حال من الأحوال، لعل بداية تجلياته المتأخرة

شهدتها المرحلة التي تأسست فيها الحوزة العلمية في قم، وكان من أبرز أعلامها السيد الكلبائكي، ومن قبله، أستاذه آية الله عبد الكريم الحائرى اليزدي (ت ١٢٥٥هـ).^(١)

السيستانى زعيمًا للحوزة الدينية

وبعيداً عن الخوض في الجدل القائم بين مؤيدى وأنصار مدرستي التقليد القديمة أو الحديثة، الأولى تميل إلى فصل الفقه والأصول عن شؤون السياسة بانتظار ظهور الحجة القائم (ع)، ولا يعني هذا أبداً السكوت عن الظلم، ولا تعطيل الجهاد محاماة عن الدين، ولا تعطيل قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثانية تدعى إلى دمج السياسة بالدين، وإلى التوسيع في ولاية الفقيه لتكون ولاية عامة لا خاصة..

وبعيداً عما طرحة الإمام الخميني في مبانيه الفقهية لجهة الإعلان عن حكمومة الولي الفقيه، ولجهة وجوب الجمع بين المرجعيتين الدينية والسياسية في المجتهد الجامع لشرائط التقليد، وإن كان سمح حين بالفصل المؤقت بينهما ريثما تمتد وتجذر مرجعية السيد الخامنئي التي تم الإعلان عنها لاحقاً فيما بعد وفاة الأراكى.^(٢)

وبالعودة إلى شغور مرجعية النجف إثر وفاة السيد عبد الأعلى السبزوارى الذي خلف السيد الخوئي، وكما بينا من قبل، فإن الأنوار اتجهت إلى واحد من أقطاب مدرسة التقليد القديمة ممن لا يقولون بولاية

١. انظر مقالة حامد حيدر في مجلة الوسط بعنوان (تعيين الأراكى مقدمة لغرض مرجعيةخامنئى) العدد ١٣، ١٩٩.

٢. انظر نص فتوى الإمام الخمينى، ضمنها رايته في عدم الجواز الفصل بين المرجعية الدينية والقيادة السياسية، وذلك في: مجلة الوسط، عدد ٩٦ ص ١٣.

الفقيه المطلقة هو السيد علي الحسيني السيستاني، اتجهت إليه الأنظار بتأييد شعبي داخلي، وأخر خارجي عبر عنه وكلاء السيد الخوئي، والمشرّفون على مؤسساته الخيرية والثقافية المنتشرة في العديد من البلدان، كممثلين لتقليد السيد الخوئي، وهم كثُر، كما عبر عنه التيار الشيعي المحافظ ممثلاً بجماعة الخوجة الأثنى عشرية التي يرأسها الملا أصغر محمد علي جعفر، ولها نشاطات في الهند وباكستان وأفريقيا وبعض دول الخليج، وغيرها من البلدان.

هذا، على الصعيد الشعبي، أما على الصعيد العلمائي، فإن ثمة قائمة طويلة من العلماء سرعان ما تناول أصحابها إلى القول بمرجعية السيستاني، وإن منهم كلاً من آيات الله: السيد علي بهشتی، الشيخ مرتضی البروجردي، السيد رضی الشیرازی، السيد محمد مهdi خلخالی، الشيخ العبائی، الشيخ میرزا أبو الحسن الشیرازی، الشيخ مصطفی أشرفی، الشيخ محمد هادی معرفة وفي لبنان كلاً من آیة الله السيد محمد حسین فضل الله، وآیة الله الشيخ محمد مهdi شمس الدین..

وإن من حجج الإسلام كلاً من السيد رضی المرعشی، الشيخ جعفر نائینی، الشيخ هادی القرشی، الشيخ فخر الدین الزنجانی، الشيخ محمد حسن آل یاسین، الشيخ مهdi مروارید، السيد جلال فقیه إیمانی، الشيخ هادی آل راضی، الشيخ باقر الأیروانی، السيد هاشم الماہشمی، السيد عباس الکاشانی، الشيخ محمد مهdi آصفی، السيد عبد الله الغریفی، السيد محمد باقر الحکیم، السيد فاضل المیلانی، الشيخ فاضل

السهلاني، السيد مرتضى الكشميري، وفي لبنان كلاً من الشيخ عبد الحسين صادق، والشيخ مفید الفقيه.^(١)

وبصرف النظر عن مدى جدية هذا التأييد ومصداقيته أو المبالغة فيه، فإن ثمة حقيقة باتت واضحة للعيان، هي أن المرجعية العليا، وإن شئت فقل إن الزعامة الدينية، لا السياسية، في العراق وخارجها، والمواكبة لمثيلاتها من الزعامات الدينية، أو الدينية السياسية الأخرى، والتي لا يلغي بعضها بعضاً في حال من الأحوال، ومن أبرزها اليوم المتمثلة بآية الله السيد خامنئي في إيران، ألقت بمقاليدها بين يدي هذا الزاهد القابع في بيت متواضع جداً من بيوت النجف الأشرف قد لا تتعذر مساحته بضع العشرات من الأمتار المربعة، لتبدأ معه، أو قل ليبدأ هو معها رحلة الإضطلاع بحمل هموم المرجعية، وما أمدتها من هموم قد لا يقوى عليها سوى القلة ممن يجود بهم الزمان... والسؤال المطروح باللحاج هو لماذا السيستاني ومن هو؟ وما المؤهلات التي جعلت منه زعيماً للحوزة الدينية؟ وما هي أهم الأعباء أو المسؤوليات التي يضطلع بها حالياً مترجمةً مشاريع ومنجزاتِ مؤسسات...

سيرة حياته

في مشهد

إنه السيد علي بن محمد باقر بن علي الحسيني النجفي، نسبة إلى إقامته الدائمة بالنجف، السيستاني، نسبة إلى سistan، إحدى مقاطعات جنوب شرق إيران....

١. القزويني، جودت، المرجعية العليا عند الشيعة الإمامية، ص ٣٥٠، ط١، دار الرافدين، بيروت، انظر القائمة بكمالها (حوالي ٦٠ آية لله، وحجة) في الوسط، عدد ٩٩، ص ١٢.

في التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٩هـ، توافقها سنة ١٩٣٠م، وفي المدينة التي احتضنت ثامن أئمة أهل البيت، عليهم السلام، عنيت مشهد، ولد ونشأ وتربى على الحسيني السيستاني، وفي مدارسها على أيدي نخبة من رجال العلم، تلقى بعض مقدمات العلوم الدينية والفقهية واللغوية والأدبية والفلسفية، وإن من هؤلاء الأساتذة كلاً من السيد والده محمد باقر، والشيخ هاشم مهدي الأصفهاني، ومحبتي القزويني، والآيسي، درس عليهم الفلسفة والحكمة، والنیشابوری، درس عليه الأدب، والمیرزا مهدي الاشتینی، درس عليه بعض بحوث الخارج.^(١)

في قُم

سنة ١٣٦٨هـ، تاقت نفس السيد علي، وهو في مشهد إلى بلوغ أعلى درجات العلم، فشدَّ الرحال إلى مدينة قُم القريبة من طهران حيث مرقد المعصومة، وفيها أكبر حوزة دينية بعد حوزة النجف، فحصل في سنواتٍ لا تتجاوز الثلاث على المزيد من العلوم الفقهية تحت رعاية كلَّ من السيد حسين الطباطبائي البروجردي، والسيد الحجة الكوهكمري،^(٢) لكن الحنين إلى النجف، ومن ذا الذي لا يحنَّ إلى النجف، ظلَّ هاجسه الماثل، وشغلَه الشاغل...

في النجف

سنة ١٣٧١هـ، هبط السيد على رحاب أعرق حوزة دينية في العالم الإسلامي، عنيت النجف، متخدًا من مدرسة البحتراني سكناً له، ملازماً لحضور بحوث الخارج، لكتاب المراجع أمثال السيد محمود الشاهرودي،

١. الصغير، محمد حسين، أساطير المرجعية العليا، ص٣١-٣٤٣، ط١، مؤسسة البلاع، بيروت ٢٠٠٣م

٢. المصدر نفسه، ص٣٤٣

والسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ حسين الحلي، وعلى يدي هذين الآخرين نال السيد درجة الإجتهداد المطلق، جاعلاً من النجف المدينة التي أعطاها كل شيء، فأعطته كل شيء، مقاماً لم يغادره إلا نادراً إما لضرورة، وإما لأداء فريضة الحج أو زيارة المشاهد المقدسة، أو ليس هذا ما فعله سلفه السيد الخوئي الذي كان وصل إلى النجف وهو طفل صغير، قادماً من خواص في أذربيجان الإيرانية، وما غادرها إلا مرة للحج، وأخرى لزيارة الأماكن المقدسة في قم ومشهد والعراق، وثالثة للعلاج في الخارج؟

لما تمكن السيد السيستاني من العلوم الفقهية والأصولية، ومن علم الرواية والدرایة، وعلمي الحديث والرجال جرماً أو تعديلاً تفرغ لإعطاء بحوث الخارج كأستاذ لا ينazuء في هذه العلوم، معولاً في بحوث الفقه خاصة على العروة الوثقى للسيد الطباطبائي، ومكاسب الشيخ الأنصاري، فكان له في هذا المجال مؤلفات وأبحاث عدّة أهمها في الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس، والطهارة، والقضاء، والربا، والإعتكاف، وسواها من بحوث الفقه وقواعده. ومتفرعاته.. وأماماً في الأصول التي كان بدأ بتدريسها سنة ١٣٨٤هـ. فحسبك أنه حاضر فيها حوالي عقود من السنين، في ثلاثة دورات كان آخرها سنة ١٤١١هـ... وأماماً في علمي الرواية والدرایة، وعلمي الرجال والحديث، فحسبك دلالة على تفوقه في هذه العلوم مؤلفاته الثلاثة التالية: "رسالة في تدوين الحديث في الإسلام"، "مسالك القدماء في حجية الأخبار"، "نقد رسالة تصحيح الأسانيد للأردبيلي"^(١)، هذا، وإن للسيد أطال الله عمره، كأستاذ في

١. أساطير المرجعية العليا، ص ٣٤١-٣٤٦.

بحوث الخارج، ميزة في سبر غور المسألة الفقهية أو الأصولية، وهي استخراج الأدلة والبراهين واستنباط الحكم الشرعي القائم على السعة في المقابلة، ومخالفة الآخرين أحياناً في فهم الدليل، وفي الشرح والتفسير والتعليق، ميزة لطالما كانت موضع إعجاب، يدل على ذلك شروحه على مشيخة التهذيب، وشرحه على مشيخة الفقيه، وتعليقته على العروة الوثقى، وغير ذلك من تعليقات وشرحه تتم جميعها عن عمق فهم، سعة أفقٍ وقوة فراسٍ في استنباط الحكم الشرعي، وإقامة الحجة عليه بالبرهان والدليل.

مناقبه، أعماله

على الصعيد الاجتماعي والثقافي

ما شدّني إلى أحد وجوه غلاف المجلة الذي كنت حدثتك عنه يوم أن نظرت وصاحبِي لأول مرة إليه، ومن قبل التعرف عليه، عنيت وجه سيدنا السيسistani، وهذا ليس من باب الفراسة الذي هو الإستدلال بالأمور الجسمانية على الأمور النفسانية الخفية، والذي هو أحد أقسام الحكمة الفرعية الطبية كما عند ابن سينا والغرض فيه الاستدلال منخلق على الأخلاق، وهذا علم سد أدعيه لنفسي، وما أدعيته من قبل... ما شدّني إلى هذا الوجه هو تلك المسحة من الجلال، ولا أقول الجمال، وذلك الشحوب المفصح عن جهدٍ في المطالعة، وكذا في الدراسة، وعن قلقٍ بالٍ، وسهرٍ ليال... أما العينان، ويا لتلكما العينين المجتهدتين الذكيتين الكاسفتين البصر، ما كان أفصحهما تعبيراً عن عزوف صاحبها عن دنيا غرورٍ متاعها قليلٍ، وعناؤها طويلٌ، تُقلبُ في أهلها من حال إلى حال...

ونستمع للأخبار، أخبار المذيع أو التلفاز، ننصت لها ولتصريحات كبار المسؤولين الذين قابلوا هذا القابع في بيته، فعثباً بل مع شخصه بين

الشخصوص، وهيهات وأئى لعدسة التصوير أن تتمكن من أن تُظهر صورته في التصاویر.

وتحدثنا الركبان عنه قادمةً للتوّ من زيارة النجف، فتزور بكل نفسٍ من المناقب، وغالٍ من الشمائـل... عن بحر علم السيد الزاـخر وذكائـه النادر، وحديـثه الآـسر، تحدثـنا الركـبان... عن التواضع والورع والزهد، زهـده فيـ الدنيا المـتمـثل بـترك حـلالـها مـخـافـة حـسابـهـ، وـحرـامـها مـخـافـة عـقـابـهـ، وـبـترك حـظـوظـ النـفـسـ من جـمـيعـ ماـ فيـ الدـنـيـاـ، وـعـدـمـ الفـرـحـ بشـيءـ منـهــ، أوـ الحـزـنـ علىـ فقدـهـ، وـبـالـإـكـتفـاءـ بـالـأـخـذـ بماـ يـعـينـهـ علىـ طـاعـةـ رـبـهـ، معـ دـوـامـ الذـكـرـ وـالـمـراـقـبـةـ وـالـتـفـكـرـ فيـ الـآـخـرـةـ، تـحدـثـنا الرـكـبانـ... عنـ السـبـعينـ متـراـ مـرـبـعاـ، لاـ غـيرـ هـيـ مـسـاحـةـ المـنـزـلـ الـذـيـ يـقـيمـ فـيـ السـيـدـ، فـيـ زـاقـقـ منـ أـزـقةـ النـجـفـ، كـمـسـتأـجـرـ لـهـ، غـيرـ عـابـيـ بـبـرـيقـ الشـهـرـةـ أوـ الإـعـلامـ، مـحـتـذـياـ حـذـوـ جـهـ رـبـانـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ الـقـائـلـ إـنـ شـرـ الرـجـالـ مـنـ تـحـقـقـ وـرـاءـ النـعـالـ، تـحدـثـنا الرـكـبانـ....

وتسـأـلـنيـ بـعـدـ، لـمـاـ وـقـعـ بـصـرـيـ عـلـىـ صـورـةـ وجـهـهـ لـأـولـ مـرـةـ فيـ غـلـافـ المـجـلـةـ، لـمـاـ مـالـتـ النـفـسـ إـلـيـهـ، وـمـاـ وـقـعـ الـاختـيـارـ إـلـاـ عـلـيـهـ!..

• مـهـلاـ، يـاهـذاـ، وـلـاـ يـأـخـذـكـ بـيـ وـبـالـرـجـلـ الـظـنـ، فـتـوـهـمـنـ أـنـ هـذـاـ القـابـعـ فيـ الـبـيـتـ، حـبـيسـ السـبـعينـ منـ الـأـمـتـارـ الـمـرـبـعةـ، هوـ بـعـيـدـ عنـ هـمـومـ النـاسـ وـالمـجـتمـعـ.. لـاـ، مـاـ هـذـاـ ظـنـيـ بـكـ، وـإـنـيـ لـأـعـيـدـكـ مـنـ السـرـفـ وـشـطـطـ الـقـولـ، وـهـلـ المـراكـزـ وـالـمـؤـسـسـاتـ وـالـمـجـمـعـاتـ الـتـيـ يـرـعـاهـاـ السـيـسـتـانـيـ، إـمـاـ مـبـاشـرـةـ، إـمـاـ بـوـاسـطـةـ وـكـلـائـهـ، تـلـكـ الـتـيـ كـانـ عـلـىـ تـأـسـيـسـهـاـ، وـإـنـشـائـهـاـ، وـهـيـ تـعـودـ بـالـفـائـدـةـ عـلـىـ مـخـلـفـ طـبـقـاتـ

المجتمع على الصعيد الاجتماعي والدعائي والخيري والديني والثقافي، والغاية منها مدّ العون للمحتاجين، وإعلاء كلمة الله، ونشر الدعوة الإسلامية ممثلة بنشر العلوم الدينية والفقهية، علوم أهل البيت، عليهم السلام، خاصةً، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بنشر العلوم الأدبية والفلسفية والكلامية، عن طريق استخدام أحدث وسائل الاتصال ونقل المعلومات... إنها كثيرة في الشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

على الصعيد السياسي،

هذا، على الصعيد الاجتماعي والثقافي والديني، أما على الصعيد السياسي وما أظنك غافلاً عمّا بينته لك من قبل، لجهة عدم اعتقاد السيستاني بالجمع بين المرجعية الدينية والقيادة السياسية، كما هو الحال في إيران، ولا يعني هذا أبداً معاداة السيستاني للنظام الإسلامي السياسي القائم في إيران، معاذ الله، كما لا يعني أبداً وهو المتقدم في السلم التقليدي المرجعي عن طريق الفتوى والتدريس والتعمر في الفقه والأصول، على خطى سلفه الخوئي، لا يعني هذا أن السيستاني لم يهتم بالجانب السياسي، كيف والمرجعية الشيعية طوعاً أو كرهاً، ومنذ القدم، اعتادت أن تعيش تعقيدات الوضع السياسي، فتتأثر بها، وتؤثر فيها، كان هذا أيام البوبيهيين، ثم أيام الصفويين والعثمانيين، ثم أيام القاجاريين لما أصدر الميرزا محمد حسن الشيرازي (ت ١٢١٢هـ) فتواه المشهورة بتحريم التباك، استنكاراً لسياسة الشاه ناصر الدين المتحالف مع الإنكليز وكان هذا في النجف لما تضامنت جهود العلماء، فصدرت الفتوى عن بعض كبار

المراجع في وجوب مواجهة المحتل البريطاني، سنة ١٩٢٠ م فيما عُرف بثورة العشرين...

ومع قيام الحرب العراقية-الإيرانية سنة ١٩٨٠ م، رأت المرجعية الدينية الشيعية في النجف، نفسها في أتون صراع بين فريقين، فريق يمثل قطاعاً واسعاً من الناس المؤيدن للثورة الإسلامية في إيران، وفريق ينأى بنفسه عن الرزق في تأييده للثورة خوفاً من بطش طاغوت بغداد الذي لم يتورع عن الإقدام على إعدام رجل الدين البارز المناهض للحكم، السيد محمد باقر الصدر، ثم إعدام ثلاثة من خيرة رجال الدين من آل الحكيم، الأمر الذي ألقى بظله الثقيل على المرجعية الدينية في النجف، ما اضطرّها إلى ممارسة دور سياسي يتمثل بالحذر الشديد، مستخدمة التقية وضبط النفس.

إلى حد بعيد، ومع انتهاء حرب الخليج الثانية، وقيام الإنقاضة الشعبانية الشيعية المباركة في جنوب العراق، التي جعلت من السيد الخوئي رمزاً لها، يدلّ على ذلك إقدام النظام الحاكم لما تمكّن من قمع الإنقاضة على اعتقال الخوئي، ووضعه في شبه إقامة جبرية، فضلاً عن زجّ النظام بالعديد من معاوني المرجعية في السجون، وإثر تجاوز الخلاف المتمثّل بالتناقض في خلافة السيد الخوئي المنتقل إلى جوار ربه صيف ١٩٩٢ م، ليخلفه في إيران كل من السيد الكبايكاني فالسيد الأراكي، وفي العراق كل من السيد عبد الأعلى السبزواري، فالسيد على السيستاني الذي حصل على تأييد واسع من علماء الشيعة، باعتباره الأوفر حظاً في هذا المنصب، ومع خلوّ الجوّ له، برزت إلى السطح هموم المرجعية التي من أهمّ همومها الجانب السياسي...

الغزو الأميركي

إثر قمع نظام بغداد الحاكم للإنتفاضة الشيعية في جنوب العراق، قمعاً وحشياً قلَّ نظيره، استخدم السيستاني الذي أضحي المرجع الذي لا ينافس، وله أتباع ومقلدون كثُر خارج العراق، استخدم التقية التي استخدمها من قبل سلفه الخوئي، مغلباً الدين على السياسي، غير غافلٍ البينة عن التدبر في الخارج بقوى الاستكبار العالمي، وعن تأييده للحركات المناهضة للصهيونية وللإستعمار في كل من أفغانستان وفلسطين ولبنان ظلَّ الحال على هذا المنوال عقداً من السنين أعقبه الغزو الأميركي والقوى المتحالفة معه، للعراق سنة ٢٠٠٣م، لتجد المرجعية الشيعية ممثلاً بالسيد السيستاني، نفسها من جديد بين نارين، نار الدفاع عن أعتى نظام قمعي حاكم متخصص في قتل الأحرار من العراقيين، وتشريدهم من بيوتهم، وبزجهم في حرب ظالمة ضد أخوتهم في الدين بإيران، وبإعدام المئات من خيرة العلماء الأبرار، ونار الاحتلال الأجنبي الذي حمل لل العراقيين، الشيعة خاصة، طبعاً تحت شعار حيازة نظام بغداد لأسلحة الدمار الشامل، وشعار الإدعاء بحماية الشيعة والأقليات الدينية العراقية، حمل إليهم بشرى الخلاص، وما كان هذا إلا ذريعة تُخفي أطماعه في نهب ثروات العراق، ووضع يده على منابع النفط الذي هو شريان الحياة، وعصب الاقتصاد الذي تحركه أيدي عملاقة الشركات العابرة للقارات....

إذاء هذا الوضع المتفاقم والبالغ الحساسية الناجم عن الاحتلال وما أعقبه من فوضى وقتل وتشريد، ارتوى السيد السيستاني الخلود إلى السكينة والإهتمام بشؤون المرجعية على الصعيد الديني والعمل المؤسساتي والتبلغي، ومساعدة المحتجين والمضررين والمشردين، مترقباً

انقسام غيوم المحن، غير متورّع عن التهديد باحتلال العراق، وعن استنكاره للتفجيرات وللجرائم التي راحت ترتكبها القوى التكفيرية مدعومة من بعض فلول قوى النظام البائد، بحق المواطنين المسلمين، محذراً عملاً بالآية الكريمة (ولا تزر وازرة وزرً آخر) مقلديه وغير مقلديه من العراقيين، من الإنقاص أو الرد على المجازر والتفجيرات بالمثل، الأمر الذي ساعد على وأد الفتنة والحد من استعار نار الإقتال الطائفي والمذهبي، في غضون ذلك، ومن باب حرص السيد على أن يكون العراق كلُّ العراق، لجميع مواطنيه على اختلاف مشاربهم وأطيافهم وإنتماءاتهم الدينية والمذهبية، وإنطلاقاً من مفهومه المتمثل بفصل السياسة في الحكم عن الدين، شريطة أن لا يتافق السياسي مع الدين، بمعنى أن لا يخالف التشريع الوضعي مباديء الشرع الأساسية، والقيم الخلقية، فإنَّ السيستاني كان أول الداعين إلى وضع دستور عصريٍّ للعراق، وإلى تأليف حكومة عراقية وطنية غير دينية، منبثقَة عن مجلس تشريعي منتخب من الشعب، وتمثل به جميع الشرائح والطوائف والأطياف، وفاقاً لقاعدة النسبية، عراق واحد حرٌّ مستقلٌ يلم شمل جميع مواطنيه، الأمر الذي تسبب، تحت شعار ادعاء مناواة الإحتلال، بنكمة المخالفين له، سواء من قبل الجماعات التكفيرية، أم من قبل الفئات التي كانت مستفيدة من النظام البائد، أو من تلك الجماعات المتشددة التي تندعو إلى إقامة حكومة إسلامية في العراق على غرار حكومة الجمهورية الإسلامية في إيران، غير مدركين الفارق ما بين البلدين، إذ أن جُلَّ مواطنيها من الشيعة الإمامية، وإن لجهة الظروف والأسباب التي تحول دون قيام ثورة مماثلة لها في العراق، وليس أقلَّها تعدد طوائف العراق، وتباطئ شرائح نسيجه الاجتماعي في اللغة والجنس والعرق والدين والمذهب... من هنا، وعلى غرار أساطين العلماء من أسلافه الذين ينتمون إلى مدرسة أهل البيت، والذين ما عُرِفُوا إلَّا بالعقل

الراجح، والنظر الثاقب، وبساد الرأي المتمثل بوضع الأمور في مواضعها تبعاً لقلب الأزمان، وتبدل الأحوال، وبانتظار قيام دولة الحق الموعود بها في آخر الزمان، كما في اعتقاد المسلمين عامةً، والشيعة خاصةً، ولا يعني ذلك أبداً، السكوت عن الظالم، أو عدم مقارعة الباطل، أو تعطيل مقوله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مقوله تدخل في صلب فروع الدين... فإن السيد السيستاني، وهو الذي ألقى المرجعية الدينية إليه بثقل مسؤوليتها وهمومها، فكان موضع ثقة واحترام الجميع، ما انفك، وبحسب تكليفه الشرعي يعمل ويعمل... بصمتٍ يعمل... بعيداً عن الأضواء وعدسات المصورين يعمل... على كلّ صعيد يعمل، مراكز ومؤسسات ومشاريع وجمعيات، إعلاً لكلمة الله، ووفاءً لمباديء الدين الحنيف، ولمدرسة آل البيت التي ينتسب إليها يعمل.. وما مجمع الإمام الصادق (ع) الثقافي، في بيروت، وهو أحد منجزات جمعية آل البيت، برعاية السيد السيستاني، والذي يصادف الإحتفال بتدشينه الخميس الواقع في الثلاثاء من شهر تشرين الأول، سنة ٢٠٠٨م، وهو اليوم الذي كنت فراغت للتو من تحرير مقالتي هذه، كما أفرغ إلى شرف المشاركة في الإحتفال، إلا شاهد على ما أقول. اضافة الى مؤسسات في معظم البلاد الإسلامية والأوروبية والأمريكية بما تعود للإسلام والمسلمين بفائدة كبيرة وكثيرة.

وختاماً، إنْ من كلامِ أقولها إلاَ تلك التي قالها لي أحد من قابلتهم مصادفةً في النجف الأشرف، الأسبوع الفائت، إذ تقدمت على إستحياء منه وحدر، متوسماً فيه النجابة والطلقة، والفضل وصدق القول، قلت له: كيف العراق؟ قال: بخير. قلت: أفصح. قال: ما دام في العراق رجل اسمه السيد علي السيستاني، فالعراق بآلف خير... أليس هو الذي أطفأ النائرة، ووأد الفتنة، هادياً بالحق، حاكماً بالعدل، ملتزماً السيرة الحميدة،

والطريقة المستقيمة، داعياً إلى وحدة الكلمة التي هي كلمة العراق، كل
العراق^(١)

• الدكتور يحيى شامي

بيروت - لبنان

١. بعد أن قدم الدكتور يحيى الشامي بحثه هذا سافر إلى النجف الأشرف لزيارة العتبات المقدسة عاد وأرسل لنا هذه السطور الأخيرة.

سماحة السيد السيستاني والتغيير في العراق

• عبد الحليم الرهيمي

باحث واعلامي مستقل

بغداد - جمهورية العراق

تبوء المرجع الديني الكبير سماحة السيد علي السيستاني موقع المرجعية العليا لل المسلمين الشيعة في العراق (والعالم الإسلامي) قبل سنوات قليلة من سقوط نظام صدام وكان السيد السيستاني وكما هو الحال معظم كبار مراجع المسلمين الشيعة معروفاً بالنأي عن التدخل في تفاصيل الأمور السياسية او التعبير عن مواقف وآراء سياسية عامة طوال سنوات الحكم الدكتاتوري) لأسباب عدة أولها وأهمها الرغبة في عدم الإخلال بتقليد دأبت عليه المرجعية والحوza العلمية في النجف لعقود طويلة وهو عدم التدخل في الشأن السياسي أمّا السبب الآخر المباشر فهو عزوف كبار المراجع وفي مقدمتهم السيد السيستاني من التعبير عن مواقف وآراء أو توجيهات سياسية بسبب شراسة قمع واضطهاد نظام صدام لعامة أبناء الشعب العراقي وكذلك قمع واضطهاد المراجع والحو زات العلمية الدينية وخاصة مرجعية السيد السيستاني وقد أشار الى ذلك بوضوح السيد محمد رضا نجل سماحة السيد السيستاني عند إجابته على سؤال وجهته اليه إحدى المجلات بعد سقوط نظام صدام حول ما إذا كان السيد السيستاني كان يمارس مهامه كمرجع للطائفة إبان الحكم الظالم السابق وكيف كان يجب على استفتاءات المقلدين الحساسة وذات الطابع السياسي وكان الجواب على ذلك هو (ان الوضع آنذاك كان حرجاً جداً بالنسبة

لسماحة السيد المرجع وقد بقي سنوات طويلة رهين داره يمارس مسؤولياته في أضيق الحدود تجنباً عن أي ذريعة لأجهزة ذلك النظام في الواقع (في الحوزة العلمية وطلابها) ان الإشارة الى ذلك انما بهدف التعرف على مدى صعوبة اداء وتأثير السيد السيستاني في الأوضاع السياسية آنذاك فأن زوال تلك الظروف والمانع بسقوط نظام صدام بدء عملية التحول الديمقراطي وإطلاق الحريات العامة سيمكننا من تقييم ومعرفة الدور المهم والمؤثر للسيد السيستاني في مسار الأحداث السياسية العاصفة وتطوراتها في العراق منذ ٩ نيسان ٢٠٠٣ وذلك من خلال الأراء والتوجيهات التي كان السيد السيستاني يعبر عنها والتي كانت تصدر عن طريق مكتبه او نجله السيد محمد رضا او عن الوكالء المعتمدين حقاً لدى سماحة السيد السيستاني لذلك بدأنا نشهد منذ ذلك التاريخ تمكّن السيد السيستاني من اداء مهمته بحرية وبدون ضغوط في اتخاذ المواقف والتعبير عن الآراء واسداء النصائح حول الكثير من القضايا والتطورات السياسية الكبيرة بل وحتى التفصيلية التي تهم أكثرية الشعب العراقي وتعلق بحياتهم وشؤونهم اليومية لقد عبر السيد السيستاني عن الكثير من المواقف والأراء حول مسار العملية السياسية وابدى النصح والأرشاد لمن يزوره أو يسألة حول الكثير من القضايا وذلك فضلاً عن اللوم أو النقد الذين كان يوجهما مكتبه أو من المعتمدين الرسميين لسماحته في عدد من المحافظات ومن الأمثلة للكثير من المظاهر السلبية في الحكم وفي مسار العملية السياسية ومن الأمثلة على ذلك والتي أصبحت، هي دعوة سماحته لكتابة دستور للعراق و بعد شهور من الأطاحة بصدام ومن ثم التعبير عن آرائه حول المضامين الرئيسية التي يتوجب ان يحتويها إضافة الى تحريم وتوجيهه اللوم والنقد للفساد المالي والأداري المستشرى في مفاصل الدولة وكذلك المطالبة المستمرة للحكومة الاتحادية ومجالس المحافظات لتقديم

الخدمات الضرورية للمواطنين الذين يشكون من سوئها وانعدامها وهذا فضلاً عن تأييده وعدم ممانعة لمشاركة المرأة في العملية السياسية وتسليمها للمناصب العليا وكذلك رفضه لتعليق صوره وتحريمه المطلق لعمليات السلب والنهب والاعتداء على ملكيات الغير ومؤسسات الدولة وكذلك تحريمه لدخول الأراضي العراقية من أية جهة كانت من غير المنافذ الرسمية وإذا كانت هذه القضايا لهم عامة الناس وتتعلق بمعيشتهم وحياتهم اليومية فقد عبر السيد السيستاني عن آرائه وموافقه تجاه العديد من القضايا السياسية الكبيرة والتي كان يدور حولها وما يزال جدل كبير سواء بين صفوف المواطنين العاديين أو بين النخب والقيادات السياسية الرسمية ومن هذه القضايا كانت هناك ثلاثة قضايا مهمة هي:

أولاً: الموقف من دخول قوات التحالف الدولي إلى العراق (آذار -

نيسان ٢٠٠٣).

إتسم موقف المرجع الأعلى السيد السيستاني من دخول قوات التحالف الدولي إلى العراق وبدء الحرب في ١٩ آذار وإسقاط التمثال(الضخم) للطاغية في ساحة الفردوس ببغداد بقدر كبير من الحذر والترقب قبل أن يتخذ الموقف الذي يراه مناسباً وإذا ما عرفنا ان هناك تباين كبير في الآراء والمواقف بين العراقيين حول ذلك أدركنا صعوبة ان يتخد المرجع الأعلى الذي يقدم كمرجع للمسلمين بل للكل العراقيين موقفاً يبدو فيه وكأنه يميل إلى موقف جهة دون أخرى سيما وان هناك من كان يدعوه لوقف ثالث بين الموقفين ولأن تطورات ومسارات الحرب والتدخل العسكري لقوات التحالف لم تكن بالشكل الواضح الذي يساعد المرجعية في اتخاذ الموقف الذي تراه مناسباً فقد كان التزام السيد السيستاني بموقف الترقب والحذر هو الموقف الذي كان يراه مناسباً في

تلك اللحظات التاريخية الحاسمة حسب رأي الكثير من القوى والاحزاب السياسية ورأي الكثير المتبعين للمشهد السياسي آنذاك. فلو اختار السيد السيستاني موقف معارضة التدخل العسكري لقوات التحالف الذي كان هدفه المعلن هو إطاحة نظام صدام الدكتاتوري لكان قد بدا هذا الموقف في نظر البعض انه معارض لاطاحة نظام صدام بل ويتوافق مع شعارات ومواقف هذا النظام الداعي لمقاومة هذا التدخل بقوة السلاح أما لو اختار السيد السيستاني موقفاً علنياً قبل ان تتضح الصورة الحقيقية لمسار الأحداث يدعو لأطاحة نظام صدام وتأييد قوات التحالف في هدفها المعلن بإسقاط ذلك النظام فقد كان لمثل هذا الموقف نتائجه وآثاره الخطيرة على المرجعية والحوza العلمية عموماً فيما لو لم تتحقق الإطاحة بنظام صدام كما حصل عام ١٩٩١ أو بعد هزيمتها بسبب قوة وشراسة قمع النظام لها. غير ان الإطاحة بنظام صدام عبر الإسقاط الرمزي للتمثال (الضخم) ظهر يوم ٩ نيسان ٢٠٠٣ في ساحة الفردوس ببغداد التي مثلت منعطافاً حاسماً في تاريخ العراق والشعب العراقي قد مثلت في الوقت نفسه حدثاً حاسماً بالنسبة للمرجعية العليا والحوza العلمية في النجف الأشرف حيث توضحت أمامها صورة المشهد السياسي وتحولاته بما يمكنها من اتخاذ الموقف الذي تراه مناسباً إزاء تلك التطورات في الوضع.

إن هذا الحدث التاريخي الكبير، الذي وصفه البعض بالزلزال الذي هز العراق والمنطقة، قد أشار الى وفاء قوات التحالف ودولها بالهدف المعلن لتدخلها في العراق وهو الإطاحة بنظام صدام، مثلاً ما أشار في الوقت نفسه، الى هدف كبير كانت تتطلع اليه الغالبية العظمى من الشعب العراقي بمختلف مكوناته الاجتماعية وتوجهاته السياسية، مما ولد قناعة لدى هذه الغالبية بان، قوات التحالف ليست عدوة للعراق وللشعب العراقي

انما هي ودولها، يمكن ان تكون حلية وصديقة للعراق، وبالتالي يمكن، التفاهم وال الحوار معها لترتيب الاوضاع السياسية عموماً وترتيب العلاقة معها حول طبيعة ومدة بقائتها في العراق. غير ان المرجعية العليا التي بدأت تتوضّح امامها صورة المشهد السياسي والأمني في العراق بعد الإطاحة بحكم صدام فضلت كما بدا الأمر آنذاك عدم التسرّع في اتخاذ الموقف الذي تراه مناسباً وان اللحظة المناسبة لذلك لم تحن بعد.

كان الموقف الاكثر وضوحاً هو اجابة السيد السيستاني على سؤال صحيفية (لوس انجلوس تايمز) بعد نحو ثلاثة أسابيع من ٩ نيسان واعلان الرئيس الأمريكي بوش بوقف العمليات العسكرية في الأول من أيار من العام ذاته. كان السؤال الذي وجهته الصحيفة للسيد السيستاني هو: (في الفترة الأخيرة ومن خلال خطب الجمعة هناك دعوات لمقاومة الاحتلال الأمريكي بصورة مباشرة ودعوات أخرى تدعو الى الحوار والإشتراك معهم لبناء العراق وترى ان هذا الطريق الأحسن، فمن من الفريقين تدعم سماحتكم؟) وكان جواب السيد المرجع الذي نشره مكتبه في النجف هو (ان المرجعية الدينية تدعو الى اتباع الأساليب السلمية باتجاه الإسراع في اعادة السيادة الى العراقيين وتمكينهم من حكم بلد�هم من دون أي تدخل أجنبي) ان هذا الموقف للمرجعية العليا الذي وصفه، أو فسره البعض، بالغموض والعمومية كان، في الواقع، ربما، هو الموقف الأنسب في ظروف وتقالييد المرجعية والحوظة العلمية والثقافة السائدة فضلاً عن تعدد الآراء والتجاذبات السياسية في الرأي العام الإسلامي الشيعي والعربي، الأمر الذي يبدد حالة الحرج التي قد تواجه المرجعية من البعض ان الدعوة لمقاومة قوات التحالف بالسلاح كانت تعني، في نظر الكثرين، ليس فقط الدخول في نفق الدمار والموت

وعدم التكافؤ في القوى العسكرية، إنما أيضاً لاتوجد مبررات قوية ومقنعة لدى قسم عريض من الرأي العام والذئب التي قد ترى في مثل تلك الدعوة موقفاً عدانياً وانتحارياً كذلك فإن الدعوة أو الإفقاء بتأييد دخول قوات التحالف إلى العراق هي دعوة كان بالإمكان تبريرها والدفاع عنها كون هدفها المعلن إطاحة نظام صدام، لكن ذلك كان سيعرض المرجعية لاحتمالات حملة من النقد الذي يسيء لوقعها من قبل قسم من العامة، لم يكن مفهوماً لديها مثل هذه الدعوة أو من مجموعات سياسية مناوئة وذلك دون أن يكون هناك متسع من الوقت لشرح وتوضيح تلك الدعوة ومبرراتها الشرعية والسياسية.

هكذا وفي ضوء هذه التعقيدات والمحاذير والحساسية والتجاذبات السياسية، ورداً على المواقف الداعية لمقاومة قوات التحالف الدولي باستخدام السلاح اتخذ المرجع الاعلى السيد السيستاني هذا الموقف وهو الدعوة إلى اتباع الأساليب السلمية للإسراع في إعادة السيادة إلى العراق، بما يعنيه ذلك من رفض وتحريم استخدام السلاح والعنف لاشك ان تفسير هذه الدعوة - الفتوى بأنها "دفع المفسدة" التي كان يمثلها نظام صدام، دون تحقيق مصلحة لم تكن قد تبيّنت بعد لدى المرجعية العليا التي كانت ترى، كما نعتقد، ان التحرير على المقاومة المسلحة هي توريط للمجتمع العراقي بمواجهات عنفية مدمرة وغير مبررة على الأقل.

لقد أصبح هذا الموقف - الدعوة أحد الثوابت التي استندت إليها المرجعية في المراحل التالية من تطور العملية السياسية ومساراتها المتعرجة فهذا الثابت إذاً يسحب أعذار ومبررات "المتشددين" الداعين للعنف والمقاومة المسلحة، فهو يسحب الأعذار من جهة أخرى، من الذين يبالغون في التقرب والتعاون مع قوات التحالف دون التمسك بهدف الإسراع في تحقيق

السيادة للعراق. لقد كانت قراءة قوات التحالف ودولها، وخاصة الولايات المتحدة، لهذا الموقف قراءة إيجابية ووجدوا فيه، ليس فقط تسهيلاً لهمتهم في العراق، لما للمرجعية العليا في النجف الأشرف من وزن وتأثير في مسار الأحداث في العراق، إنما وجدوا في هذا الموقف أيضاً حرصاً كبيراً على مصلحة العراق وال العراقيين، فضلاً عن أهمية هذا الموقف في حقن دماء العراقيين والأمريكيين في آن معاً، والتي كان يتوقع ان تسيل بغزاره أكبر مما حصل خلال السنوات الخمس الماضية بسب اختيار البعض للمواجهة المسلحة غير المبررة.

ثانياً: الموقف من كتابة الدستور ومن مسار العملية السياسية

لقد أظهر الإنسجام والتكمال بين الدعوة للإسراع بكتابنة دستور جديد للعراق بأياد عراقية، مع موقف الدعوة للإسراع في تحقيق السيادة، الترابط في حلقات مسار العملية السياسية. وبعد تجاوز المرحلة من التغيير ومسار العملية السياسية التي استندت إلى ثابت اتباع الأساليب السلمية والإسراع في إعادة السيادة إلى العراق، وجهت المرجعية العليا إهتمامها في ضوء ذلك، نحو آليات بناء الدولة الجديدة وإنجاح العملية السياسية. ومن هنا كان إهتمام المرجع الأعلى بشكل لافت في الدعوة المتواصلة لكتابة دستور جديد للعراق ينظم حياة العراقيين ويشكل عقداً بينهم. فعلى أساس هذا الدستور يجري التداول السلمي للسلطة وتجري الانتخابات العامة لتمكن العراقيين من اختيارهم لإدارة العراق وحكمه دون تسلط واستبداد داخلي، ودون أي تدخل أجنبي. ومن خلال المسار الذي اتخذته العملية السياسية منذ تأسيس مجلس الحكم، وكذلك ومن خلال الدعوات لكتابة الدستور وإجراء الانتخابات لمجالس المحافظات والانتخابات العامة، حيث تحقق كل ذلك في ظل توفر الحريات العامة،

بدأ يتبلور في سياق مسار العملية السياسية الحضور الواسع والكبير للقوى والأحزاب والتيارات الدينية الشيعية والسننية، حيث ولد ذلك لدى دول الجوار ودول الإقليم، فضلاً عن دول العالم الرئيسية، مخاوف وتوجسات (وهنية أو حقيقة) من هذا المسار للعملية السياسية، الترويج الإعلامي بدوره، لاحتمالات إقامة نظام حكم إسلامي في العراق، وربما يأخذ من نموذج نظام حكم (ولاية الفقيه) في إيران نموذجاً له. وهنا توجهت أنظار الكثيرين من قيادات سياسية عراقية ومن وسائل الإعلام ومن دول الجوار ودول الإقليم، لطرح التساؤلات وتترقب موقف المرجعية العليا من ذلك وبعد مرور نحو شهرين على بداية التغيير بأطاحة نظام صدام وجهت، على سبيل المثال "مجلة بولندا الأسبوعية" سؤالاً صريحاً للمرجع الأعلى السيد السيستاني وهو (هل ترغبون بوجود حكومة إسلامية في بلدكم العراق وبيدها مقايد الحكم؟) وكان السيد السيستاني واضحاً في رده لطمأنة من يخشى من أقامه حكومة إسلامية، حيث كان الجواب: (نرحب فيما ترغب فيه أكثرية الشعب العراقي فليفسح لهم المجال ليختاروا). أما سؤال المجلة المذكورة (من يختاره الشعب العراقي لذلك) ومن خلال هاتين الإجابتين يمكن القول أن المرجع الأعلى، الذي أدرك دون شك، هدف أسئلة المجلة قد استبعد نهائياً قيام حكم إسلامي على غرار "ولاية الفقيه" كذلك حينما وجهت مجلة "المكتبة" اللبنانية سؤالاً للمرجع الأعلى وهو (كيف ترى المرجعية المباركة شكل نظام الحكم المقبل؟) كان الجواب هو (ان ذلك متترك لإرادة الشعب العراقي) وعندما وجهت صحيفة "دير شبيغل" الألمانية الواسعة الإنتشار سؤالاً جاء فيه (هناك من يتخوفون من إقامة حكم ديني يحرم الأقليات من حقوقها) وسؤال آخر (عن الأسس التي يقوم عليها عراق المستقبل أجاب السيد السيستاني على السؤالين بالآتي:

(ان القوى السياسية والاجتماعية الرئيسية في العراق لا تدعوا الى قيام حكومة دينية، بل إلى نظام يحترم الثوابت الدينية للعراقيين ويعتمد مبدأ التعددية والعدالة والمساواة، وان المرجعية سبق لها ان أوضحت انها ليست معنية بتصدي الحوزة العلمية بممارسة العمل السياسي وانها ترتئي لعلماء الدين ان ينأوا بأنفسهم عن تسلم المناصب الحكومية اما عن أسس النظام في المستقبل، فقد كان الاجابة هي (ان الأسس التي يجب ان يقوم عليها عراق المستقبل هي مبدأ الشورى والتعددية والتداول السلمي للسلطة في جنب مبدأ العدالة والمساواة بين أبناء البلد في الحقوق والواجبات). وتسير هذه المواقف والآراء التي عبر عنها المرجع الأعلى السيد السيستاني في اجابته على أسئلة وجهت إليه الى ثبات ووضوح رؤيته لمسار العملية السياسية بعد التغيير. واستبعاده لإقامة نظام حكم إسلامي يستند إلى ولاية الفقيه وإعتقاده بأمكانية إقامة حكم وفقاً للمفاهيم السياسية الحديثة والتي عبر عنها بوضوح في إجابته على الأسئلة التي وجهت إليه.

ثالثاً: الموقف من الإتفاقية الأمنية بين العراق وأمريكا.

منذ إن تم الإعلان عن بدء مفاوضات بين ممثلي الحكومة العراقية وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية لمناقشة مسودة اتفاقية طويلة الأمد (أو إستراتيجية) بين البلدين، وتتضمن فصلاً عن إتفاقية أمنية سميت "إتفاقية سحب القوات الأمريكية من العراق وتنظيم وجودها" تعددت وتبينت الآراء حول مضمونها، وحول ضرورة عقدها أم لا. وقد إنطلق سجال، بين الكتل والأحزاب والتيارات السياسية ومؤسسات الدولة العراقية (رئاسة الجمهورية، ورئاسة الوزراء، مجلس النواب) حول هذه الإتفاقية ومدى فائدتها للعراق أو ضرره منها، وكذلك حول ما سيترتب على أقرارها، او عدم إقرارها من نتائج وإنعكاسات على الوضع في العراق.

وخلال ذلك، كان العديد من التيارات والقوى السياسية العراقية، فضلاً عن دول الجوار والإقليم، تتطلع إلى معرفة موقف المرجعية العليا في النجف الأشرف، ممثلة بالمرجع الأعلى السيد علي السيستاني، الذي نقل عنه الكثيرون ممن زاره من المسؤولين ومن قادة الكتل والأحزاب العراقية، آراء وتوجيهات كان بعضها يعبر عن رغبة الزائر أو المتسائل، وليس عما يعبر عنه حقاً السيد السيستاني.

وخلافاً لكلام بعض مانسب للمرجع الأعلى، كان الكلام الأوضح الذي ينسجم مع (ثوابت) المرجعية، هو مانقله عن السيد السيستاني رئيس الوزراء السيد نوري المالكي بعد إنتهاء لقائه بسماحته يوم ١٠ تشرين الأول الماضي. وقد ذكر المالكي لوسائل الإعلام انه بعد إن اطلع المرجع السيد السيستاني على المراحل الأخيرة التي وصلت إليها المفاوضات حول الإتفاقية مع الولايات المتحدة وأكد لسماحته إن الأميركيين قدمو تنازلات كبيرة، نقل عن المرجع الأعلى "عدم اعتراضه على ما تتفق عليه المؤسسات الدستورية والبرلمانية حول الإتفاقية" كما أكد أيضاً إن سماحة المرجع الأعلى يوكل البت في هذه المسألة إلى العراقيين، وإلى القوى السياسية وما يتلقون عليه وما يعتمدونه، وإن ما يأتي عبر سلسلة المسؤولين والمؤسسات لا يعرض عليه، لكنه لا يريد شيئاً يقتحم إقحاماً ويفرض فرضاً. وسيكون مقتعاً بما يقرره الشعب العراقي" إن الأهمية الكبرى التي ينطوي عليها هذا الموقف للمرجعية العليا، هو أنه ينسجم ويتواافق مع الاتجاه العام للرأي العام، ومع حرص المفاوض العراقي على تحقيق أفضل صيغة للإتفاقية ضمن مصالح العراقيين وتحافظ على سيادة وأستقلال العراق. وتتجلى هذه الأهمية كذلك في إن موقف المرجعية العليا هذا قد إنخد في حماة السجالات والجدل الحاد (ومالت تشنج

أحياناً) في مواقف بعض الكتل والتيارات والشخصيات السياسية والدينية، هذا فضلاً عن إتخاذه في وقت (استجدت) فيه بعض الجهات والشخصيات ووسائل إعلام معروفة الإتجاه، بمواقف بعض رجال دين إيرانيين أو عراقيين يقيمون في قم و طهران، إتخاذوا مواقف سلبية غير ناضجة ولا تسجم مع مصلحة العراق وال العراقيين، كما يعتقد كثيرون من المعنيين هذا الموقف.

كما وتتجلى أهمية موقف المرجعية العليا هذا في انه حسم الجدل . كما يرى كثيرون - حول قبول أو رفض الإنقاذه لمصلحة القبول المبدئي بها والمشروط بعدم مسها للسيادة وترك إقرارها النهائي لممثلي الشعب العراقي ومكوناته الاجتماعية والسياسية. كذلك، فإن هذا الموقف المرجعية سماحة السيد علي السيستاني هو شأنه، شأن مواقفه وأرائه الأخرى التي يعبر بها عن رأيه في المنعطفات الكبيرة والمهمة في العملية السياسية الجارية في العراق، والتي تستند إلى (ثوابت) شرعية ووطنية، حيث أدخلت المرجعية العليا من خلال ذلك تطبيقات عملية لثقافة غير ثقافة (ولاية الفقيه) التي أصبحت في موضع إعادة النظر، في إيران ذاتها.

وأخيراً، يمكن القول ان الأهمية الكبيرة الأخرى لموقف سماحة السيد السيستاني من الإنقاذه المذكورة، هي انه سوف يستبعد أي تأثير سلبي أو معوق لإقرارها، بما يعزز مسار العملية السياسية والممارسة الديمقراطية ودور مؤسسات الدولة والبرلمان وممثلي المكونات الاجتماعية والسياسية، في التعبير عن إرادة ورأي الشعب العراقي.

• عبد الحليم الرهيمي

بغداد – جمهورية العراق

العراق الجديد.. سيسستاني

• السيد نزار حيدر

مدير المركز العراقي للإعلام
واشنطن - أمريكا

ما اجتمعت كلمة العراقيين على أحد، كما اجتمعت اليوم على المرجع السيسستاني، الذي ترك بصماته الإيجابية بشكل واضح على مسيرة العراق الجديد، منذ سقوط الصنم في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ ولحد الان.

اذ سيشهد التاريخ بأن المرجعية الدينية هي التي رسمت معالم العراق الديمقراطي الجديد، بإصرارها على أمرین هامین، ما کنا لنشهد ولادة الديمقراطية من دونهما :

الاول، هو إصرارها على اجراء الانتخابات، بالرغم من كل الموقات وضغط المعارضين وتهديد الارهابيين ومن تحالف معهم من ايتام النظام البائد والطائفيين.

الثاني، هو إصرارها على ان يكتب العراقيون دستورهم الجديد بانفسهم من خلال جمعية وطنية منتخبة وغير معينة تعينا من قبل اي طرف كان، عندما رفضت، وباصرار، ان يستورد دستورا لل العراقيين من قبل الاخرين.

كذلك، فان التاريخ سيشهد بان المرجع السيسستاني جنب العراق من مخاطر عدة حروب:

الاولى: هي الحرب الطائفية التي حاول اشعال اوارها التكفيريون وبالتحالف مع ايتمان النظام البائد، وقد جاءت ذروة محاولاتهم بهذا الصدد عندما اقدموا على ارتكاب فعلتهم الشنيعة وال بشعة بتفجير مرقدى الامامين الحسنين العسکريين في سامراء، فلقد لامس الشارع العراقي الحرب الاهلية لو لا لطف الله تعالى وال موقف الانسانى الحكيم الذي بادر اليه المرجع السيسناني، والذي لقى، بحمد الله تعالى، استجابة منقطعة النظير من ابناء الشعب العراقي الذين تعودوا على ان يلجاوا الى حصن المرجعية الحصين، دائمًا.

الثانية: هي الحروب القومية والدينية التي دفع باتجاهها، كذلك، الطائفيون والمتخالفون معهم من العنصريين العرب وغيرهم من بقية القوميات التي يتشكل منها المجتمع العراقي، اوئلئك المتعصبون الذين حاولوا استغلال الظرف الخطير والاستثنائي الذي مر بالعراق اثر سقوط الصنم، لتفجير الازمات وبالاتجاهات المختلفة، ليتعكر الماء فيكسروا فرصة التصدى به، الا ان اصرار المرجعية الدينية في دعوتها لكل العراقيين بالتراث والتعقل ومنح انفسهم الوقت الكافي قبل التسرع في حل المشاكل التي ورثوها من النظام البائد، والتزام العراقيين بنصيحة المرجعية، اغلق الباب امام كل المتصدرين بالماء العكر، وبالتالي فوت عليهم الفرصة.

وكانا يتذكر ما قاله، بهذا الخصوص، المرجع السيسناني لوفد علماء كردستان الذي زاره في منزله في مدينة النجف الاشرف، باحثاً عن حل مشاكل كركوك وبقية المناطق المتنازع عليها، وكذلك مشاكل المرحلين منها واليها، منذ زمن النظام البائد الذي مارس اقسى الوان التعريب والتغيير الديموغرافي ضد الشعب العراقي وضد العديد من

المحافظات والمناطق العراقية، عندما دعاهم المرجع الى التحلی بالحكمة قبل اتخاذ القرار بشان مثل هذه القضايا الخطيرة، والتي لها جنبة انسانية هامة لا يجوز التغافل عنها، على قاعدة (لا تظلمون، بفتح التاء، ولا تظلمون، بضم التاء) (لا ضرر، بفتح الضاد، ولا ضرار، بكسر الضاد).

الثالثة: وهي الحرب التي اطل شبحها على العراقيين، من دون ان يلمسها ابن الشارع مس اليد، كما يقولون، والتي يمكن تسميتها بالحرب الباردة.

انها حرب الاقصاء والابعاء والاستحواذ التي خيمت بضلالها على سياسات بعض التنظيمات السياسية وقادة الاحزاب التي استخلفهم الله تعالى بعد ان اهلك الطاغية.

لقد حاول هؤلاء ممارسة سياسة الاقصاء لكل من خالفهم الرأي والموقف، محاولين الاستقرار بالدور في العملية السياسية، وتاليًا بالسلطة، الا ان موقف المرجع السistani واصراره على وجوب وضرورة منح الجميع الفرص المناسبة والمتقاربة في المشاركة في العملية السياسية، ان من خلال انتخابات الجمعية الوطنية او في لجنة كتابة الدستور او في كل المراحل الاخرى التي مررت بها حتى الان العملية السياسية، اجهض كل المساعي السلبية الخطيرة التي حاولت ممارسة الاقصاء والتهميش والاستقرار والاستئثار بكل شئ جديد في العراق الجديد، ما ساعد، وبشكل واضح، في تحقيق مبدأ الشراكة الحقيقية بين العراقيين، مكونات اجتماعية كانت او احزاب سياسية او اتجاهات وتيارات فكرية وسياسية او غير ذلك.

الرابعة: هي حرب الانفلات غير المتعقل، الذي اصاب بعض قادة التيارات التضخمية الشعبية، من ضحايا النظام الشمولي البائد، والتي لا زالت تعتقد بانها الى الان لم تتحسس التغيير، ان على مستوى واقعها المعاشي، او على مستوى المشاركة السياسية.

لقد نجحت المرجعية بانتزاع فتائل هذا الاندفاع غير المحسوب، اكثر من مرة، عندما كادت الامور تصل الى مستوى الانفجار العام الذي، لو حصل، ما كان ليباقي او يذر شيئاً.

ترى، كيف تمكنت المرجعية الدينية من تحقيق كل ذلك واكثراً؟ وهي التي كان يتصورها البعض بانها لا تتفع الا للتدريس في الحوزة وللافتاء في مسائل الحيض والنفاس والصوم والصلوة؟.

صحيح ان المرجع السيستاني، سليل مدرسة تبرى لتحمل المسؤولية الدينية والتاريخية العظمى، كلما تعرضت الامة الى الخطر ومن اي نوع كان، ليس بمعنى التهالك على السلطة، ابداً، وانما بمعنى اظهار العلم عند ظهور البدع، والسياسية من اخطرها، انها مدرسة اهل البيت عليهم السلام التي تحملت على عاتقها اعظم المسؤولية بقول المعموم (اذا ظهرت البدع، فعلى العالم ان يظهر علمه) حتى اذا اقتضى الامر ان يضحي السائر في ركاب هذه المدرسة، بحياته ودمه وبكل ما يملك، كما فعل السبط الامام الحسين بن علي بن ابي طالب بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) في العاشر من المحرم عام ٦١ للهجرة.

ففي تاريخنا القديم والحديث والمعاصر، نماذج كثيرة من هذا النوع من المرجعيات الرشيدة التي تظل تراقب الامور عن كثب، فهي في قلب الحدث الا انها ليست معه، تسكت اذا سارت الامور بشكل ليس

فيها مخاطر على الامة، وتثور وتنتفض اذا شعرت ان يدا خفية تحاول العبث بمقدرات الامة، سواء على الصعيد الفكري او الثقافي او الاقتصادي او السياسي او حتى العسكري عندما تتعرض الامة لخطر الهجوم المسلح والعدوان العسكري، اولم يقل امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام (لقد علمت اني احق الناس بها من غيري، ويقصد بها الخلافة والامرة بعد رسول الله (ص) ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جور الا على خاصة، التumas لاجر ذلك وفضله، وزهدا فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجه).

لقد قيل عن المرجع السيد محمد حسن الشيرازي، قائد ثورة التباك في ايران (القاجارية) وقد كان يقيم وقتها في مدينة سامراء بالعراق، انه مرجع مسالم لا يتدخل بالسياسة، وانه منكئ على نفسه ومنكب على دروسه الحوزوية، واذا به يفاجئ الجميع فينتفض انتفاض الاسد المصور، عندما احس ان مؤامرة عظيمة يحيكها البريطانيون ضد بلاد المسلمين في ايران وبالتعاون مع الشاه القاجاري، فاصدر فتواء المشهورة التي حرمت على الايرانيين التعاطي مع التبغ، ليسقط بها، وبالضرورة القضائية، الاتفاقية، والى الابد.

ولقد حاول، ذات مرة، القنصل البريطاني، ان يستغل (بساطته) ليستدرجه الى فخ يقع بين الشيعة والسنة، فعندما زاره الى بيته في سامراء، وعرض عليه خدمات (بريطانيا العظمى) للدفاع عنه ضد اعداءات السنة، اجابه المرجع بكل حزم وقوة (انه شان بين المسلمين، ولا حاجة لأن تدس بريطانيا انفها فيما لا يعنيها) فافشل، بهذا الموقف، مؤامرة البريطانيين لتمزيق صف المسلمين، وهو الموقف الذي فوجئ به القنصل

البريطاني، الذي ذهب اليه وفي ذهنه صورة مغايرة عن تلك التي رأها من المرجع، وهو يغادر بيته.

الشئ نفسه قيل عن المرجع الشيخ الميرزا محمد تقى الشيرازي قائد ثورة العشرين الاسلامية الوطنية التحررية التي انقذت العراق حديث التاسيس من مخالب الاحتلال البريطاني، ولو بعد حين، بسبب تأمر الاقلية وتحالفهم السري والخفي مع البريطانيين، والتي ظلت تتنازل عن حقوق العراقيين مقابل البقاء بالسلطة، الا ان النتيجة هي ان الثورة التي انطلقت بفتوى المرجع الشيرازي، هزت كيان (بريطانيا العظمى) آنئذ، ما دفعها لاعادة النظر في مجلمل سياساتها ازاء الدول والمناطق التي خرجت للتو من تحت سلطة (الخلافة العثمانية) آنذاك.

وتمر الايام لنشهد نموذجا آخر من نماذج المرجعيات التي ان سكتت زمانا فليس عن خوف او هروب من المسؤولية، او قبول بالامر الواقع، او تقرير للخطأ القائم، ابدا، وانما لحكمة يرافقها رصد دقيق للواقع، وان عن بعد، لحين اقتناص الفرصة السانحة لتدمي بدلوها، وعندما لا يقدم امر ولا يؤخر الا بمشورتها كما يحصل اليوم في العراق الجديد.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فان هذا الدور هو مسؤولية دينية وواجب وطني تتصدى له المرجعية الدينية من منطلق موقعها في حياة الامة، ونحن نعرف جيدا، فان المرجعية الدينية هي التي كانت قد رسمت معالم العراق حديث التاسيس في مطلع القرن الماضي، بالرغم من تأمر الاقلية مع الاحتلال البريطاني عليه، ان من خلال استفرادها بالتوقيع على الاتفاقيات الشائنة معها، او من خلال تدوين ما عرف فيما بعد بمبادئ (كوكس - النقيب) كما ان دورها المعروف والمشهود في التصدي للاحتلال البريطاني،

وفي الكشف عن المخاطر التي كانت تهدد العراق بسبب السياسات الملتوية والمشبوهة التي كانت تضعها بريطانيا العظمى آنئذ، بالإضافة الى دورها في التصدي للخطر الانجليزي الذي هاجم العراق ابان الخمسينيات من القرن الماضي، ودورها في التصدي لسياسات النظام البائد والأنظمة التي سبقته، والتي كانت ترمي الى ايقاع الاقتتال الاهلي بين ابناء الشعب الواحد، خاصة العرب والكرد، ان كل ذلك والكثير الاخر، ادلة تشير الى ان موقع المرجعية في الحياة العراقية العامة، في الصدارة، لما لها عند الشعب العراقي من احترام وثقة وتقدير، يركن اليها كلما المت به المخاطر.

ان هذه الثقة العالية، الى جانب ما تميزت به المرجعية الدينية من الوضوح في الرؤية والحرص الشديد على الثوابت الوطنية ووقوفها على مسافة واحدة من كل مكونات الشعب العراقي من دون تمييز على اساس الدين او المذهب او القومية او المناطقية او الولايات العشائرية والحزبية وغير ذلك، ان كل هذا، هو الذي دفع بكل القادة والسياسيين، وبمحنة انتماطهم الدينية والمذهبية والعرقية وتوجهاتهم الثقافية والسياسية، وكل المبعوثين الدوليين وغيرهم، الى ان يكونوا حريصين اشد الحرص على زيارتها والاستماع الى رايها عند كل منعطف، ليجدوا عندها خارطة طريق واضحة المعالم وغير مشوّشة، ما يساعدهم على تجاوز المنعطف بسلام.

لقد اثبتت السنين التي اعقبت سقوط الصنم، ان المرجعية الدينية هي صمام الامان الاول الذي يمكن لل Iraqis ان يرکون اليه للحفاظ على حقوقهم ووحدتهم ووحدة بلادهم، كما انها الحصن الحصين والرکن الشديد الذي يمكن الرکون اليه لدفع كل المخاطر التي تهدد

العراق وعلى راسها خطر الحرب الاهلية والطائفية التي ابعدت شبحها المرجعية الدينية بموقف حكيم وقرار شجاع، طبعا بهمة العراقيين الذين آمنوا بهذه الرؤية والتزموا بها وعملوا على تحقيقها.

وان تصدى المرجعية لهذا الدور، هو من منطلق تحمل المسؤولية التي تشخص في قول رسول الاسلام محمد بن عبد الله (ص) الذي يقول، كما اسلفنا (اذا ظهرت البدع، فعلى العالم ان يظهر علمه) ومن الواضح فان السياسات المنحرفة والمخاطر السياسية التي تهدد كيان الامة، هي من البدع التي يجب ان يتصدى العالم لاظهار الحقيقة ازاءها، فليس البدعة على المستوى الثقافي فقط او على مستوى الفكر والفقه وما اشبه، بل ان البدع الاجتماعية وتلك التي تهدد كيان الامة والبلاد هي من أخطر انواع البدع، ولذلك رأينا كيف ان المرجعية تصدت للمسؤولية الدينية والوطنية، كلما تعرض العراق الجديد لبدعة، كادت ان تستولي على الشارع العراقي، بالارهاب او بالدعاه السوداء، لو لا موقف المرجعية التي كانت الحاضرة ابدا لتوضيح الرؤية وتحديد الموقف الصحيح، ان شرعا او وطنيا.

اما من يعترض على مثل هذا الموقف، فانما يعترض على خيار الشعب العراقي الذي حده لنفسه من دون اكره او تخويف او ترهيب، كما يفعل القادة السياسيون او زعماء الاحزاب والكتل والتيارات.

لقد اختار الشعب العراقي ريادية المرجعية الدينية عن وعي وادراره ومسؤولية، فليس فوق ارادة الشعب اراده، وليس مقابل خياره خيارا آخر ابدا.

ان من اهم نقاط قوة المرجعية، والتي تمكناها من اختيار زمن التصدي للمسؤولية، بارادة حرة لا تجبر عليه، هي كونها مستقلة وغير تابعة لنظام او لحاكم، مستقلة في درسها وفي اقتصادها وفي خططها وفي المؤمن باللاقى بها، حيث يمكنها من تحمل المسؤولية واداء دورها في التدريس والافتاء، والرقابة والتصحيح عند الضرورة، فالمرجعية لا تعين من قبل حاكم، وانها لا تستلزم مرتبًا من ملك او سلطان، وانها لا تتناقض مع اي احد على سلطة دنيوية، ولذلك فليس عندها نقطة ضعف هي في اغلب الاحيان المقتل الذي يصاب به الرجال.

لكل ذلك، فإن المرجعية حرة في اختيار التوقيت للمواجهة او لتحمل المسؤولية.

حوارهادئ في قضية ساخنة

بين الفينة والآخر، يحتمد الجدال في العراق، متسائلا، هل يحق للمرجعية الدينية (السيستاني مثلا) أن تتدخل بالسياسة؟.

في بينما يرى البعض، أن من حقها أن تبدي رأيا في الشأن العام، على اعتبار أنها، كأي مواطن عراقي آخر، تتمتع بمثل هذا الحق، الذي يكفله القانون للجميع، في إطار المساواة والشراكة الحقيقية، يرى آخرون أن للمرجعية الدينية خصوصية روحية لا ينبغي إقحامها بالسياسة، لنحافظ، وبالتالي، على قوها الديني والروحي، ومن أجل أن لا تتلوث بمشاكل السلطة وأحابيل السياسة، من دون أن يخفوا قلقهم من تكرار تجربة الحكم الدينية في إيران.

المفت للنظر، أن هذا الجدل يحتمد أكثر حول تدخل المرجعية الدينية في مواضيع حساسة، كموضوع تدوين مسودة الدستور العراقي،

بالامس، وموضع الاتفاقية الاستراتيجية بين العراق والولايات المتحدة الاميركية، اليوم، في الوقت الذي يسعى فيه كل العالم إلى أن يتدخل بمثل هذه الأمور، محاولاً فرض أجندات خاصة، وآراء وأفكار معينة، فهل يا ترى يحق للجميع أن يتدخل بذلك؟ باستثناء المرجعية الدينية، وهي صاحبة الحضور الأكبر والأوفر في الشارع العراقي؟

وبالرغم من هذا الجدل الحاد، إلا أن الجميع يقر بالدور الوطني الاستراتيجي الذي لعبته المرجعية الدينية، منذ سقوط الصنم في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ ولحد الآن، إذ يُعرف الجميع، بفضل المرجع السيستاني في إنجاز ثلاثة محطات هامة، كان العراق قد مر بها خلال الاعوام القليلة الماضية، وهي على التوالي:

أولاً، منعه انجرار العراقيين وانحدارهم في منزلق الحرب الأهلية التي كادت أن تقع بسبب حرب الإرهاب التي يشنها التكفيريون على الشيعة بوجه خاص، والذين ظلوا يقتلون على الهوية والانتقام طوال الفترة الماضية، والى الآن.

ولقد أقر بدور الإمام السيستاني على هذا الصعيد، الكثير من الزعماء والقادة والساسة والكتاب والمثقفين والباحثين المنصفين، من العراقيين والعرب والأجانب، لدرجة، أن بعضهم اقترح أن يمنح المرجع السيستاني جائزة نوبل للسلام، لهذا السبب على وجه التحديد.

ثانياً، دوره في توكيد الخيار الشعبي في بناء العراق الجديد، من خلال إصراره على لزوم إجراء الانتخابات العامة، لاختيار البرلمان العراقي، وتالية الحكومة الانتقالية، ورفضه القاطع للخيار الذي كان يتبنّاه

البعض، والقاضي بتأجيل الانتخابات، واللجوء إلى طريقة الانتخابات الجزئية (التعيينية) كطريق لتشكيل البرلمان.

لقد كاد الكثيرون، حتى من قادة وزعماء العراق الجديد، أن يقتنعوا بأن لا طريق سوى التعيين لتشكيل البرلمان الجديد، وذلك بسبب تحديات (الاحتلال) والعنف والإرهاب، وأحياناً بسبب الخوف من الخروج من المولد بلا حمص (كما يقول المثل العربي) (وهذا ما حصل بالفعل للعديد منهم) إلا أن إصرار المرجعية على أن يكون صندوق الاقتراع هو الفيصل في اختيار ممثلي الشعب وليس أية آلية أخرى، هو الذي وضع العراق على السكة الصحيحة وفي الاتجاه الصحيح.

ثالثاً، إصراره على أن تتم كتابة مسودة الدستور العراقي، من خلال لجنة منتخبة من العراقيين أنفسهم، وليس من قبل مجموعة تعين من قبل أي كان، وبأية طريقة من الطرق، إلى جانب تأكيده على أن تتم المصادقة على الدستور بصيغته النهائية، من قبل كل العراقيين، ومن دون استثناء، باستفتاء شعبي عام، وهي المرة الأولى التي تم فيها تبني دستور دائم للبلاد في استفتاء شعبي حر وعام، ليس في تاريخ العراق الحديث، وإنما في تاريخ كل البلاد العربية.

وبذلك، تكون المرجعية قد شيدت، بإصرارها وثباتها ومثابرتها وموافقتها الوطنية الفريدة من نوعها، الأسس الاستراتيجية لبناء العراق الديمقراطي الجديد.

إلا أن هذا الاعتراف بفضل المرجع السيستاني ودوره في كل ذلك، وأكثر، لم يشفع له عند البعض من الذين لا زالوا يتوجسون خيفة من تدخله بالسياسة.

ومن أجل أن تكون منصفين في معالجة هذا الموضوع، أرى لزاماً أن نبحث الأمر من الجوانب الهامة التالية،

أولاً: في العراق، على وجه التحديد، لا تكمن المشكلة في تدخل الدين بشؤون السياسة، وإنما العكس هو الصحيح، فان تدخل السياسة بشؤون الدين، هو الخطر الماثل والمحدق بالبلاد دائماً، ولذلك، فإذا كان هناك من اقترح النص في الدستور العراقي الجديد على فصل الدين عن السياسة، للحيلولة دون تدخل الدين بالسياسة، كان عليه أن يفكر بطريقة معاكسة تماماً، أي كان عليه أن يطالب بالنص على عدم تدخل السياسة بالدين، وربما لهذا السبب نص المشرعون الأميركيون، عند تدوينهم الدستور الأميركي قبل أكثر من (٢٠٠) سنة، على منع السلطات السياسية من تشريع أي قانون يتدخل في شؤون الدين، وليس العكس، لمعرفتهم بنهم الساسة، وتطاولهم على الدين، بل وعلى كل شئ يمكن أن يوظف لخدمة أغراضهم السياسية، وعلى رأسها الوصول إلى السلطة، وتالياً التشبث بها أطول فترة زمنية ممكنة.

إنهم فطنوا إلى حقيقة الأمر وواقع المشكلة، مبكراً، ولذلك عالجوها من جذورها، وبالطريقة الصحيحة.

هناك خوف من إقحام السياسيين للدين كلما مرروا بأزمة، وليس العكس، لأن الدين لم ولن يمر بأزمة، ليلجأ إلى إقحام نفسه في الشؤون السياسية، ولقد رأينا كيف أن الأنظمة المتعاقبة على العراق، كانت تلجأ، عند كل أزمة سياسية، إلى إقحام نفسها بالدين، ومحاولة الحكام امتلاء الدين للوصول إلى أهدافهم السياسية، بغض النظر عن صحتها أو خطئها.

أولاً: إن الدين، كان ولا يزال، الباعث الحقيقى للحفاظ على البلاد والعباد، فكان الباعث للتصدى لغزو الأجنبى للبلاد، كما كان الباعث لحفظ الشعب العراقى من الانزلاق في مهاوى الحروب الأهلية والطائفية، كلما دست الأنظمة أنوفها في الشأن الدينى، من قريب أو بعيد، وكلنا يتذكر الفتوى الدينية التي حرمت القتال ضد الكرد في شمال العراق، على مرور الأيام والحقب التاريخية السياسية، والتي حفظت النسيج العراقى من التمزق، بسبب السياسات العدوانية التي كانت تنتهجها الأنظمة (العلمانية).

كما كان لفتوى الدينية التي تصدت للمد الأحمر الملعود الذى اجتاح العراق فترة الخمسينيات من القرن الماضى، والذي كان قد نصب العداء لكل ما هو من الدين من قريب أو بعيد، دوراً، لا ينكره أحد، في حفظ كيان العراقيين ومنظومتهم الفكرية والعقائدية من عبث العابثين.

ثانياً: لم يطرق السيستاني باب أحد من العباد، يتولله الإصغاء إلى آرائه، في القضايا السياسية، بل أن الذى حصل هو العكس من ذلك تماماً، فقد تقاطر على بيته كل القادة والزعماء والسياسيين الذين تصدوا للمشهد السياسي العراقي الجديد منذ سقوط الصنم ولحد الآن، يستشி�رون ويفسرون إلى رأيه، في القضايا التي يرونها هامة ومصيرية.

حتى أولئك النمط من القادة الذين لم يكونوا، في يوم من الأيام، متمسكين بالدين وتعاليمه، أو يهتمون بشؤونه، أو يعتقدون بدور المرجعية، رأيناهم يتقاطرون على باب المرجع السيستاني طلباً للاستشارة، وفيهم المسلم والمسيحي والشيعي والسنى والعربي والكردي والإسلامي والعلماني، والمدنى وال العسكري، والجمهوري والملكي.

كما أن مبعوثي الأمم المتحدة وأمينها العام والجامعة العربية، وغيرهم، لم يستثنوا أنفسهم من ذلك، إذ أبدوا، بدورهم، حرصاً متزايداً لزيارة السيستاني في منزله لاستشارته والإصغاء إليه، وكل ذلك ليس من باب الأيمان بدور الدين والمرجعية في الشأن العام، وإنما لما لمسوا من المرجعية، من الحرص الأكيد على مصالح العراق وشعبه، وهذا ما عبروا عنه في أكثر من حديث ومناسبة، أو ربما لأن التجربة علمتهم بأن الطريق إلى عقول العراقيين وقلوبهم وقناعاتهم، يمر عبر منزل السيستاني.

حتى الأميركيين، حاولوا أن يصلوا إلى منزل السيستاني، علناً أو متنكرين، ولقد طرقوا الباب مرات وكرات، إلا أن بواب المرجع لم يفتح لهم الباب، خشية أن يتم المرجع بالتدخل بالسياسة.

لقد أثبتت الأيام العصيبة التي مرت على العراقيين، بأن المرجعية الدينية (والسيد السيستاني على وجه التحديد) هي الجهة الوحيدة التي تفكر بعقلية وطنية جامعة، تتعالى على الانتماءات الإثنية والدينية والمذهبية، وتقفز فوق الولاءات الحزبية والاتجاهات الفكرية، ولذلك يرى فيها العراقيون، صمام الأمان الحقيقي لصيانة حقوق كل العراقيين من العبث أو التجاوز والسحق، بغض النظر عن انتماءاتهم بكل أشكالها، كما أنها السد المنيع الذي يقف بوجه كل المحاولات الرامية إلى القفز على حقوق هذه الشريحة أو تلك، ومن هنا حاز السيستاني على ثقة الجميع، واحترامهم وتقديرهم، بسبب مواقفه وآرائه التي لم يعد أحد يجرؤ على القفز عليها أو تجاوزها، أو حتى أن يفكر بأن لا يأخذها بنظر الاعتبار، وأن يعيّرها القليل من الاهتمام.

لقد تيقن العراقيون، على اختلاف مشاربهم، بأن المرجعية الدينية، هي الجهة الأكثر وفاءً لهم، والأكثر أماناً للجوء إليها للدفاع عن

حقوقهم، ولذلك لجأ إليها الجميع، كلما تعرضوا إلى ظلم أو تعرضت حقوقهم للانتهاك.

ولهذا السبب، على وجه التحديد، فإذا كان هناك من يلزم أن يؤخذ بجرينته، فليس المرجعية لأنها تتدخل بالسياسة، وإنما الزعماء والقادة ومندوبي الأمم المتحدة والجامعة العربية، وغيرهم، لأنهم طرقوا باب السيستانى، ولا زالوا.

ترى، ما ذنب المرجع إذا كان الناس يتبعونه وبهتدون برأيه، ويتعبدون بتوجيهاته التي يعتبرونها في أغلب الأحيان، فتوى دينية يجب الالتزام بها، طاعة وقربة إلى الله تعالى؟.

ترى، لو أن أحدنا استشاره صديق في أمر ما، هل سيقدم له النصح؟ أم يضرب عنه صفحًا؟ وأن المستشار مؤمن، لذلك يسعى المرجع إلى أن يقدم للمشير أفضل ما عنده من آراء وأفكار، وان كانت في بعض الأحيان لا تروق لهذا أو تعجب ذاك، إذ ليس من مهام المرجع أن يرضي الجميع، وإنما عليه، أولاً، أن يرضي ربه وضميره، والا، فان (رضا الناس غاية لا تدرك) كما تقول الحكمة.

ثالثاً: إن كل الذين يستنكرون على المرجع تدخله بالسياسة، متورطون بذلك، لدرجة أن بعضهم ضمن قائمته الانتخابية أسماء (مراجع دينية معروفة) في محاولة لتوظيف العمامة في حملته الانتخابية السابقة، فلماذا يجوز له أن يورط المرجعية بالسياسة إذا ما أراد ذلك، تحقيقاً لصلحة حزبية أو سياسية أو انتخابية ما، ويستنكر الأمر لغيره؟ لماذا باعه تجر وباء غيره لا تجر؟.

رابعاً: إن المرجعية الدينية لم تفرض رأياً على أحد أبداً، وإنما تحاول أن تبدي رأياً فقط في الأمور التي يتم التشاور معها أو الاستفسار عنها من قبل أي كان، إلا أن إيمان الناس بدورها، وحسن ظنهم بها، هو الذي يدفعهم للالتزام به، وتحويل رأيه إلى فتوى ملزمة، يتبعدون بها.

خامساً: أجزم لو أن أية مرجعية دينية أخرى، غير السيستاني وأمثاله، كان لها كل هذا التأثير الكبير والعظيم على العراقيين، لعدها أنصارها، ولطابوا بأن ينص الدستور العراقي الدائم، على كل ما من شأنه أن يرفع منزلتها فوق القانون والمساءلة، ولرفعوا موقعها فوق الشك والريبة، خاصة إذا كانت تلك المرجعية تلبى حاجاتهم السياسية (مرجعية تحت الطلب) كما كان يفعل الطاغية الذليل، أيام زمان، أما السيد السيستاني، فقد عارض، إلى درجة التوبيخ، من حاول أن يقحم المرجعية ودورها ومكانتها في الدستور الجديد، لأنه أبعد ما يكون عن الانتهازية، وسياسة اغتنام الفرص.

ولذلك، لا نجد من يستذكر على مراجع التكفير وفقهاء الإرهاب وهيئات الذبح والتفحيخ والقتل العشوائي، تدخلها بالسياسة، إنما صب الجميع جام غضبهم على السيستاني وأمثاله.

ترى، لو كان السيستاني سرياً، فهل كانوا يستذكرون عليه تدخله بالسياسة؟

سادساً: إن المعروف عن المرجع السيستاني، على وجه التحديد، عزوته عن التعاطي بالشأن السياسي، وان دوره الايجابي والنزيه، نابع من انه ليس له مصلحة مباشرة، لا في نتائج أية انتخابات، ولا في تشكيل أية حكومة، ولذلك نراه قال أكثر من مرة، بأنه ليس المهم عنده من يكون

الرئيس أو الزعيم، إنما المهم عنده أن يأتي عن طريق صندوق الاقتراع، ينتخبه الناس، ليعبر عن إرادتهم بشكل حقيقي وواقعي، وليس بطريقة مزيفة كما يفعل الطغاة.

سابعاً: وأخيراً، أليس من مصلحة العراق وال العراقيين، أن يتدخل رجل كالسيستاني (العادل والحكيم ذو النظرة الاستراتيجية البعيدة) في الشأن السياسي العام؟.

إن القاعدة العامة تقول، بأن الساحة لا يمكن أن تعيش فراغاً، قيادياً أو إرشادياً، لا فرق، فإذا لم يتدخل الحكيم ليصلاح الأمور ويأخذ بأيدي الناس إلى ما فيه صلاحهم وخير البلاد.

أخيراً أقول، نعم، كلنا حريصون على سمعة الدين والمرجعية الدينية، فلا نريد أن يتلوث الدين بمشاكل السياسة، والمرجعية بمتاعب السياسيين، ولكن، في ذات الوقت، فإننا حريصون على مصالح العباد، فإلى متى تبقى هذه المصالح المقدسة، أسيمة بيد كل زعيم متهم، لا يرعى في عباد الله تعالى إلا ولا ذمة؟ وإلى متى يظل الناس يساقون من قبل كل فاجر لا يؤمن بيوم الحساب؟ وإلى متى يظل يحكم الرعية من لا يخاف الله، ويعتدي على الأعراض ويسحق حقوق الرعية، من دون وازع من دين أو ضمير أو حتى مصلحة وطنية؟ إننا نريد المرجعيات الدينية، وكل مواطن، رقيب على أداء الحكماء، عليهم يرتدعون ويخافون يوماً تشخيص فيه الأ بصار، يوم ترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، يوم تضع كل ذات حمل حملها، ويشخص الناس لله الواحد القهار.

• السيد نزار حيدر

ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - كانون الاول ٢٠٠٨ م | واشنطن - أمريكا

الخاتمة:

الامام السيستاني ودولة العراق

• السيد حيدر بحر العلوم

ديترويت - الولايات المتحدة الأمريكية

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على
رسول الله محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

تمهيد

لعل هذا البحث الماثل بين يديك قارئي الكريم هو مصداق القول الشهير "رب صدفة خير من ميعاد" إن كان للصدفة من مكان في المعتقد. فكثير ما تطراً على الذهن أفكار وأراء وتصورات يتلو بعضها البعض الآخر بما يكون أرشيفاً متناهراً يجمع ويحوي ما بين موثقاته ومدوناته وقصاصات ورقه الكثير الذي يحتاج الى جهد ووقت مضاعفين لغرينته وتشذيبه وصبه في حلقة قشيبة وسلسلة منهجية تنتهي بشمرة وفائدة مرجوحة وليس إضافة إصدار آخر لما يطبع وينشر عموماً إنما تنتج نتاجاً محدد المعالم ومحدد الأهداف.

وقد شاءت الصدفة أن يجتمعنا مجلس مع عدد من الأحبة والأعزاء على بل وكانت خير صدفة حينما زان المجلس وشرفه حضور السيد الوالد حفظه الله. وقد شاءت القدر أن يتبارك المجلس بالحديث عن العلم والعلماء وأرائهم ونظرياتهم نظراً لما يمر به العراق الجديد، عراق المرجعية، عراق السيد السيستاني والمرجعية الرشيدة وما كان لسماحته مد ظله من رعاية وتوجيه وتسديد جنبت العراق ويلات وويلات بعضها كان مقصوداً والآخر كان متلازماً كنتيجة طبيعية للأزمات والكوارث السياسية والاجتماعية بشكل عام. هناك كانت صولة فارس فقه أهل البيت عليهم السلام الذي أطل بجواده النجيب على أرض الفرات معيناً أمجاد سادة أهل البيت عليهم السلام متسلماً بحكمة علي (ع) وصبره، ومستبساً بجأش الحسين (ع) وإبائه.

ولما اختلفت الآراء وذهب كل إلى ما استند واسند، تجسست أمام نواطري صور وموافق من ذلك الأرشيف العتيد، الذي جمع كتاب من هنا، ودراسة من هناك، ونظر من هذا الفاضل ورأي من ذاك الاستاذ، وشذرات من هذا الحوزوي، ومرصعات من ذاك المفكر، وكأنها توحى إلى بياخراجها من بين الألواح والملفات ووضعها على لسان الاسترسال، فما رأيت إلا وجلسائي وندمائي يظهرون آيات الاستساب وبواحد الاقتاع بل والاعجاب أحياناً.

هنا كان دور السيد الوالد حفظه الله تعالى، الذي يعكف جاهداً لتقديم ما بوسعه في إجلاء الغبار عن النجف وحوزتها، وعلومها ومبادئها، وشخصياتها وزعامتها، والتي يتسمها اليوم سماحة السيد المترجم له، ليس إلا من باب الوفاء للنجف ورجالاتها وعطائها على مر الدهور. فما كان منه إلا أن أقحمني في خضم هذا البحر الموج بين هذا الأديب وذاك الخطيب، وبين هذا المفكر وذاك المفسر، الذين وافوه بما عندهم عن سماحة السيد مد ظله، لكنه شخص -مشكوراً متفضلاً- لما سمعه من كلام وصور تبادرت بسلسلة من الخواطر في محضره أن يكون خاتمة جهده المبارك. وإن كان ما يستدعي للدخول والمشاركة في هذا المعرك محل نقاش وأخذ ورد فإنه لا يمكن تجاوز الامتثال انطلاقاً من حق الأبوة، فهو خير الأدب. فكانت هذه الاسطر.

المقدمة

المراقب للوضع العالمي الذي يتقلب ما بين التطورات والتدحرجات المرتبطة بالأحداث الواقعة في شرق الأرض أو غربها، يجد أن للشرق الأوسط محورية كبيرة في صنع وتسخير القرارات الدولية التي تطرح أمام

الأعين. وكنتيجة مباشرة يعيش الكثير آثار ونتائج هذه القرارات. وبدا من الواضح الجلي أن للشيعة دوراً رئيسياً من قريب أو من بعيد بدرأة أو عدمها في صنع هذه القرارات. سواء كان هذا الدور مباشراً أم غير مباشر فان الواقع يطرح الشيعة كلاعب أساس في الأسباب والنتائج، وفي كثير من الأحيان لا سيما في وقتنا الراهن هم الذين يديرون دفة القرار بزینه وشیئه. ويمكن أن نحدد أبرز الجهات التي كان لها ذلك الحضور البارز الذي مثل التشيع في التالي:

- ١- النظام الإسلامي في إيران بعد الثورة الإسلامية بقيادة السيد الخميني (قدس سره).
- ٢- بعض الحركات الشيعية في لبنان بالإضافة إلى بعض التوجهات والتيارات الشيعية في الخليج والتي كان لها وجود على نطاق ضيق.
- ٣- في العراق تحت الحكم الصدامي وبشكل محدود جراء الدكتاتورية الحاكمة آنذاك.

الإقليم والعراق في الألفية الثالثة

وابتداءً بالألفية الثالثة كانت هناك مجموعة حقائق على الأرض ظهرت في المنطقة، بعضها يخص الإقليم بشكل عام والبعض الآخر يخص العراق.

الشرق الأوسط في الألفية الثالثة

من الناحية الميدانية:

دخول أمريكا الى المنطقة وبسط يديها بشكل واضح وملموس لا سيما على الصعيد العسكري والميداني، ودخول القوات الأمريكية الى الخليج والعراق واسقاط النظام الصدامي.

بروز ايران في المنطقة حيث باتت تتحرك لتصبح دولة اقليمية عظمى وسعيها المتواصل لامتلاك النووي. وتأثيرها الاقليمي على القرارات السياسية العالمية.

بروز حركات متعددة لها ولاءات خارج بلادها كلاعب رئيس في سياسة بلدانها ومثال ذلك لبنان وما حدث نتيجة الحرب التي اندلعت مع اسرائيل، وما كان لنتائجها من آثار سياسية على صعيد العالم والشرق الأوسط، والمسؤوليات التي طرحت بالنسبة للمنهجية المتبعة كونها تصب في مصلحة الدولة اللبنانية أو خط ولاية الفقيه المطلقة (النظام الايراني)، مما طرح التساؤلات الأكثر تعقيداً بالنسبة لولاءات المجموعات الشيعية المتواجدة في أماكن عديدة، هل هي لأوطانهم أم لمصالح اقليمية خارجية؟

من الناحية الفكرية والمنهجية

برزت على أرض الواقع أربع توجهات في المنطقة:

• التوجه الأول: بلورة المفاهيم السياسية والاجتماعية والاقتصادية وتجلياتها بصيغة نظام عالمي علماني محكم بضوابط انسانية عامة واقتصادية معينة، وتبلور صيغة الدولة وما يلحقها من مفاهيم سياسية واجتماعية واقتصادية حديثة والتي بعد لم يجر تأصيلها. وقد انتج هذا

التوجه:

- نمو شبح تقسيم المنطقة إلى دويلات، كل هذا يحصل في ظل عولمة متعددة الاتجاهات هدفها توحيد ثقافة العالم وسوقه وسياسته.
 - هذه المفاهيم السالفة الذكر، تتلقاها الشعوب بعين الاتهام والشك، بيد أنها أخذت بالتمدد حتى وصلت إلى المنطقة بقوة لخلق ازدواجية في التقاليد والأعراف والقيم.
 - التوجه الثاني: الخط السلفي والذي بات ينمو بمستوى أصبح يهدد أمن العالم والحكومات القائمة في المنطقة، وأصبح كحكومة ظل في عدد من البلدان يسير السياسات كما يحلو له ليصبح الخيار المتاح للشعوب ليتم استبدال الأنظمة الحالية به.
 - التوجه الثالث: خط النظام الإيراني المستند إلى ولاية الفقيه المطلقة والدولة الإسلامية حيث كانت من أولوياته الرهان على العراق وشيعته ليدخل في محورها كما في جنوب لبنان وبعض دول الخليج.
 - التوجه الرابع: الصيغة التركية والتي تأخذ بالوزانة بين العلمانية السياسية وبين الاجتماعية الدينية من دون الحاجة إلى الشرعية الإسلامية. فأساسها المشاركة السياسية من قبل الأحزاب الإسلامية من دون تغيير نظام الحكم إلى نظام إسلامي. هذه الصيغة مبنية على التعددية السياسية والاجتماعية ولكن مع بروز واضح للحركات الإسلامية وتأثيرها للنأي عن العلمانية المضطبة في الدولة التركية.
- الذي يدرس ويعلن النظر في التوجهات الآنفةذكر يرى أن هناك عوامل مشتركة في التوجهات الثلاث الأخيرة، هي مهمة على الصعيد الإقليمي وال العالمي:

- أولاً: تشترك التوجهات الثلاث بأن لها قاعدة اسلامية تستمد منها قوتها الشعبية.
- ثانياً: وحدة موقف هذه التوجهات اتجاه اسرائيل. وان كان لتركيا تحالفات مع الدولة الاسرائيلية الا أن بعض المواقف السياسية الأخيرة هي مؤشرات مهمة على توجه تركيا لتأصيل نفسها كدولة رائدة للأقليم والعالم الاسلامي. ولذا كان لها مواقف وان كانت بسيطة ولكنها بدأت بالظهور على الساحة العالمية.
- ثالثاً: معاناة التوجهات الثلاث الأخيرة من حالة الرفض سواء من قبل المجموعة الاوروبية أو الدولة الأمريكية، أدت الى التفااف الى الأقليم ببساط النفوذ وفرض النفس بأي وسيلة متاحة على الأصدقاء كافة.

العراق المعاصر في الألفية الثالثة

- اما مجموعة الحقائق التي ظهرت في العراق في الألفية الثالثة:
- دكتاتورية ضاغطة في العراق تعاملت بقسوة شديدة طالت البنية التحتية للبلد والطاقة البشرية له وقتلت الإبداع وتراجعت امكاناته لمستوى مرير كادت أن يجعل العراق على حافة خط الفقر والمجاعة في دول العالم الثالث.
 - أهمية فكرية وثقافية وعلمية، حيث بات المستوى الأكاديمي للعراق في أسوأ حالاته.
 - أزمة ثقة لافتة بمستوى بات من الصعب أن تجد شخصاً متفقاً على نزاهته.

- التباس حاد في المفهوم السياسي بين لا أبالية مريعة وبين شك في صدقية المشروع الحديث، وشك في قدرة اللعب مع دول الأقليم، وبين تصور مظلِّم أو على أقل تقدير مبهِّم عن الحاكم.
- موروث استبدادي عميق انعكس على علاقات الفرد مع محبيه، وهدر كرامة الإنسان حتى أصبح ارخص شيء هو حياة الفرد.
- أزمة بين عراقيي الداخل و العراقيي الخارج. فال الأول يجد نفسه أحق بالمحاسب بعد سنوات العناء تحت النظام المقيت بينما أتيح للثاني أن يأخذ قسطه من التعليم والثقافة والخبرة.

ما حدث...

بين مجموعة هذه الحقائق التي ظهرت في الألفية الثالثة سواء كان على صعيد الأقليم بشكل عام أم على صعيد العراق بشكل خاص، وبعد سقوط الطاغية ودخول أمريكا الى العراق، كانت هناك هوة واقعية وفراغ في صنع القرار العراقي والخطوات التي يجب أن يأخذها الشعب للخروج من هذه المحنـة. كان في العراق قوى متعددة مستعدة لطرح نفسها وأخذ زمام الحكم، وباديء الأمر كان يبدو ولو ظاهراً أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى لطرح التوجه الأول على الشعب العراقي ليكون نموذجاً مثالياً تستطيع أن تصدره لباقي دول المنطقة، الا أن أمريكا واجهت عدة عوائق كان من أبرزها ما يلي:

- جاءت وزارة الدفاع بمجموعة من عراقيي الخارج وكانت تأمل أن تكون البذرة الأولى لتكنوقراط يتمكنون من حكم العراق والوصول به الى شاطيء السلام، بينما طرحت وزارة الخارجية بدليها الآخر على أمل أن تكون هي الحل الأنسب. الا ان كلا الطرحين باهـا

بالفشل وبالأخص حينما بعثت أمريكا حاكمها المدني للعراق ليكون هو حلها المؤقت. وقد كان للصراع بين الخارجية والدفاع تأثير سلبي على الخطط المستقبلية للعراق.

• وبعد تنصيب الحكم المدني على العراق واجهت أمريكا صعوبة أخرى بحلها الذي طرحته في مجلس الحكم المؤقت والدستور الذي طرح من قبله دستور مؤقت للبلاد الذي لم يلق النجاح الذي كانت ترغب له أمريكا، حيث واجهت معارضة من قبل الشعب لأنه لم يوافق عليه من قبلهم ولم يكتب من قبل الشرائح العامة التي تمثله.

• ظهور حركات شعبية متعددة من فصائل مختلفة بعضها ممول من دول الجوار وأخرى من قبل بعث العراق المدحور وغيرها لا مجال لسرد لائحة تفصيلية فقد نحتاج الى فصل بل كتاب منفصل لدراسة هذه الحركات التي طرحت نفسها بعد سقوط النظام مباشرة.

• الا أن أهم وأصعب ما واجهته أمريكا، هو واقع لم تكن تلتقط اليه ولا تتوقع حصوله، وهو التناقض الشعوب العراقي بكل فصائله، وعرقياته، ودياناته، بل وحتى حركاته السياسية حول شخصية عملاقة انجذب اليها القاصي والداني وكانت مؤيلا لهم لحل هذه المعضلة وخارجهم من ويلات المأزق السياسي الذي كان سوف يجعل من العراق كارثة في تاريخ العالم. ولربما هذا ما كانت تريده بعض الاتجاهات والخطوط لتسديد أكبر خسارة تتکبدة أمريكا على حساب الشعب العراقي ودرسا لها لتدخلها بشؤون الشرق الأوسط. إلا ان عدم المبالغة بمصير الشعوب، وعدم مراعاة مستقبل الأجيال، على حساب مصالح إقليمية قصيرة المدى ليكتب للشعب العراقي تحمل الويلاط والماسي، كل هذا باء بالفشل وانقلب السحر على الساحر!

فوقف الشعب وقال كلمته والتف حول قائدہ ولم یسمح لا للدول العظمى ولا للدول الاقليمية أن يجعلوا منه ضحية أخرى. وكانت حکمة القائد وبعد نظره، وحنكته السياسية مفتاحا لسلامة العراق بكل شرائحة من الولايات التي كاد أن يتکبدها. ان هذا القائد الذي نحن بقصد قراءة ودراسة مواقفه ليس الا سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله)

السيد السيستاني وال伊拉克 الحديث

ولأجل أن نقف على قراءة ودراسة مواقف السيد السيستاني لا بد لنا من الخوض في الحديث على مراحل بعد هذه المقدمة:

- المرحلة الأولى: نظرة سريعة على مسألة الامامة والسياسة وعرض بعض النقاط التي تحدد الاطر الفكرية التي يستمد من خلالها الفقيه الحلول العملية لمسألة الحاكمة والتي من خلالها نحاول الاقتراب من الاسس التي تفسر حركة السيد السيستاني والتي على أساسها كانت التطبيقات العملية في العراق الحديث.
- المرحلة الثانية: بيان مختصر في مسألة الحاكمة في عصر الغيبة الكبرى في الفكر الشيعي والتي سوف تساعدنا على فهم المنطلق الفكري والفكير الفقهي الذي يدور رحى تفكير السيد السيستاني حوله وهل أنه امتداد أم تأصيل جديد لنظرية لم تطرح من قبل.
- المرحلة الثالثة: عرض وجيزة لمواقف مراجعات النجف قدیما لمسألة الحاكمة من الناحية التطبيقية والعملية وعلى أرض الواقع من خلال بعض المواقف التي أخذت من قبلهم اتجاه الأوضاع التي سادت المنطقة وما انطوى عليها من آثار.

- المرحلة الرابعة: البحث في نتائج حركة السيد السيستاني الميدانية ومدى موقعيتها في ظل التقييم السياسي للتشكيلة السياسية في البلد. والتي كان للسيد الأثر الكبير والدور الفعال في صياغتها والعمل على بلورة محتواها من قريب وبعيد.

المرحلة الأولى: الإمامية والسياسة

لا بد من الابتداء بالقول ان الواقع الشيعي يرتبط ارتباطا كاملاً ويعتمد اعتماداً كلياً على منظومة فكرية متكاملة وثابتة تسمح في طياتها بالحركة ضمن نطاق الاطار العام التي رسم لها على اساس ركائز عقلية وشرعية تسمح بالتعامل مع المتغير على اساس تلك الثوابت الرصينة التي بنيت من خلال الوحي والعقل، ولذا فان السمة البارزة في الفكر الديني ارتباطه بتلك الأسس الفكرية ومن هذه الأسس والتي تلعب دوراً مهماً في صياغة الحالة الفكرية للفقيه مرجعية التراث المعصوم وممارسة المعصوم وسلوكياته (فعل المعصوم)، وإقراراته لزوايا قانونية في الشخصية التي تصوغ السلوك البشري (السيرة العقلائية والإمضاء). وعندما نرصد ممارسة المعصوم المعصوم السياسية نواجه صوراً تبدو للوهلة الأولى متناقضة:

- صورة تقبل فكرة استلام السلطة بل والسعى لها، وأخرى ترفض الفكرة بل وتحاربها.
- صورة تقبل التعايش السلمي، وأخرى تتبنى الجهاد والثورة على الحاكم.
- صورة تقبل المشاركة السياسية، وأخرى ترفض الشرعية وتحاول على السلطة.

- صورة تقبل التطبيع مع الحاكم، وأخرى تبني المعارضة والنضال السبلي.
- صورة تبدو فيها العزلة السياسية وفصل الدين عن السلطة، وأخرى تبدو فيها الدخول في خضم العمل السياسي.

هذه الصور المتناقضة جاءت على خلفية الأدوار المتعددة التي قام بها الأئمة من عزلة أمير المؤمنين علي عليه السلام أكثر من عشرين عاما إلى استلامه للسلطة ودخوله في حروب داخلية ثلاثة، إلى هدنة الامام الحسن عليه السلام، ثورة الامام الحسين عليه السلام، فرهبانية الامام السجاد عليه السلام، فالعمل الأكاديمي للأمامين الصادقين عليه السلام، فالنضال السبلي للأمام الكاظم عليه السلام، فدخول الامام الرضا سلام الله تعالى عليه في البلاط العباسي وغيرها من تلك الصور التي يراها المتبع لتاريخهم سلام الله تعالى عليهم.

ان الاستقراء لهذه المواقف يوصل الى دلالة عميقة لهذا المشهد وهي أن الشكل السياسي لم يدخل كمكون عقائدي في الفكر الشيعي الا ثني عشرى ومن ثم اختلف عن باقي المذاهب الفكرية، وان حاول البعض في الآونة الأخيرة من جعل الحاكمية مسألة تدخل في ضمن اطار البحث العقائدي، كل هذا أتاح هامشا عريضا لعمل سياسي تتحكم فيه الظروف الموضوعية والفرص، في إطار (لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين) وإلا كانت ثورة الامام الحسين سلام الله عليه.

يمكن القول أن الممارسة السياسية في الفكر الشيعي تدخل في نطاق المتغير لا في نطاق الثابت، ومن ثم كان حاضنا للتقدية والجهاد وما بينهما في آن واحد، والى حد يمكن القول أنه استطاع أن يربى معتقديه

على حالة من المرونة تتماشى مع سائر المتغيرات. فانفتح معتقدوه على كل الابراجات السياسية بايجابية من دون عقدة إزاء نوع الحاكم ومذهبه وانتفاء السياسي وشكل حكومته، شريطة حفظ الثوابt والمصالح العليا والتي يمكن تلخيصها بالتالي:

- ١ الملوية.
- ٢ الاستقلال والسيادة.
- ٣ العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص.

هذا وقد تأسست عبر القرون وتوضحت نظريات فقهية عالجت مسألة الحاكمة ووفرت حلولاً متعددة أرتأيت طرحها للقاريء لكي تتكون له رؤياً أوضح عن مدى تنوع الفكر الفقهي لدى الشيعة الاثني عشرية.

المراحل الثانية: الحاكمية في عصر الغيبة الكبرى في الفكر الشيعي

نبدأ بنظرة عامة عن النظريات التي تعالج مسألة الحاكمية في الفكر الشيعي الاثني عشرى. ويمكن تقسيمها إلى التالي:

- ١ تلك التي ترى أن للفقيه وحده مدخلية في الحاكمية.
- ٢ وتلك التي ترى أن الأمة وحدها مؤهلة أن تحكم نفسها.
- ٣ وتلك التي تجمع بين الفقيه والأمة.

فاما الأولى:

فهي ولادة الفقيه المطلقة والتي ترى أن الفقيه هو الحاكم المطلق وهو نائب الإمام عليه السلام وله ما للإمام المقصوم عليه السلام. وأي فقيه يرى في نفسه الصفات التي تؤهله أن يطرح نفسه وتبسط له الأمور فعل

الجميع ان يتبعه بل يجب أن يسعى الفقيه ويهيئ الظروف المناسبة لممارسة هذه السلطة واعداد مقدماتها . وتعنون تحت "ولاية الفقيه" وقد ذكر أهل الفن والاختصاص أنها ذكرت في كلمات بعض المتقدمين ثم طورها السيد الخميني ويلورها بشكلها الحالى والتي على أساسها قام نظام الدولة الاسلامية في ايران.

وأما الثانية :

فهي ولاية الأمة على نفسها وأبرز من نادى بها الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ويظهر من تسميتها أنها في مقابل ولاية الفقيه حيث يسحب من الفقيه اية ولاية وحاكمية على الشؤون الادارية ويقصرها على الفتوى والقضاء، وتبلور نظرته حول محور انسجام الدولة مع طبيعة المجتمع الذي تتطلق منه، والتركيز على أن الأمة حاكمة على مصيرها ومقدراتها وتنتخب شكل النظام السياسي على اساس من الشورى في جميع المراحل، ولا اعتبارية لفقاهة رئيس الدولة الاسلامية.

وأما الثالثة فتنقسم الى :

- الأولى: تلك التي ترى أن الفقيه هو الحاكم المطلق وهو نائب الامام عليه السلام وله ما للامام المعصوم عليه السلام. الا انه يجب أن تكون هناك آلية لانتخاب الأفضل من بين الفقهاء. وهذه النظرية تحاول ان تجمع بين حакمية الله، وسيادة الامة من خلال التفصيل بين ان يتحقق النصب المباشر من قبل الله كما في النبي والإمام المعصوم، وبين الرجوع الى الناس في انتخاب من يرونوه اهلا لكن لا مطلقا بل من وجدت فيه الشرائط المطلوبة، نعم لو ترك الناس العمل بهذه الفرضية المهمة ولم يسعوا لانتخاب الحاكم الصالح امكنا

القول بوجوب تصدی الفقهاء الواجبین للشرائط للأمور المعطلة من باب الحسبة. وقد ذکر في محله أن من أبرز من قال بذلك الشيخ المنتظري.

- الثانية: وهي كالأولى إلا أنها من دون القول بوجوب تصدی الفقهاء الواجبین للشرائط. ومن القائلين بهذا الرأي الشيخ محمد سند.
- الثالثة: تلك التي ترى أن الفقيه لا بد أن يكون له قول ولكن من خلال برمان تشريعي فيكون جزءاً من الأمة وهذه النظرية قد أخرجها للوجود الميرزا النائيني. وهو أول من كتب عن الفقه السياسي بنحو من التفصيل وبعد من ابرز الفقهاء في النجف الاشرف، وكان السبب في كتابه هذا معالجة الازمة الدستورية التي نشبت في ايران والتي عرفت بالصراع بين المشروعية والمستبدة ، والتي تدور حول كيفية تقييد سلطات الملك (الشاه)، وقد نشر اراءه في كتابه المعروف " تبيه الأمة وتنزيه الملة في لزوم مشروعية الدولة المنتخبة لتقليل الظلم على أفراد الأمة وترقية المجتمع " الصادر سنة ١٩٢٩ م.

المرحلة الثالثة: المرجعية الدينية في عصر الغيبة الكبرى

في عصر الغيبة الكبرى تبلور مفهوم المرجعية في الوسط الشيعي، والذي ساعد عليه فتح باب الاجتهاد من جانب، وإرجاع الأئمة عليهم السلام إلى العلماء تحت أكثر من عنوان، من الفقاهة والنبوابة والعدالة والرواية وغيرها من العناوين من جانب آخر. وبمرور الزمن فان فقهاء الشيعة ومن خلال سبرهم لمصادر التشريع ورجوعهم اليها بلوروا مباني فقهية ساعدتهم على ايجاد الحلول لكافحة مشاكل المجتمع التي واجهتها مقلدوهم فكانت الحيوية في التعامل مع الواقع المعاش احدى أهم واقوى ميزات الفكر الشيعي. وقد استطاعوا من خلال هذه الحلول أن لا يأطروا

أنفسهم بموقف سياسي محدد، وبأخراج محدد للسلطة، بل تعاملوا بايجابية مع الحاكم السنّي والشيعي ومع الملكية والجمهورية ومع العربي وغيره ما دام يحفظ تلك الثوابت. وإنما كان خيار المعارضة بهامشه العريض الذي ينتهي بالمقاومة العسكرية والشهادة مفتوحاً.

واللافت أن المرجعية الشيعية، وبالطبع المؤسسة الدينية ومن قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يضفوا شرعية على سلطة كما لم يمارسوا الحكم بمفهومه الحرفي بل تحرکوا من موقع الأمة ومن صالح الأتباع وثقافتهم وحريتهم، مستدلين في ذلك إلى الثقة العميقه التي وضعها الأتباع فيهم. فهم تعاملوا مع السلطات بمنطق المصالح المتبادلة، ورفضوا أدلة الحكم والسلطة والدولة أشد الرفض. ونظرة سريعة على المواقف التي أخذها كبار مراجع الطائفة خلال القرن الماضي تبيّن لنا أموراً كثيرة:

- دعمت المرجعية الملكية في بداية القرن الماضي على حساب الاحتلال. بيد أنها وقفت موقفاً معارضًا حين وجدت أنها تمارس الطائفية السياسية وأسلوب التعيين الذي يصادر إرادة الناس ولا يلبي مصالحهم.
- دعمت المرجعية النظام الجمهوري على حساب الملكية لما كان يحمله من إيحاءات بأنه ينهج منهجاً عادلاً في توزيع الثروات والفرص على أساس النسب السكانية. بيد أنها وقفت موقفاً معارضًا حين أخذ يؤدلج نفسه ويصادر دين الناس وحريتهم في مبنياتهم وعقائدهم.
- رفضت مرجعية السيد المجدد الشيرازي مبدأ مصادرة الاقتصاد الوطني بفتوى التباك الشهيرية.

- رفضت مرجعية السيد محسن الحكيم أن تكون السلطة معبرا لل الفكر الماركسي الذي يفرض نفسه على الناس فرضا.
- رفضت مرجعية السيد محسن الحكيم قتال الأكراد واضطهادهم وهم شريحة من وطن العراق.
- رفضت مرجعية السيد محسن الحكيم والسيد ابو القاسم الخوئي احتلال الكويت أبان حكم قاسم وصدام.
- رفضت مرجعية الشهيد السيد محمد باقر الصدر محاولة تدجين البعث للمؤسسة الدينية وتسييسها،
- كما رفضت ومن قبل مرجعية السيد محسن الحكيم حكم البغدادي لما كان يستبطنه من مصادرة للحريات والفكر وتأليه الحاكم.
- رفضت مرجعية السيد ابو القاسم الخوئي الدخول في معممة الحرب العراقية الإيرانية وشرعنة الموقف العراقي.
- لذا نرى ان المرجعية تعاملت من القديم بايجابية مع أي نظام لا يتبنى الاضطهاد خيارا في حكومته. والأمثلة كثيرة بعدد مراجعات الطائفية. والمدلول واحد وهو أن المرجعية عنيت بالمضمون دون الإخراج والشكل والصياغة. ومعنى بالمضمون:
- من حيث الآلية هو اعتماد النسبة السكانية في توزيع المناصب والثروات والفرص.
- من حيث المحتوى هو حفظ الهوية والحرفيات العامة والثوابت بما في ذلك الثوابت الدينية الأخلاقية والوطنية، والعدالة الاجتماعية.

المرحلة الرابعة: العراق الحديث والرجعية الدينية

الذى حصل في العراق أن السيد السيستاني حاول أن:

- يفصل المسار الشيعي في العراق عن مسار الشيعة خارج العراق، باعتبار أن شيعة العراق لا يحصلون على مكاسبهم السياسية المشروعة ولا يستقر لهم وضع إلا بقدر التلاحم مع المكونات الوطنية.
- يحفظ السمة الوطنية للبلد والانتماء العربي والتوجه الديني للبلد ممزوجا بعقلانية عالية تبعد عن التطرف والإرهاب واقعاً، وإن تفرض نفسها على العالم ليتحول بذلك إلى زعيم مجدد في هذا المضمار.
- يحفظ وحدة البلد من شبح التقسيم والتفتت من خلال الضغط على مشاركة السنة العرب في كتابة الدستور، ومن خلال التأكيد على التوافق الوطني في جملة من القرارات المصيرية في البلد كتوزيع الثروة وقانون النفط والاتفاقية الأمنية.
- يفسح المجال الكامل للقيادات السياسية لاتخاذ القرارات الصعبة في بلد مهشم في بنائه التحتية، متعدد في انتماءاته السياسية، ومربيك في تركيبته الثقافية.
- يحول دون الوقوع في فخ الحرب الأهلية: شيعية شيعية / وشيعية سنية.
و اللافت للانتباه أن السيد السيستاني تحرك من موقع الأمة لا من موقع الحاكم، فقد كانت هناك رغبة ملحة للجمهور بمختلف قطاعاته أن يكون له حضور ورأي وتوجيه ونصيحة، لكنه وقف على مسافة متساوية من الجميع دونما استثناء مشترطاً توزيع الحق السياسي والثروة والخبرة والمالي العام والمنصب وفق ركيزتين:

- الركيزة الأولى: الحضور السكاني لكل محافظة. وبها تجاوز بل وحيد النزعة الطائفية والقومية وأي معيار آخر لا يجمع البلد على الحد الأدنى من العدالة الاجتماعية بل يشتته.
- الركيزة الثانية: الكفاءة والخبرة، إضافة إلى النزاهة في دولة صممت على أن لا تكون مؤدلة لتحفظ ايدلوجية الجميع وحربيتهم. متباوزا بذلك التفاضل (السياسي والاداري) على أساس الانتماء الحزبي والالتزام الديني والسابقة الجهادية.

ان السيد السيستاني يعلم بمحورية العراق فتحرك بنحو يطمئن الجميع: يطمئن العرب أن لا يكون العراق مستعمرة إيرانية. ويطمئن إيران أن لا يكون العراق حارس البوابة الشرقية. ويطمئن العالم أن لا يكون العراق كدولة طالبان ولا يكون مسرحا لصراع الارادات الدولية مع رسالة واضحة للجميع مفادها إمكان اعتماد المصالح المشتركة في العمل السياسي مع المحفل الدولي مادام ذلك يأتي بمردود للعراق ويحفظ سيادته واستقلاله.

وقد تمكّن العراق من قطع شوط جيد باتجاه إرساء معالم الدولة الحديثة، من خلال كتابة دستور دائم للبلد، وإجراء انتخابات برلمانية ومحليّة، وتوزيع السلطة وتداوليتها، والاستقلال والسيادة. ولكن يلزم الالتفات إلى:

- ان تشكيل الحكومة أمر ضروري تقتضيه الفطرة البشرية لما يحكم به العقل من ضرورة الاجتماع والتعاون والعمل على اقامة العدل وحفظ المصالح العامة الاجتماعية، وحفظ الأمن وتوفير الخدمات وهذا كلّه لا يتحقق إلا من خلال حكومة قوية قادرة على ذلك.

- بما ان المجتمع مختلط ولا تحكمه رؤية مذهبية واحدة، ولا تكفي الاغلبية لسيادة رأيها بل لا بد من تحقيق التوافق العام بين كافة المكونات الاساسية من عرب وكرد وتركمان، ومن شيعة وسنة ومسيحيين وصابئة وغيرهم من الأقليات. وهذا التوافق يتم من خلال كتابة دستور يمثل القانون الأم والحد الأدنى من الاتفاق بين هذه المكونات والتي على اساسه يتم التعامل بينهم. ومن هنا كان السعي الحديث على كتابة الدستور ليتمثل الوثيقة الاساسية التي يعود اليها الجميع ويحتكمون اليها، وتحدد صلاحيات مختلف السلطات، وكيفية تداول السلطة، والحفاظ على حقوق الافراد. ملزماً :
- ان تكون كتابته بأيد عراقية وليس مفروضا عليهم لأنه سوف يفقد قيمته حينئذ ،
- وكذلك يجب ان يتضمن الحفاظ على المقدس الاسلامي وعدم جواز تشريع يخالف الاسلام.

بهذا يتضح بان السيد السيستاني ومن خلال محاكاته للواقع طرح ما يلي في مسألة العراق الحديث:

- تجاوز هذا الطرح البحث عن شرعية الحاكم الى طرح مسألة عدم جواز مخالفة القانون لحرمة مخالفة النظام العام وحرمة الاخلال به، لما يقضي به العقل من قبح الفوضى والهرج والمرج والفتنة، بما يفضي على الجميع التقيد بالقانون. ومن هنا كان التاكيد المستمر في الاستفتاءات على لزوم الالتزام بالقانون بالنسبة لعموم المواطنين وعدم جواز مخالفته وحرمة التصرف في الاموال العامة بما يخالف الالتزامات الملقاة على عاتق المواطن.

-٢- ومن أجل تحقيق هذه الاهداف لابد من مشاركة الشعب في كتابة الدستور وان يختار من يقوم بتنفيذ القانون والشهر عليه، فكان الحث على المشاركة في الانتخابات، بل الدفع من اجل ان تضم الهيئة التشريعية اناسا مؤهلين في مجالات الفقه والقانون لكي لا يصدر ما يخالف الثوابت الاسلامية.

نرى هنا ان الفقيه نأى بنفسه عن المشاركة في السلطة التنفيذية بل وحتى التشريعية بل اكتفى بعنصر المراقبة الشديدة والارشاد والنصح الذي يصل إلى درجة الالزام في بعض حالاته، انطلاقا من موقع الأمة لا الحاكم، حيث امتلك هذا التخويل الطبيعي. ودخول مصطلحات جديدة أكد عليها سماحته كالانتخابات وضرورة المشاركة الجماهيرية الواسعة إلى حد القول بوجوبها، والعددية السياسية، وتداول السلطة بشكل سلمي.

لقد جعل في الدستور مادة هي سر قوة الدستور العراقي والذي يعتبر بذلك بذرة جديدة في عالم التقنيين تمثل بالمادة الاولى التي تنص على أن الإسلام دين الدولة الرسمي وهو مصدر أساس للتشريع:

- ولا يجوز سن قانون يتعارض مع ثوابت أحكام الإسلام.
- ولا يجوز سن قانون يتعارض مع مبادئ الديمقراطية.

والاول يؤمن شيئا من الشرعية والثاني يمنع من التسلط والديكتاتورية، ويحفظ المشاركة الشعبية الدائمة في العمل السياسي.

- والتأكيد على مبدأ المواطنة و اختيار الكفاءات الوطنية في الاعمال الادارية والتنفيذية وهذا يظهر في العديد من البيانات التي اصدرتها المرجعية الدينية.

الخاتمة: الماضي وال伊拉克 الحديث

لم تخرج المرجعية في موقفها من النظام السياسي الحديث في العراق عن سبقاتها، بل ان السيد السيستاني يمثل في طرحة امتداداً لمدرسة وقفت مواقف متماثلة فلم تدخل في صلب العملية السياسية وبقيت على مسافة بعيدة عنها مجنبة المؤسسة الدينية عن التداخل مع السلطة والاستفادة من الحكومة. إنما تعاملت بايجابية وأخذت تضغط من موقع الأمة على إرساء مفاهيم تلابس المضمون الذي يشكل هاجسها الدائم. فدعت إلى انتخابات وإلى كتابة دستور وإلى تداولية السلطة وإلى الاستقلال وإلى حفظ ثوابت الشعب العراقي وإلى القرار الوطني في القضايا المصيرية كالاتفاقية الأمنية وقانون النفط ومصير البعث.

وتمكن الشعب أن يصنع أكثر من ملحمة في تقرير مصيره وهو لتوه قد خرج من مرحلة التجهيل والعتمة والدكتatorية والتخلف والفقر وألف مشكلة أخرى. إن هذا يدلل على عمق الموروث في العلاقة مع المرجعية وحجم الثقة المنوحة من قبل الشعب، والتي مكنت المرجعية من فرض بعض الخيارات التي تصب في صالح الأمة وعدم مصادرتها ثانية وليس في ضرر اللاعبين الآخرين. لذا وبعد العرض المتقدم في تقديرني لا بد من الوقوف عند النقاط التالية كنتائج مستفادة من هذا البحث:

- ان من الخطأ أن يقحم العراق على انه امتداد لأية من التوجهات الفكرية المطروحة التي أدرجناها في مقدمة البحث والتي من خلالها تخزل المنطقة على الصعيد الفكري السياسي. بل يجب وضع ما صار وهو لايزال في طور التجدد في العراق كتجدد جديد يجب على الجميع

أن ينظر إليه كطرح مستقل فرض نفسه على الساحة سواء بمبناه الفكري أو بتطبيقاته السياسية على أرض الواقع في العراق الحديث.

• من الخطأ القاتل أن يفتر أحد من اللاعبين في الميدان السياسي بوداعة المرجعية ومنحها السلمي، وإذا أريد للعراق الحديث أن يخرج عن قواعد اللعبة المشار إليها بإعادته إلى الدكتاتورية المقنعة أو الطائفية السياسية أو القفز على السلطة وكل ما يضر بالثوابت المشار إليها، فإن للمرجعية كلمة! وإذا أراد الكل أن يستفيد من خير العراق بدلًا من أن يتضرر الجميع فعلى الجميع أن يساهم في استقرار البنية السياسية الحديثة للبلد.

في تقديري أن الفلسفة السياسية الحديثة التي أنتجت النظام السياسي الحديث في العالم المفرغ من الأيديولوجيا والذي يعتمد صندوق الاقتراع والمصالح المتبادلة لها قدرة على التجاوب مع الفكر الشيعي السياسي في النجف الأشرف لخلق منظومة سياسية قوية تظهر فيه المنطقة بمظهر جديد يؤمن للمشاركين مصالحهم في الوقت الذي يبني نفسه وفق الأصول السياسية الحديثة.

لذا ينبغي على أهل الاختصاص والفكر بالإضافة إلى صناع القرار السياسي فهم ما تتجه هذه المدرسة وأعني بها مدرسة النجف الأشرف، من خلال قراءة دقيقة لمجريات الأمور في العراق الحديث وتاريخ المرجعية، والتعرف على هذه الأيديولوجية الفكرية والتي من خلالها يمكن بناء دولة، الكل فيها ممثل، والهوية محفوظة والاحترام مكّنون الى كل أطراف المجتمع. هذا ما تريده مدرسة النجف الأشرف، أمة لها ولادة على نفسها مع اشراف المرجعية وتسديد خطواتها انطلاقاً من موقع الأمة لا الحاكم، حيث امتلك هذا التخويل الطبيعي برجوع الشعب اليه. لذا

ينفترض من الجميع أن يفرق بين الاطروحات الاسلامية والخيارات المتاحة والتطبيقات المختلفة وفهمها على أنها منفصلة عن بعضها البعض وعدم وضعها كلها في دائرة واحدة والتعامل معها بنفس الأسلوب.

كان هذا جزء مما توفر لدى من معلومات وأفكار ورؤى عن سماحته مد ظله أتيت بها على وجه العجالة التي حشرني بها جناب الفاضل السيد الوالد حفظه الله على أمل أن أكون قد وفقت فيما نقلت وطرحت وارتآيت، وإن فالعصمة لأهلها وما التوفيق إلا من عند الله، والله من وراء القصد والصلة والسلام على رسول الله محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

• حيدر بحر العلوم

١٤٣٠ جمادى الثانية ٢٥

ديترويت، الولايات المتحدة

واخيراً في سفرتي الاولى الى العراق بعد هجرة حوالى اربعين عام
هروباً من صدام وزمته حصل لي الشرف في العودة الى زيارة الائمة
الاطهار في عراقي الحبيب، فكان اول مقام تشرفت بلثم العتبة الشريفة
لمرقد امير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في مدینتی
العزيزه النجف الاشرف، ولقاء الاهل بعد فراق طویل، وحصل لي شرف
اللقاء لمرتين بمقام سماحة المرجع الدينی آية الله العظمى الامام السيد
علي السیستانی وقد وجدت فيه تلك الاشعاعه الطاهرة والنفس الرفيعة
والخلق النبوی وابوته الكبیرة مما هزتني مشاعري لأطالة المقام في
حضرته وحيث وجدت فيه الاستجابة الابوية واستمرار الحديث المتنوع
واسئلته المتواصلة فحمدت الله على هذا اللقاء الذي ترك الاثر في نفسي.

سيصدر للمؤلف:

- المرجعية الإسلامية الشيعية منذ الفيبة الكبرى

- من تلامذة آية الله الشيخ الحلي الشهيدان:

آية الله السيد علاء الدين بحر العلوم

واية الله السيد عزالدين بحر العلوم

"إن السيد السيستاني بتصديقه الواسع
للمسؤولية المرجعية بكل أبعادها أصبح
المسؤول الأول عن الشأن العراقي الذي
يمس الصالح العام للمواطنين، فقد
استطاع أن يفرض رأيه على ممثل الأمم
المتحدة الذي أنيط به الإشراف على
الانتخابات العامة عام ٢٠٠٥م."

الامام السيستاني: شيخ المرجعية المعاصرة في النجف الأشرف